موسوعة الأساطير

الجزء الثانى

اسم الكتاب / موسوعة الأساطير« الجزء الثانى »
إعداد / حسين عبدالله
رقم الإيداع / 171507 - 2016
الترقيم الدولي / 3 - 035 - 355 - 977 - 978
تصميم الغلاف / محمد زهران
الناشر / مكتبة زهران

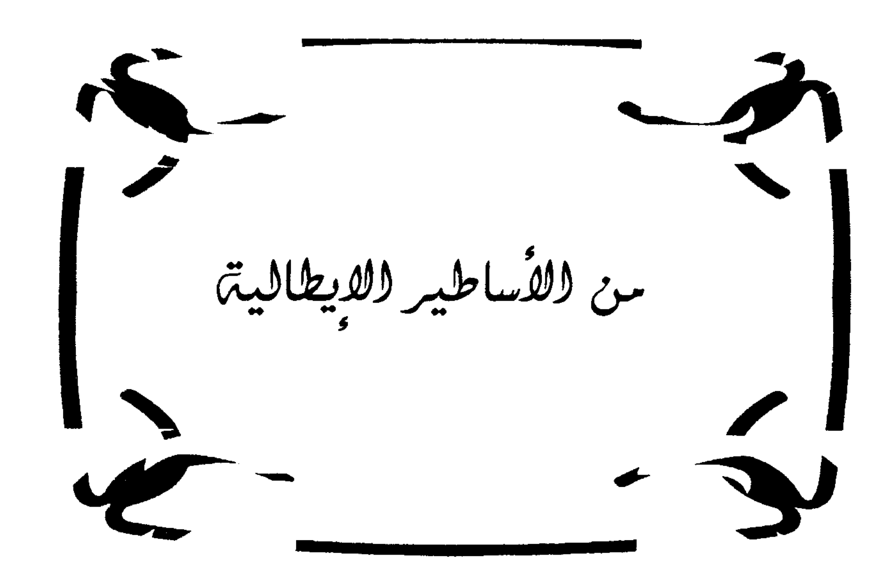
بالاشتراك مع / دار الراوي

موسوعة الأساطير

الجزء الثانى

إعداد
حسين عبدالله

مكتبة زهران



من الأساطير الإيطالية

1 - القصر المسحور

يحكى أنه فى سالف الزمان كان يعيش ملك له ابن يسمى فيورديناندو.. كان فيورديناندو لا يترك الكتب من يده، كان يقرأ كثيراً ودائماً حبيس حجرته وعندما يغلق الكتاب كان ينظر من النافذة إلى الحديقة والغابات، ثم يعود للقراءة والتفكير. لم يخرج من حجرته، إلا لتناول الإفطار أو الغداء ومن النادر خروجه إلى الحديقة، وذات يوم تحدث صياد القصر - وكان شاباً ذكيّاً تربى مع الأمير - إلى الملك قائلاً:

- جلالة الملك أتسمح لى بزيارة فيورديناندو؟ فلم أره منذ فتة طويلة.

قال له الملك:

- اذهب، عسى أن تسرى زيارتك عن ابنى.

ذهب الصياد إلى حجرة فيورديناندو الذى سأله.

- ما هى مهنتك بالقصر؟ ولماذا ترتدى هذا الحذاء الكبير؟

قال الشاب:

- أنا صياد الملك.

وحكى عن فن الصيد واختلاف تنوع الحيوانات ودهاء الطيور والأرانب البرية ووصف أماكن الصيد بالغابة، اشتعل خيال فيورديناندو وتحمس وقال له:

- أريد أن أذهب للصيد معك، لا تخبر أبى بشىء كى لا تبدو أنها فكرتك أنت، سأطلب منه أنا أن يسمح لى بالذهاب معك.

قال الصياد:

- دائماً فى خدمتك.

وفى اليوم التالى، أثناء تناول الإفطار قال فيورديناندو للملك:

- بالأمس قرأت كتاباً يتحدث عن الصيد وقد أعجبنى جدّاً لذا فإننى أتشوق لتجربته بنفسى، هل تسمح لى بذلك؟

رد الملك:

- الصيد هواية مليئة بالمخاطر لمن لا يعرفه، ولكن لا أريدك أن تتنازل عن فعل شىء يعجبك سأسمح لصيادى بمرافقتك، وهو يعلم كل أسرار الصيد فلا تبتعد عنه.

امتطى الصياد وفوردیناندو الخيل عند شروق الشمس وقد علق كل منهما سلاحه فى الحمائل فوق كتفه وذهبا إلى الغابة. كان الصياد يصوب بندقيته نحو ما يراه من طائر أو أرنب برى فيصرعه. بينما كان فيوردیناندو يجتهد فى تعقب الحيوانات والتصويب نحوها ولا يصطاد منها شيئاً.

مضى النهار وامتلأ خرج الصياد بالفرائس لدرجة أنه كان يجد مشقة فى حمله فى حين لم يصطد فيوردیناندو ولا حتى ريشة، جاء المساء وبين الضوء والظلمة رأى فيوردیناندو أرنباً بريّاً صغيراً يتوارى بين الشجيرات، فأراد أن يصطاده، ولكن الأرنب كان صغيراً وخائفاً لدرجة أن فيوردیناندو فكر بأن يصطاده بيديه، جرى فيوريناندو إلى أجمة من الشجيرات ولكن الأرنب قفز هارباً فى تلك اللحظة وجرى فيوردیناندو وراءه وفى كل مرة يوشك فيها على الإمساك به، يجرى الأرنب مبتعداً، فكان يبدو وكأن الأرنب ينتظر قدومه ثم يهرب من جديد. هكذا ابتعد فيوردیناندو كثيراً عن الصياد ولم يستطع إيجاد الطريق، صرخ منادياً الصياد، ثم صرخ مرة أخرى وثالثة ولم يجبه أحد، كان الوقت ليلاً والظلام دامساً واختفى منه الأرنب.

ترجل فيورديناندو من فوق حصانه، وجلس تحت شجرة، وكان متعباً، قلقاً وبدأ له رؤية ضوء من بين الأشجار فى ظلام الغابة، أمسك بلجام الحصان ودخل فى وسط أشجار الغابة، وفى وسط الغابة كان هناك حقل كبير وفى آخره قصر عظيم، كان باب القصر مفتوحاً، فسأل فيورديناندو:

- مَنْ بالبيت؟

لم يجبه أحد ولم يسمع حتى صدًى لصوته، دخل ووجد صالة بها مدفأة موقدة، ونبيذاً وأكواباً، جلس فيورديناندو ليستريح ويتدفأ ويشرب بعض النبيذ، ثم نهض ومر بصالة أخرى وجد بها مائدة مُعِدة لشخصين، كانت أدوات المائدة من أشواك وسكاكين وأطباق وكؤوس من الذهب والفضة، والمفارش من الحرير المطرز باللؤلؤ والماس، وكان يتدلى من السقف نجف من الذهب الخالص بحجم السلة الكبيرة، جلس فيورديناندو إلى المائدة وكان قد بدأ فى تناول أول ملعقة من الطعام عندما سمع حفيف ثياب على السلم، التفت ورأى أميرة تدخل مع اثنتى عشرة وصيفة. كانت الأميرة شابة جميلة، تخفى وجهها بحجاب كثيف ولم تتحدث حتى مع وصيفاتها. جلست صامتة أمام فيورديناندو وكانت الوصيفات تقدمن الطعام وتسكبن الشراب فى صمت، وكانت الملكة تضع الطعام فى فمها أسفل الحجاب الكثيف وبعد انتهاء العشاء، انصرفت الملكة وصعدت السلم، ووراءها الوصيفات نهض فيورديناندو أيضا وبدأ يتجول في القصر، وجد غرفة ملكية بسرير معد خلع فيورديناندو ملابسه وألقى بنفسه بين أغطية السرير لينام، خلف مظلة السرير كان هناك باب سرى، فتح الباب ودخلت منه الملكة صامتة والحجاب مسدل فوق وجهها ووراءها الاثنتا عشرة وصيفة. كان ينظر إليها فيورديناندو مسنداً بكوعه على الوسادة فاغرا فاهه، رأى الوصيفات وهن

يخلعن ملابسها وقد تركن فقط الحجاب فوق وجهها، ثم نامت الملكة بجانبه وانصرفت الوصيفات، وانتظر فيورديناندو أن تقول شيئاً أو ترفع الحجاب من فوق وجهها إلا أنها نامت من فورها. ظل فيورديناندو ينظر إلى الحجاب فوق وجهها يعلو ويهبط مع أنفاسها، ثم نام هو أيضاً.

عادت الوصيفات فى الفجر، ألبسن الأميرة ملابسها خرجن بها، نهض فيورديناندو وتناول طعام الإفطار المجهز فوق المائدة ونزل إلى الأسطبل فى الإسطبل وجد حصانه يأكل التبن، امتطى فيورديناندو الحصان وركض فى الغابة طوال اليوم محاولاً أن يجد الطريق إلى بيته أو أثراً لرفيق رحلة الصيد، ولكنه تاه أكثر وعندما حل المساء عثر على المرج والقصر.

دخل إلى القصر وحدث له ما حدث فى الليلة السابقة وفى اليوم التالى أثناء بحثه من جديد عن طريق العودة، وجد نفسه أمام صديقه الصياد الذى كان يبحث عنه منذ ثلاثة أيام وعادا معاً إلى المدينة، اخترع فيورديناندو قصة وهمية مليئة بالمصاعب ولم يحك للصياد عما شاهده من القصر والحديقة، عاد فيورديناندو إلى القصر ولكنه لم يرجع إلى طبيعته، فعينه لم تعد تتوقف فوق صفحات الكتب وكان يسرح دائماً بفكره فى الغابة، عندما رأته الأم على هذه الحالة من الحزن والضيق، ألحت عليه بالأسئلة ولم تتركه إلا بعد أن حكى لها بالتفصيل ما حدث له وقال لها بصراحة إنه يحب الملكة ولا يعلم كيف يمكنه الزواج بها لأنها لا تتكلم ولا تظهر وجهها، قالت له الأم:

- الآن سأخبرك أنا عما يجب أن تفعل، اذهب إلى العشاء لديها مرة أخرى وأثناء العشاء أسقط أداة من أدوات المائدة على الأرض، ما إن تنحنى الأميرة لتأخذها ارفع الحجاب من فوق رأسها، تأكد أنها ستقول لك شيئاً.

وما أن سمع فيورديناندو النصيحة حتى امتطى حصانه وجرى بسرعة إلى القصر فى الغابة حيث استقبلوه كالعادة، وأثناء العشاء، أسقط بكوعه إحدى أدوات المائدة فانحنت الملكة لالتقاطها وكشف فيورديناندو الحجاب عن وجهها نهضت الملكة غاضبة وكانت جميلة مثل شعاع القمر متأججة كثل لهيب الشمس وصرخت فيه:

- يا لك من شاب ساذج مستهتر، لقد خنت ثقتى لو استطعت النوم لليلة أخرى بجانبك بدون الحديث إليك أو الكشف عن وجهى لتحررت من السحر للأبد ولتزوجتك. الآن يجب أن أذهب إلى باريس لمدة ثمانية أيام ومنها أسافر إلى بطرسبرج وهناك أصبح من نصيب من يفوز فى المبارزة، ومن يدرى من سيفوز بى الوداع! واعلم أننى ملكة البرتغال.

وفى تلك اللحظة اختفت الملكة واختفى معها القصر. وجد فيورديناندو نفسه وحيداً فى الغابة وبعد مجهود كبير استطاع العودة إلى المنزل وعندما وصل إلى البيت، لم يضع وقته، ملأ حقيبته بالنقود، أخذ معه صديقه المخلص الصياد امتطى حصانه وسافر إلى باريس، ركض بحصانه ولم يتوقف إلا بعد وصوله إلى أحد فنادق المدينة الشهيرة، وكان يريد التحرى فوراً عما إذا كانت ملكة البرتغال قد وصلت إلى باريس أم لا. وبدأ فى الحديث مع صاحب الفندق وصادقه ثم سأله:

- هل توجد أخبار جديدة فى المدينة؟

أجاب صاحب الفندق:

- لا توجد أية أخبار جديدة. ماذا تقصد بالأخبار الجديدة؟

- الأخبار الجديدة أنواع متعددة: حروب، احتفالات، أشخاص مهمة.

- آه.. إذاً كانت هناك حادثة جديدة فقد وصلت إلى باريس منذ خمسة أيام ملكة البرتغال وسترحل بعد ثلاثة أيام إلى بطرسبرج، إنها سيدة جميلة ومثقفة جدّاً تتسلى بارتياد المحلات والبحث عن الأشياء الثمينة وكل يوم فى ساعة العصر تتريض مع وصيفاتها خارج المدينة بالقرب من هنا.

سأل فيوردناندو.

- وهل يمكن رؤيتها؟

صاحب الفندق:

- وكيف لا؟ عندما تسير فى الطريق يراها كل الناس.

قال فيوردناندو

- حسناً! حسناً! هل يمكن أن تحضر لنا العشاء زجاجة نبيذ أحمر قاتم اللون الآن؟

كان لصاحب الفندق ابنة ترفض كل من يتقدم لخطبتها، إلا أنها عندما رأت فيوردناندو يترجل من الحصان قالت لنفسها: «إما أن أتزوج من هذا الشاب أو لا أتزوج أبداً» وذهبت إلى والدها وأخبرته أنها أحبت الشاب الغريب وطلبت منه أن يجد طريقة ليزوجها به. هكذا حاول صاحب الفندق مفاتحة فيوردناندو فى الأمر، فقال له:

- أتمنى أن تعجبك باريس وأن تكون محظوظاً بها وتجد عروساً جميلة

قال فيوردناندو:

- عروستى هى أجمل ملكة فى الدنيا وأنا أتتبعها.

كانت ابنة صاحب الفندق تستمع إلى حديثهما من وراء الباب وغضبت جدّاً من رد فيوردناندو وعندما أرسلها الأب لتحضر زجاجة النبيذ من

المخزن وضعت أفيونا فى زجاجة النبيذ. هكذا عندما خرج فيورديناندو والصياد لانتظار مرور الملكة خارج المدينة، أصابهما نعاس شديد حتى إنهما سقطا نائمين فوق العشب كحجرين وبعد ذلك بقليل مرت الملك وتعرفت على فيورديناندو انحنت فوقه، نادته، ربتت على رأسه، هزته، قلبته، ومرة أخرى ولم يفلح شىء فى إيقاظه فخلعت من يدها خاتماً من الماس، ووضعته فوق جبينه. وكانت بالقرب منهم مغارة يعيش بها ناسك كان يشاهدهما من وراء الأشجار، وما أن انصرفت الملكة حتى اقترب من فيورديناندو وأخذ الخاتم من فوق جبينه وعاد إلى مغارته، وعندما استيقظ فيورديناندو كان الوقت ليلاً واستغرق وقتاً فى تذكر أين هو ثم أخذ يهز الصياد بشدة ليوقظه وألقى باللوم على الخمر القوى القاتم اللون وأسفا على عدم مقابلة الملكة. وفى اليوم الثانى قالا لصاحب الفندق:

- أعطنا نبيذاً أبيض على ألا يكون قويّاً.

ولكن ابنة صاحب الفندق وضعت الأفيون فى النبيذ الأبيض واستغرق الاثنان فى نوم عميق فوق العشب مرت ملكة البرتغال وحاولت إيقاظه وعندما يئست منه وضعت فوق جبينه خصلة من شعر وانصرفت خرج الناسك من بين الأشجار وأخذ خصلة الشعر. وعندما استيقظ فيورديناندو والصياد فى ساعة متأخرة بالليل لم يعرفا ماذا حدث. بدأت الشكوك تساور فيورديناندو حول هذا النعاس الذى ينتابه عصر كل يوم. كان اليوم الأخير قبل رحيل الملكة إلى بطرسبرج وكان يريد مقابلتها بأى شكل. أمر فيورديناندو صاحب الفندق ألا يحضر لهما نبيذاً ولكن ابنته وضعت الأفيون فى الحساء. وعندما وصلا إلى الحديقة خارج المدينة، شعر فيورديناندو بأن رأسه ثقيل وبرغبة فى النعاس، فأخرج مسدسين من جيبه وأظهرهما للصياد قائلاً:

- أعلم أنك مخلص ولكن تأكد أنه فى هذه الكرة إن لم تبق مستيقظاً وتوقظنى سأفرغ المسدسين فى رأسك.

وما أن قال ذلك حتى تمدد فوق العشب وراح فى سبات نوم عميق وارتفع صوت شخيره، وأخذ الصياد يقرص نفسه كي يظل مستيقظاً وبين قرصة وأخرى بدأ يغلق عينيه وكف عن قرص نفسه ونام هو أيضاً.

وصلت الملكة وحاولت إيقاظه بكل الطرق: بصراخ الحصان، صفعات على وجهه، قبلات، هزت جسده ولم ينجح شىء وبدأت تبكى بشدة حتى نزلت من عينيها بدلاً من الدموع قطرتان من الدماء على وجنتيها، جففت دموعها الدامية ووضعت المنديل فوق وجه فيوردناندو ثم ركبت العربة وسافرت بسرعة إلى بطرسبرج.

خرج الناسك من مغارته فى هذه الأثناء أخذ المنديل وانتظر ليشاهد ما سيحدث. استيقظ فيوردناندو فى الليل واستشاط غضبه لأنه فقد الفرصة الأخيرة لمقابلة الملكة حتى إنه استل المسدسين وكان على وشك أن يفى بوعده بتفريغهما فى رأس الصياد الذى كان لا يزال نائماً عندما أمسك الناسك بالمسدسين، ومنعه من إطلاق الرصاص قائلاً:

- إن هذا البائس لم يخطئ فقد وضعت ابنة صاحب الفندق الأفيون فى النبيذ الأحمر والأبيض والحساء.

قال فيوردناندو:

- ولماذا؟ كيف عرفت؟

- لأنها تحبك لذا وضعت لك الأفيون، وأنا أعلم ذلك لأنى أشاهد كل ما يحدث من مكانى بين الأشجار منذ ثلاثة أيام وملكة البرتغال تمر من

جانبك وفى كل مرة تحاول إيقاظك وقد تركت فوق جبينك خاتماً من ألماس، وخصلة شعر ومنديلاً بدموع من دماء.

قال فيوردينالدو:

- وأين هذه الأشياء؟

قال الناسك:

- لقد أخذتها لأحفظها لك. لأن المكان هنا مليء باللصوص وكانوا سيسرقونها منك دون أن تشعر، خذ هذه الأشياء واحتفظ بها وإذا تصرفت بحكمة ستجلب لك الحظ.

- وكيف؟

- لقد سافرت ملكة البرتغال إلى بطرسبرج حيث تجرى المبارزة عليها والفارس الذى سيشترك بالمسابقة واضعاً الخاتم وخصلة الشعر وهذا المنديل فوق الرمح سيفوز ويتزوج الملكة.

أسرع فيورديناندو بالرحيل من باريس متجهاً إلى بطرسبرج، وقد وصل إلى المدينة محاربون، فرسان مشهورون ومعهم خدم وعِدد وأسلحة تلمع كقرص الشمس، وفى وسط المدينة شيدت ساحة المبارزة، وفى الميدان الرئيسى للمدينة أقيم الحاجز وحوله أماكن للجلوس وهناك لابد من المبارزة فوق الحصان للفوز بملكة البرتغال.

تسابق فيوردينانـدو والقناع فوق وجهه وفاز فى سباق اليوم الأول واضعاً الخاتم فوق سن الرمح وفى اليوم الثانى فاز واضعاً خصلة الشعر وفى اليوم الثالث بفضل المنديل كان الفرسان يتساقطون بخيولهم كالخفافيش، حتى تساقطوا جميعاً.

أعلن فوز فيورديناندو الذى فتح الخوذة وعندما رأته الأميرة سقطت مغشيّاً عليها من السعادة أقيم حفل الزفاف وأرسل فيورديناندو لاستدعاء أبيه وأمه اللذين كانا قد اعتقدا بموته قدم لهما الملكة وقال:

- هذه هى الأرنبة البرية التى أردت صيدها، السيدة المحجَّبة ملكة البرتغال التى حررتها من السحر.

***

2 - جوفانين الشجاع

يحكى أن صبيّاً كان يدعى جوفانين الشجاع لأنه كان لا يخشى شيئاً. جال فى البلاد حتى وصل إلى فندق وطلب المبيت.

أجابه صاحب المكان:

- لا يوجد مكان هنا ولكن إذا كانت لديك الشجاعة أرسلتك إلى قصر.

- ولماذا أخاف؟

رد صاحب الفندق:

لأنه قصر مسكون لم يدخله أحد وخرج منه حيّاً. وفى الصباح يذهب الحانوتى بالتابوت لحمل جسد من واتته الشجاعة، ويبقى طوال الليل بالقصر.

أتتخيلون ماذا فعل جوفانين! حمل مصباحاً وزجاجة نبيذ وقطعة سجق، وذهب إلى القصر.

وعند منتصف الليل، جلس إلى المائدة، وبينما كان يتناول طعامه، سمع صوتاً ينبعث من.. المدفأة يقول له:

- أأرمى؟

أجابه جوفانين: ارم.

سقطت ساق آدمية، رشف بعضاً من النبيذ، وعاد الصوت يقول له:

- أأرمى؟

- إيه ارم!

سقطت الساق الأخرى.

قضم جوفانين قطعة السجق.

والصوت يسأله:

- أأقذف؟

- إيه اقذف.

سقطت ذراع.

عندما رأى جوفانين الذراع، واصل الصفير.

وعاد الصوت يسأل:

- أألقى؟

- إيه إلق.

سقطت ذراع أخرى.

- هل أقذف؟

- اقذف.

سقط جذع رجل والتصق بالساقين والذراعين، وبقى رجلاً بدون رأس.

- أأقذف؟

- اقذف.

سقطت الرأس، والتصق بالجذع وظهر رجل عملاق، وعند رؤيته رفع جوفانين كأس النبيذ وقال له:

- فى صحتك.

قال له الرجل: احمل المصباح وتعال معى.

حمل جوفانين المصباح إلا أنه لم يتحرك.

أردف الرجل:

- تقدم أمامى!

أجابه جوفانين: تقدم أنت.

عندئذ تقدم الرجل، وعبر القصر من حجرة إلى أخرى، وجوفانين من ورائه يحمل له المصباح. حتى وصل إلى أسفل إحدى السلالم حيث كان يوجد قبو.

قال العملاق للصغير: افتح!

أجابه جوفانين: افتح أنت.

فتح العملاق الباب بضربة من كتفه، فظهرت سلالم متعرجة.

قال العملاق لجوفانين: اهبط!

أجابه جوفانين: اهبط أنت.

نزلا إلى سرداب تحت الأرض نظر العملاق إلى لوح على الأرض، وطلب من جوفانين إزاحته قائلاً:

- ارفع!

أجابه جوفانين: ارفع أنت.

رفعه العملاق وكأنه حجر صغير.

كان يوجد تحته ثلاث أوان كبيرة من الذهب.

أشار الرجل لجوفانين:

- احملها إلى أعلى!

أجابه جوفانين: احملها أنت.

قام العملاق بحمل الأوانى واحداً تلو الآخر.

عندما وصلا إلى صالة المدفأة قال العملاق لجوفانين:

تحطم السحر. ونزع إحدى ساقيه وأطاح بها داخل المدفأة. ثم أردف قائلاً: أحد هذه الأوانى لك، ثم نزع إحدى ذراعيه، فصعد الذراع داخل المدفأة، والثانية لمن سيأتون لأخذك بالصباح معتقدين موتك، وخلع الذراع الأخرى وقذف بها لتلحق بالأولى. أما الإناء الثالث فأعطه لأول فقير يمر بالقصر، ثم خلع ساقه وجلس علي الأرض، أما القصر فهو لك فأصحابه لم يعد لهم وجود، وألقى بجذعه فى المدفأة وبقيت رأسه فقط على الأرض وارتفعت الرأس وصعدت فى ماسورة المدفأة.

وما أن أشرق الصبح حتى سمع غناء:

ارحمنى يا إلهى برحمتك، ارحمنى يا إلهى برحمتك. وكانت مجموعة من الرجال تحمل التابوت، جاءوا ليأخذوا جوفانين ميتاً: فوجدوا جوفانين يدخن البايب فى النافذة.

وبما حصل عليه من ذهب، عاش جوفانين الشجاع سعيداً فى القصر حتى جاء فى يوم التفت فشاهد خياله فأصابه رعب شديد ومات.

***

3- التنين ذو الرؤوس السبع

يحكى أن رجلاً صياداً كان يعيش مع زوجته التى لم تنجب له أولاداً على الرغم من مرور أعوام طويلة على زواجه منها.

وذات يوم، ذهب الصياد بشبكته إلى البحيرة القريبة من منزله واستطاع أن يصطاد سمكة كبيرة، جميلة، ما إن أخرجها من الماء حتى أخذت تستعطفه أن يتركها تذهب لحال سبيلها وفى مقابل ذلك سوف تدله على بركة قريبة مليئة بالأسماك.

شعر الصياد بالخوف عند سماع السمكة تتحدث. وبدون تفكير تركها تخرج من الشبكة، وتختفى فى المياه أمامه. ذهب بعد ذلك إلى البركة القريبة وألقى بالشبكة مرتين أو ثلاث، فامتلأت سلته بالأسماك وعاد إلى بيته وهو يحملُ الصيد الكثير.

سألته زوجته كيف استطاع أن يعود بكل هذا السمك؟ فحكى لها كل شىء بالتفصيل. غضبت لتركه السمكة تهرب وقالت له:

- يا لك من أحمق! أتترك سمكة جميلة بهذا الحجم؟ يجب أن تعود بها غداً أريد هذه السمكة بالبيت لأعدها وأطهو منها مرقة وبهذا لن نشعر بالرغبة فى أكل السمك لمدة طويلة.

رجع الصياد إلى البحيرة إرضاء لزوجته وألقى بالشبكة، خرجت السمكة وفى هذه المرة أيضاً تأثر بكلامها واستعطافها له وتركها تعود إلى المياه وذهب إلى البركة واصطاد ما شاء من الأسماك، وعندما عاد الصياد وحكى لزوجته ما حدث استشاطت غضباً ووضعت يدها فى وسطها وقالت له:

- ثور، ألا تدرك أن الحظ يطرق بابك وأنت تطرده وتولى ظهرك؟

غداً إما أن تحضر السمكة، أو سوف أجعلك تندم على ذلك. أفهمت!

فى الصباح الباكر ذهب الصياد إلى البحيرة وألقى بالشبكة ووجد السمكة بداخلها ولم يبال هذه المرة ببكاء السمكة أو توسلاتها وإنما ذهب من فوره إلى زوجته ووضع السمكة بين يديها، فألقت بها الزوجة فى وعاء عميق ملأته بالماء. وبينما كان الصياد وزوجته ينظران إلى السمكة فى المياه وإلى حجمها الكبير ويفكران فى أفضل الطرق لطهيها، أخرجت السمكة رأسها الصغير من حوض المياه وقالت لهما:

- حسناً! بما أنه لا مفر من الموت، اسمحا لى أن أخبركما بوصيتى.

وافق الصياد وزوجته على قولها وبدأت السمكة تتكلم:

- عندما أموت ويتم طهوى، تأكل المرأة من لحمى وأما الحساء فأعطوه للفرسة، وألقوا برأسى إلى الكلبة، وازرعوا أكبر ثلاث شوكات من جسمى فى الحديقة، وعلقوا مرارتى فى سقف المطبخ، سوف ترزقان بأولاد وإذا حدث مكروه لأى منهم فإن المرارة ستقطر دماً.

وبعد طهى السمكة نفذ الزوجان وصيتها بالحرف. وحدث أن وضعت الزوجة والفرسة والكلبة فى نفس الليلة «ولدت الكلة ثلاثة كلاب والفرسة ثلاثة مهور والزوجة ثلاثة أولاد ذكور». عندئذ قال الصياد:

- يا للعجب فى ليلة واحدة ولدت تسع أنفس.

كانت التوائم متشابهة لدرجة يصعب التفريق بينهم فوضع الأبوان لكل منهم علامة تميزه وعندما كبر الأولاد أعطى الأب لكل واحد منهم فرساً وكلباً وسيفاً وبندقية صيد.

شعر الابن الأكبر بالملل من البقاء فقيراً بالمنزل وأراد الخروج والبحث

عن الثروة والحظ. امتطى الشاب حصانه وأخذ معه الكلب والسيف وعلق البندقية بين رقبته وذراعه وسلم على الجميع وقال لأخويه وهو يودعهما:

- إذا نزلت دماء من كيس مرارة السمكة عليكما بالبحث عنى، عند ذلك سوف أكون قدمت أو حدثت لى مصيبة.

وانصرف. بعد ذلك امتطى حصانه وسافر لأيام طويلة ومر ببلاد بعيدة مجهولة ووصل إلى أبواب بلدة مهجورة دخل من البوابة فوجد سكانها وقد ارتدوا ملابس الحداد السوداء واكتست وجوههم بالحزن. دخل إلى إحدى الحانات وسأل عن سبب كل هذا الحزن والسواد الذى يغلف المدية. قال له صاحب المطعم:

- ألا تلعم؟ هنا يوجد التنين ذو الرؤوس السبع وفى كل يوم فى الظهيرة يصعد إلى الجسر وإذا لم يجد فتاة يأكلها، يدخل المدينة ويلتهم كل ما يقابله من أشخاص وكل يوم نختار إحدى الفتيات بطريقة القرعة واليوم جاء الدور على الأميرة ابنة الملك، ولكن الملك أعلن أنه سوف يزوجها من يستطيع أن ينقذها من التنين.

عند سماعه هذا الكلام، قال الشاب:

- ألا توجد وسيلة لإنقاذ ابنة الملك والمدينة كلها من هذا البلاء. أنا عندى سيف قوى وكلب قوى وحصان قوى. فلنذهب، أرشدنى إلى قصر الملك.

وفوراً، ذهب إلى الملك وطلب منه أن يسمح له بمحاربة التنين وقتله.

قال له الملك:

- أيها الشاب الشجاع، يجب أن تعلم أن كثيرين حاولوا قبلك وباءت كل محاولاتهم بالفشل ودفع المساكين حياتهم ثمناً للمحاولة. ولكن إذا أردت

المغامرة ونجحت فوسف أعطيك ابنتى كزوجة لك وأيضاً مُلكى بعد وفاتي.

لم يشعر الشاب بالخوف عند سماعه هذا الحديث، بل أخذ الكلب والحصان وذهب ليجلس عند بداية الجسر فى انتظار التنين. وفى تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً وصلت ابنة الملك وقد ارتدت ثوب الحداد الأسود وخلفها الحاشية وعندما وصلت إلى منتصف الجسر، تركتها الحاشية وبقيت وحيدة تماماً، التفتت وراءها فرأت أحدهم جالساً ومعه كلب، فقالت له:

- أيها الشاب، ماذا تفعل هنا؟ ألا تعلم أن التنين سوف يأتى ليأكلنى وإذا وجدك سوف يأكلك أنت أيضاً.

أجابها:

- بالفعل أنا هنا لأنقذك وأتزوجك.

قالت له الأميرة وهى تبكى:

- أيها البائس، اذهب بعيداً وإلا سوف يأتى التنين وبدلاً من أن يأكلنى وحدى سوف يأكلك أنت أيضاً فهو تنين مسحور كيف يمكنك القضاء عليه؟

قال لها الشاب الذى أحب الأميرة عندما شاهدها:

- الآن من أجل حبى لك سوف أقوم بهذه المغامرة وليكن ما يكون.

وما إن انتهوا من حديثهم حتى دقت ساعة القصر الثانية عشرة ظهراً، وبدأت الأرض تتراقص وانشقت وخرج منها التنين ذو الرؤوس السبعة بين النار والدخان وبدون تردد هاجم بأفواهه السبعة الأميرة ليأكلها وهو يصفر من السعادة فقد وجد أنهم أحضروا له وجبة من اثنين ليأكلهما فى يوم واحد.

لم يضع الشاب وقتاً فى التفكير، قفز بسرعة على حصانه وأطلق الحصان والكلب فى مواجهة التنين وضرب بسيفه يميناً ويساراً وقطع ستة

رؤوس من التنين، وطلب منه التنين هدنة للراحة ووافق الشاب بعد أن أصابه الإعياء.. ولكن التنين حك الرأس الباقية فى الأرض وعاد وركب الرؤوس الستة الأخرى. وعندما رأى الشاب ذلك فهم أنه يجب أن يقطع كل رؤوس التنين مرة واحدة، فحمل على التنين بكل قوته وبضربات متلاحقة من سيفه نجح فى قطع الرؤوس وألسنة التنين السبع وقال لابنة الملك:

- ألديك منديل؟

أعطيت له الأميرة المنديل فوضع الشاب بداخله السبعة ألسنة، ثم ركب الحصان وذهب إلى الفندق ليغير ملابسه التى اتسخت بالغبار والدماء. وليقابل الملك وهو فى أبهى صورة.

وتشاء الظروف أن يسكن بالقرب من الجسر، فحام شديد الدهاء، شرير، عندما شاهد المعركة من بعيد قال لنفسه:

«حسناً، سوف أستغل هذا الشاب الساذج الذى ترك رؤوس التنين على الأرض وذهب يغير ملابسه لكى يظهر بصورة حسنة أمام الملك». ذهب الفحام وجمع رؤوس التنين وأخفاها داخل جوال ومسح سكيناً بدماء التنين وجرى إلى الملك وقال:

- يا جلالة الملك! ها هو أمامكم قاتل التنين وهذه هى رؤوس التنين السبع وهذا هو السكين الذى فصلت به الرؤوس عن الجسد واحدة تلو الأخرى. إذاً أيها الملك هل ستحفظ وعدك وتزوجنى بابنتك الأميرة؟

عندما شاهد الملك بائع الفحم قبيح الشكل شعر بالضيق وقال لنفسه: «هناك شىء غير واضح فى هذه القصة» وأعتقد أن الفتى الشجاع قد لقى حتفه والتهمه التنين ووصل هذا الشخص فى آخر لحظة بعد أن أُنهِكَ التنين تماماً

فضربه الضربة القاضية، على أية حال فكلمة الملك لا ترد. لذا قال له الملك:

- إذا جرى الأمر على هذا النحو فابنتى لك.

فى هذه اللحظة بينما كانت الأميرة تستمع إلى هذا الرد بدأت تصرخ قائلة:

- بائع الفحم كاذب ولم يقتل التنين، بل قتله شاب شجاع وهو فى طريقه الآن إلى القصر.

ولكن الفحام أصر على موقفه وأظهر رؤوس التنين فى الجوال كدليل على صدق كلامه. عندما وجد الملك أن هناك الدليل على صدق كلامه لم يجد مفرّاً من الوفاء بالوعد الذى قطعه وأمر ابنته بأن ترضخ وتستعد للزواج من بائع الفحم. وأمر الملك بإعلان النبأ للشعب وأن يتم تجهيز ثلاث ليال للاحتفال تعد فيها المأدبة الضخمة والاحتفالات ويتم الزفاف فى اليوم الأخير.

فى ذلك الحين وصل القاتل الحقيقى للتنين إلى قصر الملك ولكن الحراس منعوه من الدخول وفى اللحظة نفسها سمع الإعلان عن زواج الأميرة بالفحام. حاول الشاب أن يدخل بأية وسيلة وأراد التحدث مع الملك ولكن الحراس لم يستمعوا إليه ولم يعيروه التفاتاً وبقوا جامدين كالحجارة حتى ظهر بائع الفحم وأمرهم بأن يطردوه فوراً. ولم يبق للمسكين إلا العودة إلى الفندق والتفكير فى كيفية إظهار الحقيقة ومنع هذا الزفاف وكشف الخديعة وإظهار أنه القاتل الحقيقى للتنين.

تم إعداد مأدبة الزفاف ودعا إليها كل النبلاء. جلس بائع الفحم بجوار الأميرة وقد ارتدى بدلة من القطيفة ولأنه كان قصير القامة فقد وضعوا تحته سبع وسادات حتى يبدو أطول من حجمه الحقيقى.

فى الفندق، كان الشاب يقدح زناد فكره وفكر، ونادى الكلب الراقد عند

قدميه وقال له:

- اذهب إلى ابنة الملك وقدم لها تحياتك هى فقط ثم اسكب الحساء على الأرض قبل أن يبدأوا فى تناول الطعام واهرب بسرعة وحذار أن يلحقوا بك.

كان الكلب يفهم كل ما يقوله صاحبه وذهب بسرعة وقفز إلى حجر الأميرة وأخذ يلعق يدها ووجهها. تعرفت الأميرة عليه وفرحت جدّاً برؤيته وهمست فى أذنه تسأله عن صاحبه، شك بائع الفحم فى الأمر وحاول أن يطرد الكلب وفى هذه الأثناء كانوا قد بدأوا فى وضع أطباق الحساء. وها هو الكلب يمسك بطرف السماط بأسنانه ويسحبه فتقع الأطباق كلها على الأرض ويطلق سيقانه للريح ويهرب دون أن يلحق به أحد أو يدرى أين يذهب. وحدث بين المدعوين هرج ومرج وتم تأجيل المأدبة وسبب ذلك الكثير من الشائعات، وعندما أعدت المأدبة مرة أخرى قال الشاب للكلب:

- اذهب وافعل كالأمس.

وعندما شاهدت الأميرة الكلب مرة أخرى انفرجت أساريرها من السعادة بينما كان بائع الفحم يريد طرده بأى شكل ولكن الأميرة دافعت عن الكلب وحاول بائع الفحم معها مستخدماً كل دهائه إلا أنه لم يستطع أن يثنى الأميرة عن رأيها أو يفعل أى شىء.

أيضاً فى هذه المرة ما أن وضعوا الحساء فوق المنضدة، حتى أمسك الكلب بسرعة بطرف السماط ووقع كل ما فوق المنضدة على الأرض وهرب الكلب بسرعة الريح، جرى الكلب وخلفه الحراس والخدم، إلا أنهم لم يستطيعوا اللحاق به.

وفى المأدبة الثالثة قال الشاب للكلب:

- الليلة افعل كما فعلت فى المأدبتين السابقتين ولكن اجعلهم يتعقبونك حتى يصلوا إلىَّ.

نفذ الكلب تعليمات صاحبه بالحرف الواحد وقادهم إليه وقبض الحراس على الشاب وساقوه إلى الملك الذى تعرف عليه وقال له:

- ألست أنت الشاب الذى كان يريد إنقاذ ابنتى من التنين؟

رد الشاب:

- نعم.. أنا هو وقد أنقذتها يا جلالة الملك.

عندما سمع بائع الفحم هذه الكلمات صاح بصوت عالٍ:

- ليس صحيحاً أنا الذى قتلت التنين بيدىَّ هاتين والدليل على هذا رؤوس التنين التى أحضرتها معى.

وأمر أن يتم إحضار رؤوس التنين وأن تلقى تحت أقدام الملك. التفت الشاب إلى الملك ودون أن يهتز قال:

- إذا كان قد أحضر الرؤوس السبع أنا أحضرت فقط الألسنة حتى لا أثقل نفسى بحمل الرؤوس. فلننظر إذا كانت الألسنة داخل الرؤوس السبع.

نظروا داخل الرؤوس فلم يجدوا الألسنة بداخلها وعندئذ أخرج الفتى المنديل من جيبه حيث وضع الألسنة وحكى بالتفصيل كل القصة، ولم يود بائع الفحم الاعتراف بالهزيمة. فطلب منهم أن يدخلوا كل لسان داخل كل رأس ليرى إذا كان حقيقيّاً، وكل مرة تنجح فيها التجربة كانت تقع إحدى الوسادات من تحته حتى وقعت السبع وسادات واختفى تحت المنضدة وهرب بسرعة إلا أن الحراس قبضوا عليه وأمر الملك بإعدامه فى الميدان.

وعم الفرح الجميع وجلس المدعوون وأقيمت مأدبة الزفاف واحتفلوا

بزواج الأميرة وذهب الجيمع إلى النوم.

وفى الصباح استيقظ الشاب وفتح النافذة فوجد غابة مليئة بالطيور ورغب فى الخروج للصيد إلا أن الأميرة نصحته بعدم الذهاب وأخبرته بأن الغابة مسحورة وكل من يدخلها لا يعود منها أبداً. ولكن الشاب الذى كان يهوى المخاطرة، قرر الذهاب والتجربة. أخذ الحصان والكلب والسيف والدرع ورحل.

كان قد اصطاد طيوراً كثيرة وعندما هب إعصار كان يبدو وكأنه نهاية العالم، برق ورعد ومطر ينهمر بغزارة، والشاب قد ابتل بالمياه حتى العظام وفى الليل ضل الطريق الذى نزل منه، ورأى كهفاً آوى إليه. كان كهفاً مليئاً بتماثيل، تماثيل تصور حركات مختلفة وقد صنعت كلها من الرخام الأبيض، ولكن الشاب المتعب والمبلل بالمياه لم ينتبه إلى هذه التماثيل، وجمع الشاب بعض الحطب وأشعل فيه النيران ليجفف ملابسه ويطهو الطيور التى اصطادها. وبعد قليل دخلت الكهف عجوز مبتلة تصطك أسنانها من البرد والمطر وطلبت من الشاب أن يتركها تدفئ نفسها بالقرب من النار. رد الشاب:

- تفضلى يا جدة على الأقل أجد بعض الصحبة.

جلست العجوز وقدمت للشاب ملحاً للطيور المشوية، وللحصان، وعظمة للكلب ودهاناً لدهن السيف، وما أن أكل الشاب، والحصان والكلب ودهن السيف فتحولوا لتماثيل من الملح وظلوا فى مكانهم كما كانوا.

اعتقدت الأميرة بوفاة زوجها عندما لم يعد من رحلته وأمر الملك بإعلان الحداد فى المدينة.

فى الوقت نفسه فى بيت الصياد منذ رحيل الابن الأكبر، كان الجميع يراقبون مرارة السمكة المعلقة فى السقف كل صباح. وذات يوم وجدوا الدماء تتساقط منها حتى إنها غطت المطبخ. عندئذ قال الابن الثانى:

- أخى الأكبر إما أن يكون قد مات أو حدث له مكروه سوف أذهب للبحث عنه.

امتطى الحصان وأخذ معه الكلب والسيف والدرع الذى علقه على يمين رقبته وذراعه وبدأ الرحلة. وفى كل مكان يمر به كان يسأل الناس عن شخص يشبهه تماماً ويسأل إذا كان قد مر بهذه الناحية. كان الجميع يضحكون عليه ويقولون:

- آه ألم تمر أنت من قبل؟

كان يفهم من إجاباتهم أن أخاه قد مر بنفس الطريق فيواصل السير حتى وصل إلى مدينة الملك وعندما شاهده الناس التى ارتدت السواد حزناً على الأمير تعجبت وتساءلت.. «هو.. إنه بالتأكيد! إذاً فهو حى.. يحيا الأمير!».

وقادوه للملك واعتقدوا جميعاً بما فيهم الأميرة. ولامه الملك على تهوره وتظاهر الابن الثانى بالاعتذار وطلب من الأميرة أن تسامحه. وهكذا استطاع أن يدير الحديث بين سؤال وجواب ليعرف كل شىء عن أخيه. وعن زواجه بالأميرة وعن اختفائه. وعندما حان وقت النوم ذهب الأخ الثانى والأميرة إلى حجرتهما ووضع الأخ السيف فى منتصف السرير وقال للأميرة إن كلاً منهما سينام فى جانب منه. لم تفهم الأميرة السبب وخلد كل منهما للنوم. وفى الصباح الباكر ما إن نهض وفتح النافذة ورأى الغابة أمامه حتى قال هو أيضاً:

- أريد أن أذهب للصيد هناك.

ردت الأميرة:

- ألم يكفك الخطر الذى نجوت منه والقلق الذى عانيته بسببك؟

لم يسمع كلامها ورحل بالحصان والكلب والسيف والدرع.

حدث للأخ الثانى ما حدث للأخ الأكبر فى الكهف وتحول هو أيضاً إلى تمثال وعندما وجدت الأميرة أن زوجها لم يعد تيقنت هذه المرة أنه قد مات ولن يعود أبداً وأمر الملك الرعية بارتداء السواد وإعلان الحداد.

فى ذلك الحين تساقطت الدماء من مرارة السمكة وامتلأ المطبخ بالدماء مرة أخرى. لم يتوقف الابن الثالث كثيراً ليفكر فى الأمر وإنما رحل من فوره للبحث عن أخويه وأخذ الحصان والكلب والسيف والدرع وانطلق. وكلما مر ببعض الأشخاص كان يسألهم:

- هل مر من هنا اثنان يشبهاننى تماماً؟

وتجيبه الناس:

- يا لك من شخص غريب تأتى دائماً لتسأل السؤال نفسه! ألم تمر أنت من هنا من قبل؟ هل أنت مجنون؟

كان يفهم من هذه الإجابة أنه اتخذ الطريق السليم للوصول إلى أخويه ووصل إلى المدينة واحتفل به الناس كعائد من الموت واستقبله الملك والأميرة والبلاط وهم يعتقدون أنه الابن الأكبر. وفى المساء ذهب للنوم ووضع السيف على السرير بينه وبين الأميرة ونام كل منهما فى ناحية من السرير. وفى الصباح فتح النافذة وشاهد الغابة وقال:

- الآن سوف أذهب للصيد.

أجابته الأميرة:

- مرة أخرى تتركنى لليأس. أتريد فعلاً أن تهلك نفسك؟ أهذا هو حبك لى؟ أتريد أن تقتلنى من الخوف فى كل مرة؟

ولكن الأخ الثالث كان يتعجل الرحيل للبحث عن أخويه ورحل فوراً. وصل إلى الكهف الذى احتمى به من العاصفة وشاهد التماثيل بداخله واحداً تلو الآخر وتعرف على أخويه. وقال بينه وبين نفسه: «هناك خديعة فى الأمر، يجب أن أبقى مستيقظاً». كان قد أشعل النار لتوه وبدأ فى طهو العصافير، عندما دخلت العجوز وبكل لطف سألته أن يتركها تتدفأ بالقرب من النار، ولكن الشاب نظر إليها باستياء وقال لها:

- اذهبى بعيداً أيتها القبيحة، فأنا لا أريدك بجانبى.

وبدا على العجوز التأثر لهذا الاستقبال وقالت وهى تبكى:

- ألا تشفق على مسكينة مثلى؟ وأنا مع ذلك لدى ما أقدمه إليك لتحضر عشاء أفضل: ملحاً للطيور المشوية، وملحاً للحصان، عظمة للكلب وأيضاً دهاناً للسيف حتى لا يصدأ.

عندئذ قال لها الشاب: أيتها العجوز المحتالة لن تستطيعى أن تفعلى بى ذلك.

صرخ فيها وطُرِحَت أرضاً ووضع ركبته عليها وألصقها بالأرض وباليد اليسرى أمسك برقبتها وباليمنى استل سيفه ووضعه فوق رقبتها وقال لها:

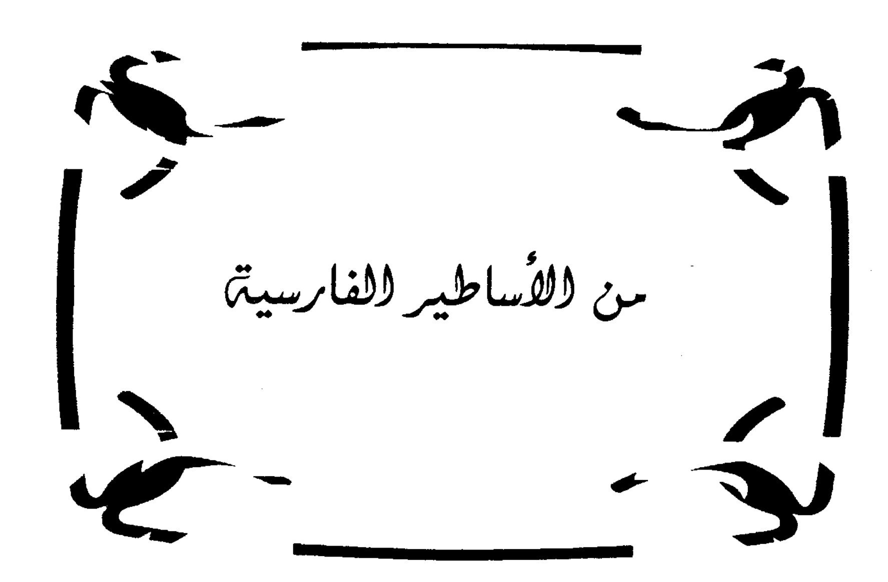
أيتها الساحرة الشريرة إما أن تعيدى إلىَّ أخوىَّ أو أذبحك فى التو واللحظة.

حاولت العجوز أن تعترض بأنها لم تؤذ أحداً ولم تفعل أى شىء ولكن الشاب كان على وشك أن يذبحها ولم يتركها حتى اعترفت بالسحر ووعدته بأن تعطيه، فى مقابل أن يتركها تعيش، وأخرجت من جيبها علبة دهان لإعادة الحياة إلى التماثيل. ولم يفكر الشاب بأن يتركها وإنما وجه السيف

لقلبها وأجبرها على دهان التماثيل. واحداً تلو الآخر حتى عادت التماثيل إلى الحياة وامتلأ بهم الكهف. وعندما تقابل الإخوة عانق كل منهم الآخر فى سعادة ولم يجد الأخوان الكلمات ليشكروا الأخ الثالث. وفى وسط هذا الضجيج، كادت العجوز أن تهرب وكادت تنجح لو لم يدركها الإخوة الثلاثة وقطعوها إرباً بدون رحمة وهكذا انفك سحر الغابة واستولى الأخ الأكبر على الدهان الذى يعيد الحياة إلى الأموات.

فى طريق العودة للمدينة، أخذ المحررون يروى كل منهم للآخر ما حدث له وبدأ الإخوة الثلاثة يتحدثون فيما بينهم ويحكون عما حدث. وعندما سمع الأخ الأكبر أن أخويه قضيا ليلتهما فى الفراش نفسه مع زوجته الأميرة، أفقده الغضب صوابه واستل سيفه وقتل أخويه. وبعد أن فعل ذلك شعر بندم شديد وأراد أن يقتل نفسه بالسيف غير أن الآخرين منعوه. عندئذ تذكر علبة الدهان فى جيبه فدهن جراح أخويه الميتين وها هما يعودان إلى الحياة وكأن شيئاً لم يكن. وهكذا طلب منهما أن يسامحاه وقد غفرا له وشرحا له أن الأمر ليس كما تعتقد وإنما وضعنا السيف فى منتصف السرير. وواصلوا السير إلى المدينة حتى وصلوا إلى الملك ونادوا الأميرة التى ذبلت وجف عودها من البكاء، وعندما نظرت إلى الثلاثة، احتارت ولم تتعرف على زوجها بينهم، إلا أن الابن الأكبر عرفها بنفسه وقدم أخويه إلى الملك الذى زوجهما بابنتين لاثنين من النبلاء المحررين من الكهف وعينهما فى البلاط الملكى واستدعوا أيضاً الصياد العجوز وزوجته.

***



من الأساطير الفارسية

1 - الدودة المقدسة

«هذه الأسطورة واحدة مما كان يتناقله الناس قديماً فى بلاد فارس ويسجلونه من ألوان البطولة والخرافة، ولكن بعض المؤرخين يعتبرونها ذكرى لتربية دودة القز فى إيران وازدهار صناعة الحرير والثراء الذى تيسر للناس منها. وهم يؤكدون أن لها منشأ من الحقيقة مما ذكره التاريخ من أن أردشير ملك الملوك حارب ملكاً على سواحل بحر فارس كان يعظم ويعبد.. وكان يملك دودة القز ويصنع الحرير مما تخرجه.. ويملك من ورائه كنوزاً يخبئها فى مطامير.. ثم استولى عليها كلها ملك الملوك..!».

فى ظل شجرة منعزلة من شجرات التفاح، فى جبل الحدائق بمدينة كخاران، وبين مجموعة نضرة من الفتيات الفاتنات، جلست شيرين وفى يدها مغزل الصوف تحرك بخيوطه أصابعها حركات سريعة دقيقة، وفى عينيها نظرات فيها من الألم أكثر مما فيها من الهدوء.

وكانت شيرين فى جلستها تلك تقضى وقتها كما تقضيه كل يوم فى تبادل الأحاديث مع صديقتها فى شؤونهما الخاصة التى لم تخرج أبداً عن شؤون كل الفتيات الفقيرات فى ذلك العصر.. من الضيق والحاجة.. والفراغ..!

وفى ذلك اليوم لم تسكت شيرين أبداً.. ولم تترك لصاحبتها فرصة الكلام قط. فقد كانت قبل أن تحضر إلى الحديقة قد مرت بإحدى فترات الضيق العنيفة فى البيت، فراحت تحدث صديقتها عما يعانيه أبوها «هفتواز» من الحاجة القاسية بسبب أطفاله السبعة.. الذين يحتاجون إلى كثير من النفقة.. وهو رجل لا حيلة له فى الحصول على ما يكاد يكفيهم.

كانت تتحدث وفى قلبها يضطرم ألم أسود، وفجأة.. سقطت بين قدميها تفاحة ناضجة، فانحنت فوق الأرض وتناولتها، وعرضتها علي صاحبتها التى اعتذرت عن قبولها، ولما كان خواء أمعائها يدعوها إلى أن تقضمها، فقد أهوت بأسنانها عليها لتأكلها.. إلا أنها لم تكد تقضمها حتى توقفت.. فقد كادت أسنانهاتهوى على دودة بيضاء كانت تمتد فى جوف التفاحة.. وأخذتها شفقة عليها، فأعادت القطعة التى قضمتها إلى مكانها.. وقد أبت أن تشبع جوعها بطعام الآخرين، وتركتها للدودة تأكلها على مهل.. ولفتها داخل الصوف الذى تغزله وحملتها معها إلى البيت.

وكان صباح اليوم التالى.

ومدت شيرين يدها تتناول الصوف والمغزل لتبدأ مهمة الصباح.. فإذا بها تفاجأ بأن كمية الغزل قد تضاعفت أضعافاً كثيرة عما كانت عليه فى المساء..

وانطلقت شيرين إلى أبيها فى فرح كبير.. ثم إلى أمها التى لم تكد تسمع القصة حتى أبعدت عنها الغزل فى رعب وهى تقول:

- من أين هذا يا ابنتى.. لابد أنه عفريت ماجن ذلك الذى فعل هذا.. أو لعلها خدعة من عرائس الجن يسلبن بها عقلك وقلبك..!؟

وأجابت شيرين:

- لست أدرى يا أماه.. ولكن لعله الإله رحم أبانا الطيب هفتواز.. فأكثر من الغزل ليزيد من رزقه ويخفف عنه بعض بؤسه وفاقته..!

ومضت الأيام.

وفى كل يوم كانت شيرين تنهض مع الصباح لتجد الغزل ازداد من جديد أضعافاً كثيرة.. وكانت شيرين تعطى الغزل لأبيها فيبيعه.. ويستنفد منه

حاجته وحاجة أولاده.. ويدخر ما يزيد منه إلى الأيام السود التى طالما مرت مثلها به من قبل..!

وأخذت أنظار كل الأسرة تتجه إلى صديقة شيرين الجديدة.. تلك الدودة التى أنزلت السعادة منزلهم منذ نزولها هى به.. فراحوا كلهم يولونها خير عناية.. وأعدوا لها صندوقاً صغيراً مبطناً بالصوف والحرير.

واستغرب الناس تلك السعادة التى غمرت بيت هفتواز.. وذلك التغيير المفاجئ فى حياة أسرته.. وما أكثر ما ابتدع الناس من أسباب لانتقال آل هفتواز من الفقر إلى الغنى.. الغنى الذى ظل يزداد يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر.. حتى أصبح هفتواز يمتلك أموالاً طائلة، وقصوراً فخمة، وحدائق غناء، وأرضاً مخصبة لم يعرف مثلها لواحد بمفرده قط.

وبلغت أحاديث النعمة الجديدة آذان أمير كخاران الذى طمع فى أموال هفتواز فسار إليه ذات يوم فى كتيبة من الجند وقد قرر الاستيلاء على كل ما ملكه الرجل بلا جهد ولا عناء..

ولكن هفتواز وأبناءه السبعة كانوا قد احتطاوا لمثل هذا الأمر وعندما وقعت الواقعة بين الأسرة الصغيرة وكتيبة الأمير الطماع، أظهر الأبناء السبعة من ضروب البطولة ما ذهب بحياة الأمير، وجعل أفراد الكتيبة كلهم يولون الأدبار هاربين.

وهتف أهالى كخاران لهفتواز الذى خلصهم من الأمير الطاغية.. ونادوا به أميراً عليهم لا ينازعه منازع.

واستمر الخير يزداد كل يوم بهفتواز.. وظلت أمواله تزداد وأملاكه تتضخم.. والدودة تزداد هى الأخرى كبراً وضخامة حتى ضاق بها الصندوق

الكبير الذى استبدلوه من قبل بالصندوق الصغير.

وقرر هفتواز أن يحمى إمارته من أية غارة قد يفاجئه بها عدو.. فشيد على قمة جبل الحدائق قلعة عظيمة.. أقام حولها سوراً من الحديد.. ونقل أمواله وخزائنه ونفائسه إلى القلعة.. ثم انتقل إليها ومعه كل أفراد أسرته.. وكل من أحاط به من جنود وأتباع.

أما الدودة العزيزة التى أصبحت فى ضخامة الفيل.. فقد حفر لها هفتواز حوضاً واسعاً فى جوف الصخر، فرشه بفراش لين رطب، وترك لها أن تمرح فيه ما حلا لها المرح، وطابت لها الحركة.. وكانت شيرين هى التى تطعمها كل يوم. كمية هائلة من الأرز، وكمية كبيرة من العسل واللبن.!

وصار أبناء هفتواز السبعة قادة لعشرة آلاف مقاتل من شجعان كخاران. واتسع نفوذه وخضعت لسلطانه كل الإمارات المحيطة بإمارته.. حتى بلغ الأمر آذان ملك الملوك شاهنشاه أردشير.

وغضب الشاهنشاه لاتساع نفوذ الرجل الذى قتل تابعه أمير كخاران فقرر أن يقتله.

وأرسل أردشير جيشاً ضخماً يقوده قائد العجم أصبهيز.. وأمره ألا يعود إلا بعد أن يدمر قلعة الحديد.. ويأتيه برأس هفتواز بعد أن يجعل من مصرعه عبرة لكل طامع فى سلطانه.. تمرد على رجاله..!

وسار الجيش الجرار حتى أحاط بقلعة الحديد مع فجر ذات يوم.. وحمل أصبهيز بفرسانه على أسوار القلعة حملة عارمة. ولم يواجهوا بأية مقاومة حتى بدا لهم كأن تسلق الأسوار أصبح من السهولة بمكان كبير.

وفجأة.. انهارت عليهم سهام غزيرة كالمطر، ذهب معها آلاف من الجند

صرعى ومعهم قائدهم أصبهيز.

وفتحت أبواب القلعة ليخرج منها فرسان سبعة على رأس جيش ضخم. وفوجئ أتباع الملك بالجيش الجرار المنطلق من أبواب القلعة فما عرفوا كيف يهربون.. وراح الموت يحصدهم حصداً، سوى عدد قليل استطاعوا الهرب ليقصوا على شاهنشاه قصة الهزيمة..!

وجن ملك الملوك، وأقسم بالنار المقدسة أن يذهب بنفسه إلى هفتواز فلا يعود عنه إلا وقد جعله عبرة التاريخ.

وعلى رأس جيش بعدد نجوم السماء، سار شاهنشاه أردشير إلى قلعة الحديد، فوجد هفتواز وأبناءه السبعة على رأس رجاله ينتظرون على أبواب كخاران. ونشبت الملحمة قاسية كطوفان، عنيفة كإعصار، محرقة كجهنم. ولم يكفها يوم ولا أيام. بل استمرت شهوراً والحرب سجال بين الفريقين.. والقتلى يتساقطون من هنا وهناك.. والملك يكاد يجن ولا يعرف سر قوة هفتواز..!

وبينما المعركة دائرة.. بلغ شاهنشاه أن الأمير مهرك صاحب مدينة «جهرم» قد ثار على العرش ودهم جنود الملك وأتباعه فى عاصمته.. واستولى على ما فيها من ذخائر وكنوز.

وفوجئ ملك الملوك بالموقف الجديد. فأمر رجاله بالتراجع، وعاد بجنده إلى معسكرهم الذى يبعد عن أسوار قلعة الحديد عدة فراسخ.. وبينما الملك يتشاور مع وزرائه وقواده فى معسكره.. والمائدة ممتدة أمامهم وعليها حمل مشوى.. فوجئ الجميع بسهم مارق يسقط فى مكان القلب من الحمل.

وانتزع الملك السهم ذا النصل العريض فإذا عليه كتابة تقول:

«ها أنت تعلم يا ملك الملوك أننى لو أردت أن أصيبك بهذا السهم

لفعلت.. برغم ما بيننا من عشرات الفراسخ.. وكل ذلك ببركة الدودة البيضاء التى يحتويها قصرى فى قلعة الحديد.. فلتكن لك فى ذلك عبرة ولتذهب إلى عاصمتك قبل أن أفكر فى إرسال سهم جديد..!».

وهنا فقط.. زال غم الملك.. وما كان ليهتم أبداً بالتهديد.. فقد أدرك من هذه الكلمات القليلة التى أرسلها إليه عدوه هفتواز سر قوته.

إنها الدودة السحرية.

والنصر له إذا استطاع أن يقضى على الدودة.. وليكن ذلك فى يوم قريب..!

ونفخ فى البوق إيذاناً بالرحيل.. ورفعت الخيام وتحرك الجيش العظيم.. ووجهته مدينة جهرم حيث أنزل الملك بأميرها الغادر هزيمة ساحقة.. وقتله شر قتلة.. واستولى على قصره ونفائسه.. وأباح مدينته لجنده.. وعاد إلى عاصمته غانماً منصوراً.. لولا ذكرى فشله وهزيمته أمام قلعة الحديد..!

وراحت الشهور تمر وشاهنشاه أردشير يفكر كل يوم ومعه أتباعه فى الوسيلة التى يقضى بها على دودة قلعة الحديد.

وعندما انقضى عام.. كان قد استقر رأيه على السير إلى كخاران.. لينتقم.

وعلى رأس جيش صغير.. سار شاهنشاه أردشير فى طريقه إلى كخاران.. ولكنه لم يهتم بتسليح قواته بقدر ما اهتم بما يحملون من أنواع السلع والأطعمة والأشربة.. التى كان قد قرر أن تكون وسيلة للوصول..!

وانتحى شاهنشاه بجيشه الصغير جانباً فى مكان منعزل من الطريق.. وخرج متخفياً بزى التجار ومعه أحمال كثيرة من مختلف أنواع الأقمشة والأطعمة.. وقدر كبير مملوء بأحسن أنواع الرصاص والنحاس.

ومر الملك فى طريقه بقرية صغيرة على بعد فرسخ من قلعة الحديد..

وراح ينادى على بضاعته التى لا يوجد مثلها حتى فى قصر شاهنشاه. ولا فى قصر هفتواز.. وراح فى كل مكان يسمع تعليقات ساخرة على أهل القصرين.. فما اهتم للسخرية التى أصابته، بقدر ما اهتم للسخرية من هفتواز.. فقد كان كل همه أن يعثر على من تزداد سخريته بهفتواز حد العنف.

ووجد ضالته فى فلاحين يسكنان معاً فى كوخ صغير.. فراح يتحدث إليهما.. ويسألهما عن سر سخريتهما وضيقهما بأمر هفتواز.. فراحا يقصان عليه ما يعانيه الناس من ظلمه وجوره.. ويتمنيان أن يزول سلطانه على يد ملك الملوك..!

واطمأن ملك الملوك إلى حديثهما، فكشف لهما عن نفسه.. واتفق معهما على أن يساعداه فى دخول قلعة الحديد..!

وانطلق الثلاثة من القرية فى زى التجار إلى قلعة هفتواز.. وكلهم يحملون ألواناً زاهية من السلع التى تجتذب الأنظار، وسمح للتجار الثلاثة بدخول باب القلعة الكبير.. وتوجه رئيسهم إلى قائد حرس الدودة البيضاء.. وراح يعرض عليه أزهى ألوان سلعه وبضائعه.. وأخبره أنه تاجر من خراسان جاء ليبيع ويشترى ببركة الدودة البيضاء وطمعا فى الربح الكثير.

وكان قائد الحرس عبوساً قاسياً.. إلا أن عبوسه زال وقسوته لانت عندما قدم التاجر له ولرجاله هدايا من أبدع ما يحمل من ثياب وحرير.. ومن ألذ ما يحمل من ألوان الشراب.. واحتفل الجميع بالهدايا الرائعة.. وقرروا أن يشربوا بضع كئوس فى صحة التاجر الغريب.

وفتحت أوانى الخمر.. ودارت الكئوس لتدور معها رءوس رجال الحرس.. ثم ليستغرقوا فى نوم عميق من أثر المخدر القوى الذى دسه التاجر فى

أوانى الخمر.

وتسلل التجار الثلاثة.. الملك.. والفلاحان.. إلى الحوض الكبير الذى ترقد فيه الدودة البيضاء. ونصبوا القدر علي جانب الحوض وأحرقوا تحته نار قوية.. ولم تكد النيران تذيب ما يحتويه القدر من رصاص ونحاس.. حتى قربوا القدر من الدودة التى ظنته طعامها المعتاد.. ففغرت لهم فمها كأنه باب كهف.

وصب الثلاثة ما بالقدر كله فى جوف الدودة فاحترقت.

وعندما ماتت.. انطفأت معها شعلة الحظ السعيد الذى طالما سطع فى حياة آل هفتواز.

وكان بين ملك الملوك وأتباعه القابعين غير بعيد عن القلعة، إشارة اتفقوا عليها وهى أن يضرم لهم النار ليبصروا لهيبها إذا كان الوقت ليلاً.. أو دخانها إذا كان الوقت نهارا.. ولم تكد القوات تلمح النيران حتى انطلقت إلى أبواب القلعة فوجدوها مفتوحة.. ودارت المعركة رهيبة عنيفة.. إلا أنها كانت كلها فى جانب ملك الملوك.. فلم تمض ساعة حتى كانت القلعة قد انهارت.. وكان أتباع الأمير قد استسلموا.. أما الأمير وفرسانه السبعة.. فكانوا قد قضوا نحبهم فى المعركة.

أما شيرين.. فمنذ ذلك الوقت.. لم يعثر أحد لها على أثر قط..!

***

2 - ولادة زال وابتداء أمره

كان سام بن نريمان بهلوان العالم فى عهد منوجهر وكان يبتهل إلى الله تعالى أن يرزقه ولداً يكون قوة لظهره، وقرة لعينه، وكانت له جارية فحملت منه فلما أخبر بذلك شكر الله تعالى، ولم يزل يعد الليالى والأيام منتظراً طلوع صبح ما ارتجى وحصول ما أراد وابتغى. فولدت ولداً ذكراً كأنه القمر إضاءة غير أن شعره كان أبيض يشتعل شيباً كرؤوس المشايخ الطاعنين فى الأسنان.. فبشر سام بذلك فلما رآه على تلك الهيئة استقبحه، ونفر عنه طبعه، ورفع رأسه إلى السماء وجعل يدعو الله تعالى ويبتهل إليه، ويظن أنه لمعاصيه وذنوبه ابتلاه الله فى ولده بتلك الهيئة القبيحة. وأمر به فأخرج إلى جبل ألبرز، وهو جبل عظيم من جبال الهند، وأصعد به إلى ذلك الجبل، وترك فى بعض شعفاته وحيداً، وكان على رأس الجبل معشش العنقاء.

وكانت تطير فى طلب الرزق لأفراخها، فرأت ذلك الصبى فى مثل ذلك الموضع، فألقى الله تعالى فى قلبها محبة منه فجاءته ورفرفت بجناحها عليه، ثم حملته وحلقت به إلى رأس الجبل، ووضعته بين أفراخها. فكانت تربيه مع أولادها حتى طالت عليه المدة فى قُلة ذلك الجبل، وترعرع بين أفراخ العنقاء فى شعفة الجبل فقضوا العجب من ذلك وتحدثوا به. حتى بلغ الخبر إلى سام ورأى هو أيضاً فى منامه ليلة كأن رسولاً جاء على فرس كالبرق الخاطف فأعلمه أن ولده علي بعض الجبال فانتبه وأحضر الحكماء والمعبرين وسألهم عن حال رؤياه. فعبروها على أن الله تعالى لما رأى جفاءك على ولدك حين أبعدته ونفيته وطرحته على بعض الجبال وحيداً

فريداً تعطف برحمته عليه فرباه ووقاه، وهو حى يرزق فتوجه إلى الجبل وتضرع إلى الله وتب إليه فإنه يرد عليك ولدك.. ففعل ذلك وأقبل على تلك الجبال يدور فى مخارمها وشعابها وحيداً، ويبكى ويتضرع إلى الله ويسأله أن يرد عليه ابنه قال: فألهم الله العنقاء أنه إنما يدور فى هذه المخارم والشعاب لطلب ولده ذلك.

فحلقت نحوه، وكانت سمته «دستان» وقال: إن أباك قد جاء، وهو يدور فى هذه الجبال محترق القلب، منسكب الدمع عليك، وقد ربيتك مثل أفراخى، وأنت أعز على من روحى. ورأيي أن أحملك بين جناحى إلى أبيك، فإنك ستصير ملكاً من الملوك، ويعظم شأنك بين الخلق وأنا أعطيك من جناحى ريشة، فإذا حزيك أمر مهم فاحرقها فإنى سأحضر للوقت وأقضى حاجتك. فحملته وحلقت به ثم رفرفت حوالى سام، ووضعته بين يديه، فرأى شخصاً قد أفرغ فى قالب الجمال، رشيق القد كالغص المائل، صبيح الوجه كالبدر الكامل فخر ساجدّاً لله تعالى يعفر وجهه فى التراب ويشكره على ما أكرمه به من رد ولده وقرة عينه عليه. وعاهد الله تعالى وأشهده على نفسه ألا يوحش بعد ذلك قلبه، ولا يضيق صدره. وأطلق لسانه بالثناء على العنقاء لحسن صنيعها مع ولده. ثم انحدر به من ذلك الجبل كالليث المشبل وكساه قباء فكان ملأه رونقاً وبهاء وعزّاً وسناء. فلما رأى العسكر «سام» قد أسهل مع ابنه «دستان» رفعوا أصواتهم بالبَشارات، وكاد الطرب يسلب عقولهم، وأقبلوا راجعين إلى المدينة منوجهر.

فأنفذ ابنه نوذر إلى سام للتهنئة بما يسر الله له من رجوع ولده إليه. وأمره بالركوب مع دستان إلى الحضرة فى أسرع زمان وأقرب أوان، فلما وصل نوذر إلى سام خرج مبادراً وخيم بظاهر البلد فنجز أموره، ورتب

أسبابه، ونهض مع دستان متوجهاً نحو الحضرة فلم يزل يصل السير بالسرى حتى وصل إلى مستقر سرير السلطنة. فخرج منوجهر لاستقباله فى مواكب جنوده، تحت أعلامه وبنوده فلما رأى سام درفشه الميمون ولواءه المنصور ترجل إجلالاً، وقبل الأرض إعظاماً وإكباراً فأوسعه الملك برّاً وإلطافاً، وأمره بالركوب. فسار إلى دار المملكة، وجلس على سرير الذهب، وأجلسه عن يمينه، وأجلس قارن عن يساره. وأمره الحاجب الكبير بإحضار دستان. فخرج وأخذ بيد دستان وأدخله علي الملك مشدود الخصر بمنطقة مرصعة باليواقيت، معصوب الرأس بإكليل من الذهب، على كاهله جرز كقطعة من الجبل، وكأنه يحكى بذلك الرأس الأبيض والوجه الأزهر، تحت إكليل الذهب الأحمر، صورة القمر بعد التسع والخمس، متوجاً بعين الشمس، فملأ عين الملك بشكله وشمائله، وما لاح فيه من أمارات العز ومخايله.. ففرح بلقائه وشكر الله تعالى على ما رزقه من الاكتحال بوجهه، والاستظهار به ليومه وغده، وقربه من بساطه ومسح عينه ووجهه بيده. ثم أقبل على سام واستخبره عن أحواله وكيفية استنزاله من معشش العنقاء وشعفات تلك الجبال. فسرد لديه حكايته من أول ميلاده إلى يومه ذلك. فلما سمع الملك ذلك أمر بإحضار المنجمين وسألهم عن طالع دستان وما قر الله له من المقامات، وكتب على يده من الوقائع. فنظروا فى ذلك وتدبروا ثم جاءوا إلى الملك مبشرين بسعادة طالعه، ويمن نقيبته. فسر الملك بذلك وأمر لهم بمال عظيم. ثم قال لسام: هذا وديعتى عندك، وهو على أعز من إحدى عينى. وشرط عليه أن يعلمه بمكارم الأخلاق وآداب الملوك ومراسمهم فى حالتى الحل والترحال، والسلم والقتال. ثم أمر له بخلعة راقت العيون وشرحت الصدور، من الديباج المنسوجة بالذهب والمرصعة بالجواهر

الثمينة، بأطباق من اليواقيت واللآلئ، وعدد من الخيول العتاق، وجماعة من روقة الغلمان الرشاق، وعقد له لواء عظيماً، ووقع له بجميع ممالك الهند والسند وما والاهما من الممالك. فتوجه إلى تلك الولايات فى مواكب العزِّ والإقبال، وكواكب المجد والجلال.

فاستقر بها على سرير الملك ينهى ويأمر حتى استنهضه الملك فى بعض المهمات السانحة، وهو استخلاص مملكة مازندران التى استولى عليها بعض العتاة المعاندين والعداة المارقين. فدعا بابنه دستان واستنابه فى مملكته، وأمر أركان دولته وأعيان حضرته بالتوفر على خدمته وإقامة مراسم طاعته. وأمر الوزراء والنصحاء ومن ندبهم لمنادمته ومجالسته من الكفاة الأذكياء والعلماء الأتقياء بتحريضه على مكارم السير، وتأديبه بمحاسن الشيم ثم أذن له فى الطرد والصيد متوجهاً حيثما أراد من أطراف المملكة، فودعه وانحدر على مقتضى الامتثال إلى أرض مازندران لما ندب له من استخلاص تلك الممالك وقتال من استولى عليها من المخالفين المعاندين.

***

3 - رستم وملك الجن

«كان الفرس يتغنون ببطولة رستم.. بطل الأبطال.. حتى لقد سموا قوس قزح.. بقوس رستم. وكانوا يبالغون فى بطولته حتى نسبوا إليه الخوارق. ولم يكتفوا بانتصاراته الرائعة على جيوش الإنس. بل نسبوا إليه حروباً أخرى ينتصر فيها على الجن والشياطين والسحرة أيضاً..

أما مسرح هذه الأسطورة، فبلاد مازندران أى طبرستان، والتى يسمونها أرض الجن الأبيض.. لأنهم كانوا بيض الوجوه.. واستطاعوا ذات يوم القضاء علي جيش مصقلة أحد قوات معاوية إذ فاجأوه من فوق الجبال بوابل من الحجارة والصخور.. حتى هلك أكثره.. ولعل هذا هو سبب تسميتهم بالجن.. ولعل فى طبيعة أرضهم ومضايقها ما يفسر مغامرات هذه الأسطورة».

كان «قابوس» ملك فارس، جالساً على سرير ملكه حين وقف ببابه مغن حاذق من بلد مازندران، وكان الملك مولعاً بالشعر والغناء، فأذن للغريب بالدخول عليه وتقديم بعض ألحانه.

وأخرج الغريب عوده، وجس أوتاره، ثم انطلق فى صوت كأنه الطيب، يصف جنان الخلد التى تضمها مازندران، ويحكى أقاصيص الهوى والعشق التى تعيش فيها عذاراها الرائعات. وطرب الملك للغناء، بقدر ما اشتاق إلى تلك البلاد التى لم يذهب إليها من جيوش أجداده جيش قط. وفى غمرة النشوة بالطرب والشوق، قرر «قابوس» أن يستولى على بلاد الجنة.. وأن يجعل له عاصمة هناك..!

وأخذت الرعدة كل من بالمجلس.. فما من أحد إلا ويعرف أن مازندران مأوى الشياطين وموطن السحرة.. يعيشون فيها جنباً لجنب مع السباع والنمور والدببة والذئاب. ولكن أحداً من رجال القصر لم يجرؤ على رد الملك عما ارتآه.. حتى جؤذر قائد الجيش امتثل للأمر، ولم يستطع إلا أن يأمر كل قواته بالاستعداد للخروج للمعركة الجديدة.. وعلى رأسها قابوس نفسه.. ملك الفرس.

ونزلت جيوش «قابوس» على حدود مازندران. وانقض رجال الطليعة على المدينة التى لم تكن قد استعدت بعد، فلم تدر إلا وحشود هائلة تخترق أبوابها، وسيوف طويلة تقتلع رءوس الصغار قبل الكبار.. ومشاعل من نار تحرق وتدمر.. ولا تبقى من بيوتها ومغانيها شيئاً قط.

وبلغ أمر الهجوم آذان ملك البلاد. فألم به الحزن، ثم رفع رأسه ينادى أحد جنود الجن عرف بالمكر والدهاء.. وأمره أن ينطلق إلى سبيذديو ملك الجن يخبره بما صنع قابوس..!

وانتفض ملك الجن حين سمع النبأ.. ولم يكد الليل يهبط حتى كان قد انقض فى جنوده على معسكر «قابوس» فأطبق عليه إطباق السحاب، وأمطر عليه من السماء حجارة ونصالا.. ثم أرسل جحافل الظلمة تحوطه من كل جانب، وتجعل الجيوش فى أعماق ليل دائم طويل.

وأطل رجال الفرس، فإذا بهم غارقون فى بحر أسود كأنه القار، لا يرى أحد من حوله شيئاً، ولا يبصر إذا أراد حتى كفه. وعندما اطمأن ملك الجن سبيذديو إلى أن أعداءه قد حبستهم الظلمة، ولم يعودوا يرون قمراً ولا شمساً قط.. وكل بهم اثنى عشر ألفاً من الشياطين تحوطهم وتمنعهم.. وأمرهم ألا

تسمح لأحد بالخروج سوى واحد فقط.. ليذهب إلى أهل بلده يقص عليهم الأمر ليعتبروا.. وليعرفوا أن الهجوم على إقليم الجن والشياطين ليس من ورائه سوى الخسران..!

واستطاع رسول «قابوس» أن ينفذ فعلاً من الحصار. ولكنه لم يذهب إلى بلاده. بل انطلق إلى الملك دستان وهو أبو رستم يستغيث به.. ويطلب النجدة منه والغوث على جيوش ملك الجن..!

وحزن دستان لما ألم بصديقه قابوس، واقبل على ولده رستم البهلوان وقال له:

إلى النجدة أيها الفارس الذى إن حارب البحار صارت دماء.. وإن كافح الجبال عادت فضاء.. جرد سيفك وخذ فرسك وانهض إلى مازندران، تدق عنق ملكها وتخلص الأرض من شرور جنها. فإذا بدأت السير فلا تأخذ الطريق الطويل السهل بل خذ أقصر الطرق لتكون أسرع إلى النجدة.. فهو لا يزيد عن مسيرة أربعة عشر يوماً.. على أن تحذر خلاله ما يحتويه من شياطين وسباع.. وسأنهض أنا لأسجد لرب السموات أن يحميك ويحرسك ويردك إلى أبيك مرفوع الرأس منصوراً..!

ونهض رستم فلبس سلاحه وركب فرسه «الرخش» فكأنه فيل على فرس.. وانطلق فى الطريق الوعر الشاق ليكون أقرب إلى نجدة من استنجد.. وإغاثة من استغاث.

وراح رستم يخترق الصحارى الواسعة التى تلتهب أرضها بالنيران، ولا من أنيس له غير سيفه وفرسه.. وظل يمضى مع النهار ومع الليل حتى انقضى يومان لم يأكل خلالهما شيئاً من طعام قط. فلما انتبه إلى نفسه

وأحس الجوع، أطل حوله يبحث عن صيد، فإذا حمار وحش يروح هنا وهناك فانقض عليه فى لحظة وصرعه.. ثم شواه على نار أوقدها وأتى عليه جميعه.. وعندما أحس رستم بالشبع، أوى إلى ظل قصب هناك.. وترك فرسه «الرخش» يرعى فى أجمة بين يديه.. واستسلم هو لنوم عميق.

ولم يكد رستم ينام حتى خرج من الغابة أسد راح يقترب فى بطء من البطل الراقد كركن جبل، وانتبه «الرخش» فوثب عليه، وضربه بقائمتيه ففلق رأسه ومزق جلده، وتركه غارقاً فى لجة من الدم. وعندما استيقظ رستم ورأى صنيع فرسه، أقبل عليه ومسح غرته بيده وقال له: لو انتبهت لكفيتك شر القتال.

وعاد رستم يسير فى الطريق الموحش من جديد.. وطالت مرحلة السير، والهجير يشتد حتى بلغ به العطش حد الهلاك. وكاد رستم أن يقع على الأرض حين لاح له غزال أعاد إليه نشاطه، فحث فرسه وأسرع خلفه.. فإذا الغزال يقف عند عين ماء يشرب منها ثم يستأنف عدوه.

وإذا رأى رستم الماء توقف عنده، وشرب وسقى فرسه.. ولم يتبع الغزال إذ حمد له أن هداه إلى الماء.. ثم عاد يستأنف سيره حتى جاع، فاصطاد حمار وحش شواه وأكله.. ثم استلقى لينام.

وبينما هو نائم خرج عليه تنين هائل تحرق أنفاسه ما حوله من الحشائش ولم يكد الفرس يراه حتى أسرع إلى رستم فأيقظه بصهيله، وضرب حوافره فى الأرض، وإذ رأى رستم التنين حمل سيفه وهاجمه، ونشبت بينهما معركة طويلة دامية كادت تنتهى بهزيمة البطل، لولا أن نهض الفرس لمساعدة سيده، وحمل على التنين وقضم كتفه بأسنانه فقطعه، وانقلب التنين على ظهره فألقمه رستم السيف فشقه، ثم رجع إلى العين فاغتسل بمائها، ومضى

لسبيله من جديد.

استمر رستم فى سيره يخترق الفيافى والقفار حتى بلغ لأول مرة أرضاً خصبة كثيرة الخيرات. فأرسل فرسه يرعى، واتكأ ليستريح وإذ هو كذلك جاءه ناطور تلك الأرض وزعق طالباً منه إبعاد فرسه عن أكل الزرع، وضربه على رجله بعصا كانت معه. وثار غضب رستم، وهجم عليه وجذبه من أذنيه فاقتلعهما وحمل الناطور أذنيه الداميتين، وعدا هاربا إلى «أولاذ» ملك الناحية. فانطلق هذا ومعه حرسه إلى حيث كان رستم الذى ركب فرسه وحمل عليهم ووقع فيهم كما يقع الأسد الهائج بين قطيع من الغنم. وتساقطت رءوس أصحاب أولاذ الذى انطلق يلتمس الهرب.. غير أن رستم عدا خلفه وقبض عليه.. وشد وثاقه وألقى به مقيداً بين قدميه..

وقال رستم يخاطب أولاذ:

- الآن أطلب منك طلباً وأعطيك عهدا.. فان أنت دللتنى على ملك الجن سبيذديو وأوصلتنى إلى المكان الذى حبس فيه الملك قابوس.. جعلتك ملكاً على عرش مازندران..

وقبل أولاذ الاتفاق.. ففك رستم قيده، وجعله يسير بين يديه ليدله أولاً على مكان قابوس.. وبينما هما فى الطريق إذ شهد رستم عن بعد نيراناً موقدة وشموعاً مشتعلة، سأل عنها أولاذ فأجابه:

- ذلك يا سيدى باب مدينة مازندران يحرسه قواد ملك الجن وجنودهم.. وهم لا ينامون ثلثي الليل.

فانتظر رستم حتى جاء الثلث الأخير الذى يستسلم فيه الجن للنوم فحمل عليهم. وخرج له قائد الجن «أرزنك» واشتبك معه فى صراع هائل عنيف..

انتهى عندما أنشب رستم براثنه فى عنقه، واقتلع رأسه فحملها على حد السيف. وشهد جند الجن ما صنع رستم بقائدهم ففروا هاربين.. وعاد هو يسير مع دليله أولاذ إلى حيث يلتقى بقابوس..

ووجد رستم الملك قابوس غارقاً فى الظلمة، قد عمى بصره وأحيط به مع كل جيشه، واستقبله «قابوس» والجيش فى فرح رائع، ثم طلب منه أن يسرع بمفاجأة سبيذديو ملك الجن قبل أن يبلغه نبأ مقتل قائده. وقبل أن يعلم بمجيئه. وقال له: إن العمى الذى أصابه لا يشفى إلا إذا اكتحلت عيناه بدم كبد ملك الجن.

ومضى رستم وأمامه دليله الملك أولاذ، وراحا يسيران مخترقين جبالاً سبعة هى التى تفصلهما عن المغارة التى يقيم فيها ملك الجن. وخلال الطريق أخبر أولاذ رستم أن الجن ينامون إذا حميت الشمس.. ويكون ذلك الوقت هو خير الأوقات لمهاجمتهم.

وانتظر رستم حتى ارتفعت الشمس. وإذ جاء الضحى امتطى فرسه وهاجم الشياطين وراح يعمل فيهم سيفه يميناً ويساراً حتى بلغ باب المغارة فوجدها غارقة فى الظلمات. ولم يعبأ رستم بالظلام بل اقتحم المغارة بفرسه يطلب سرير ملك الجن. وعندما بلغه وجد سبيذديو واقفاً ووجهه أسود كالليل، وعيناه يندلع منهما لهيب كالجحيم.. وشعره الأبيض يتشعب فوق رأسه.. ولما رأى ملك الجن رستم وثب عليه فى حنق.. وانتبه رستم، ورفع سيفه ثم انقض به على ساق سبيذديو فقطعها.. والتحم الاثنان فى قتال مر عنيف.. كان الدم ينزف خلاله من جرح الجنى غزيراً يضع حدّاً لمقاومته.. ويسلمه لهزيمة سريعة قاسية.

وكان لابد لرستم أن ينتصر بعد أن بدأ سبيذديو ينهار ويتساقط. وهنا

رماه رستم فى عنف على الأرض فسقط.. وانقض عليه بسيفه فقضى عليه. وعندما اطمأن إلى موته انحنى عليه وقد استل خنجره وشق به جنبه واستخرج كبده.. ثم غادر المغارة فى زهو، وانطلق معه أولاذ إلى حيث كان «قابوس» لا يزال ينتظر فبشره بمقتل عدوه، وقدم له الكبد الذى طلبه.. وشكره الملك وأثنى عليه، ثم اكتحل بقطرات من دم كبد الجنى فعاد إليه بصره.. ورأى من حوله كل شىء.

واحتفل ملك فارس وقواده ومعهم رستم وأولاذ بالنصر الكبير سبعة أيام كاملة. وعندما جاء اليوم الثامن انطلقوا شاهرين سيوفهم فانتشروا فى مدينة مازندران.. وأعملوا فيها الضرب والقتل بعد أن فتحوها.. ثم قرروا أن يرسلوا إلى ملكها يطلبون منه التسليم، أو يقتحمون كل أملاكه وينزلون به أمر القضاء..!

ونهض رستم طالباً أن يكون هو نفسه رسول «قابوس» إلي ملك مازندران. وانطلق البطل على «الرخش» حتى بلغ مكان الملك الذى أمر قواد الجن وخير الفرسان وأبرع الشجعان ليكونوا فى استقبال رستم.. وليطلعوه على مدى قوتهم.

وشهد رستم من بعيد مستقبليه، فمال على شجرة قريبة ورفعها كما ترفع عصا الخيزران، واقترب بها منهم ثم رماها عليهم، فاضطرب شملهم وكاد يقع أكثرهم بين قتيل وجريح.

واقترب أحد أبطالهم من بطل الفرس وقبض على يده.. ولكن هذا ما اهتم بالضغط العنيف الذى راح الفارس يضغطه على يده، فلما انتهى، مد هو يده إليه وعصر كفه حتى تغير لونه وشحب وجهه.. وبدأ يصرخ.

وسمع الملك بما كان، فدعا إليه جنيّاً يسمى كلاهور هو أقوى من فى

معسكره، فأمره باستقبال الرسول وإظهار قوته أمامه. ومد كلاهور يده إلى يد رستم فعصرها حتى صارت زرقاء كالسماء.. ولم يبد على وجه رستم شيء من الألم وعندما جاء دوره ليحيى كلاهور، عصر كفه حتى تساقطت أظفاره.. وصرخ الجنى وانطلق إلى الملك يغلى ويرتعد ويقول له: السلم خير لك من الحرب يا مولاى.. فلا قدة لنا على مقاومة مثل هذا الوحش..!

وفى تلك اللحظة دخل رستم.. فأجلسه الملك فى مكان يليق به، وطلب أن يبلغه الرسالة التى يحملها.

وألقى رستم بما لديه.. فى صوت جهورى عنيف.. ولم يكد ينتهى حتى ثار غضب الملك وقال له:

- قل لقابوس: إن كنت ملك فارس، فأنا ملك مازندران المستقر على عرشها الخالد أبداً.. فارجع إلى مملكتك ولا تحدث نفسك بالاستيلاء على عروش الملوك.. فإنى إذا زحفت فى جيوشى نحوك لم تعرف رأسك من ذنبك.. وإنى إذا واجهتك فى مأزق الحرب حسمت موقفك بسيفى الصارم الذى لا يخيب..!

وغضب رستم من رد الملك وانطلق عائداً إلى قابوس فأخبره بما حدث. وطلب منه أن يتأهب ويتقدم للقتال.

وكان ملك مازندران قد استعد منذ خرج رستم من حضرته، فأمر بضرب العسكر فى ظاهر المدينة، وانطلق فى جيش جرار لا حصر له آخذاً طريقه لاستقبال جيوش رستم وقابوس. والتقى الجيشان. وتقدم فارس جنى عملاق من أصحاب ملك مازندران يسمى جويا يسأل هل من مبارز..!؟ ولم يجبه أحد من أصحاب قابوس إذ سيطر عليهم الرعب من منظر الجنى غير أن

رستم استأذن ملكه فى مبارزة الجنى.

وإذ أذن الملك نهض رستم ورفع رمحه وانطلق لمبارزة فارس الجن.

وبدأت المبارزة عنيفة راح كل منهما يدور حول نفسه خلالها مرات. وكاد رستم يفقد النصر، لولا أن تمكن من الدوران فى سرعة خلف الجنى، ووضع سنان رمحه بين كتفيه. ثم رفعه عليه كالطير على السفود.. وألقى به وسط جيشه صريعاً مضرجاً بالدم.

وتعجب أسود مازندران وشياطينها.. وملأت الرعدة قلوبهم، إلا أنهم اضطروا للامتثال لأوامر الملك حين أمرهم بالهجوم على رستم وجيوشه..

وارتفعت من الجانبين أصوات الطبول.. ودارت المعركة وارتجفت الأرض وأظلمت الآفاق.. وراحت الفرسان تتصاول والجيوش تتلاحق.. والنصر يتأرجح بين هذا وذاك.

ومر أسبوع كامل والقتال لا يريد أن ينتهى. عندئذ برز رستم يطلب مبارزة ملك مازندران نفسه. وانتفض الملك غاضباً وانطلق من بين رجاله وهو يطلق صرخة غضب عنيف.. وانقض على بطل الأبطال.

وكان الملك قويّاً مارداً.. راح يهاجم رستم فى عنف كاد يكتسب معه النصر. لولا أن رستم تحين فرصة طعن خلالها الملك فى خاصرته طعنة ألقت به على الأرض من فوق ظهر فرسه.

وعندما سقط الملك سحر نفسه فى سرعة ليبدو أمام الناس صخرة عظيمة لا يقدر على زحزحتها أحد. ولكن رستم، وقد أدرك ما فعل الملك، تناول الصخرة العظيمة ورفعها فوق رأسه، وسار بها والناس من حوله يعجبون، حتى وصل بها خيمة قابوس.

وطرح رستم الصخرة العظيمة أمام صاحبه.. وخاطب الملك الساحر قائلاً:

- إذا لم تخرج عن شكلك هذا حطمتك بالمعاول والفئوس.

وارتجفت الصخرة لتعود من جديد إلى صورتها الأولى.. وانحنى الملك إذ عاد إلى صورته وراح يستجدى عفو قابوس.. إلا أن هذا أمر الجلاد بقطع رأسه.. ورفعه على سنان الرمح ليريه للناس!.

وانطلقت جيوش قابوس تجمع الغنائم والأسلاب، وتحصى الجواهر والذخائر.. على حين دعا رستم أولاذ ليسمع من بين شفتى قابوس أمر تتويجه ملكاً على مازندران تنفيذاً للوعد الذى قطعه على نفسه من قبل.

وانطلق رستم مع الملك قابوس عائدين إلى الوطن فى مواكب رائعة لم يعرف لها مثل قط..

***

ومضت الأيام تجرى..

وذات يوم.. جاء إلى الملك من يقول له: إن حماراً وحشيّاً كأنه الأسد قد استقر فى الصحراء القريبة من مرابط الخيل، وراح يهاجم خيول الملك ويقضى عليها واحداً فى إثر آخر، وأدرك الملك أن ذلك الحيوان لا يمكن أن يكون حمار وحش.. فطلب من رستم أن ينطلق فيحذر الأمر.. ويقضى على الوحش أينما كان.

وركب رستم فرسه «الرخش».. وخرج إلى الصحراء، فمكث أياماً ثلاثة يدور فى مروجها ومراعيها.. ولكن الوحش لم يبد منه شىء قط..

وجاء يوم رابع.. لم يكد ينقضى نصفه حتى ظهر الوحش وهو يقترب من مرابط الخيل.. وخرج له رستم من مخبئه فلم يكد يراه حتى راح يجرى

فى سرعة الريح هارباً.. وأسرع رستم خلفه، ورفع رمحه ليطلقه عليه.. وفى تلك اللحظة اختفى الوحش كأنما قد ابتلعته الأرض.. وهنا اقتنع رستم أنه لم يكن حمار وحش قط.. ولكنه «أكوان» الجني.. جاء لينتقم لمن مات من الجن فى بطاح مازندران..

وقرر رستم ألا يترك ذلك المكان.. وأن يظل مقيماً فيه حتى يضطر الجنى للظهور من جديد.

ولم يمض يوم واحد حتى كان أكوان الجنى قد خرج من نفس المكان الذى اختفى فيه.. وإذ شهده رستم انطلق خلفه فى سرعة هائلة.. وبدأ سباق عنيف لم تشهد مثله الأرض.. استمر أياماً ثلاثة كاملة..

وعندما انتهت الأيام الثلاثة كان الجهد قد أخذ برستم، وبدأ النوم يغالبه..

وانحنى رستم على روضة معشبة.. فدخلها ونزل عن فرسه، وخلع لجامه وحط سرجه وأطلقه يرعى.. ثم فرش لنفسه اللبد على حافة ماء العين واتكأ يستريح، فأخذه النوم..

وفى تلك اللحظة ظهر الجنى واقترب منه.. فلما رآه نائماً فى سلاحه لم يجرؤ على الاقتراب منه.. ولكن الفرصة كانت سانحة نادرة.. وحتى لا يضيع الفرصة حفر الأرض من حول رستم النائم، ورفع قطعة الأرض كاملة فى الهواء.. ثم راح يجرى به هنا وهناك.. ويفكر فى الطريقة التى ينتقم بها منه..!

واستيقظ رستم فوجد نفسه على تلك الحال. وندم إذ نسى نفسه فنام، وراح يفكر فى طريقة الخلاص من براثن الجني.

وأحس الجني بحركته، وعرف أنه استيقظ، فقال له يخاطبه:

- أيهما أحب إليك.. أن أرميك بين الجبال والصحارى.. أم أن أقذف

بك فى أعماق المحيط؟

وفكر رستم قبل أن يجيب.. وسمع صوتاً فى أعماقه يقول له:

- إذا هو ألقاك فى الجبال والتلال الوعرة تطايرت أوصالك وتحطمت بدداً فوق الصخور.. والماء فى هذه الحالة هو خير الشرين.. ولكن احذر دهاء الجنى.. فإنك إن قلت له اقذفنى فى البحر خالفك ولم يرمك إلا على الجبال والوهاد.. فهو سيعمل ضد رغبتك.. فاطلب منه عكس ما تريد..

وقال رستم يخاطب أكوان الجنى:

- اطرحنى على الجبال وفى الغاب أحطم قلوب السباع وأشهدها على قوتى وجبروتى..!

ضحك أكوان فى سخرية وهو يقول:

- أما زلت تدعى الشجاعة والجبروت..؟! إذاً لأرمينك فى مكان لا ترى فيه حيّاً ولا ميتاً..!

وأسرع أكوان الجنى إلى البحر فألقى برستم فيه. ثم عاد وهو ينفض يديه وكأنه قد تخلص من حمل مخيف..

ولم يكد رستم يسقط فى الماء.. حتى أطاحت به التماسيح وسباع البحر تريد قتله.. فاستل بيمينيه السيف، وراح يضرب هنا وهناك على حين أن يده اليسرى تسبح لتبلغ به الشاطئ.

وخرج رستم من الماء، فخلع سلاحه، واغتسل، ثم وضع السلاح وعاد إلى العين التى سبق أن نام إلى جوارها أول مرة.. وهناك قرر ألا يبرح المكان حتى يظهر الجني من جديد ليلقى عليه درساً لا ينساه أبداً..

وفجأة ظهر الجني وقال له:

- ألا تزال بك رغبة فى القتال والنزال..؟! أما سئمت تلك الهزائم التى تتوالى عليك.. وتريد أن تعود من جديد لتجلب لنفسك هزائم أخرى..؟!

ولم يترك له رستم الفرصة ليتم حديثه.. وفى لحظة.. انقض رستم برمحه فى قوة فاخترق قلب الجني قبل أن ينتبه إلى نفسه.. وإذا به ينهار وينحط على الأرض وكأنه الجبل.. ومد رستم يده بالسيف فاجتز عنقه.. وحمل رأسه على سنان الرمح ليدور به فى كل مكان من عاصمة قابوس..

واستمر ركب الحياة يسير..!

***

4 - طائر البحر وزوجه

زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر، ومعه زوجة له، فلما جاء أوان تفريخها قالت الأنثى للذكر:

- لو التمسنا مكاناً حريزاً نفرخ فيه، فإنى أخشى من وكيل البحر إذا مد البماء أن يذهب بفراخنا.

فقال لها:

- أفرخى مكانك، فإنه موافق لنا، والماء والزهر منا قريبٌ.

قالت له:

- يا غافل ليحسن نظرك فإنى أخاف وكيل البحر أن يذهب بفراخنا.

فقال لها:

- أفرخى مكانك، فإنه لا يفعل ذلك.

فقالت له:

- ما أشد تعنتك! أما تذكر وعيده وتهديده إياك؟ ألا تعرف نفسك وقدرك؟ فأبى أن يطيعها، فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها، قالت له:

- إن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين.

قال الذكر:

- وكيف كان ذلك؟

قالت الأنثى:

- زعموا أن غديراً كان عنده عشبٌ، وكان فيه بطتان وكان فى الغدير

سلحفاةٌ، بينها وبين البطتين مودةٌ وصداقةٌ فاتفق أن غيض ذلك الماء، فجاءت البطتان لوداع السلحفاة، وقالتا:

- السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه.

فقالت:

- إنما يبين نقصان الماء على مثلى، فإنى كالسفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء. فأما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما. فاذهبا بى معكما.

قالتا لها:

- نعم.

قالت:

- كيف السبيل إلى حملى؟

قالتا:

- نأخذ بطرفى عود، وتتعلقين بوسطه، ونطير بك فى الجو. وإياك. إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقى.

ثم أخذتاها فطارتا بها فى الجو. فقال الناس:

- عجيبٌ، سلحفاة بين بطتين، قد حملتاها.

فلما سمعت ذلك قالت:

- فقأ الله أعينكم أيها الناس.

فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت.

قال الذكر:

- قد سمعت مقالتك، فلا تخافى وكيل البحر.

فلما مد الماء ذهب بفراخها. فقالت الأنثى:

- قد عرفت فى بدء الأمر أن هذا كائنٌ.

قال الذكر:

- سوف أنتقم منه.

ثم مضى إلى جماعة الطير فقال لهن:

- إنكن أخواتى وثقاتى، فأعنني.

قلن: ما تريد أن نفعل؟

قال:

- تجتمعن وتذهبن معى إلى سائر الطير، فنشكو إليهن ما لقيت من وكيل البحر، ونقول لهن: إنكن طيرٌ مثلنا، فأعننا.

فقالت له جماعة الطير:

- إن العنقاء هى سيدتنا وملكتنا، فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها، فتظهر لنا، فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر، ونسألها أن تنتقم لنا بقوة ملكها.

ثم إنهن ذهبن إليها مع الطيطوى، فاستغثتها، وصحن بها، فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن، وسألنها أن تسير معن إلى محاربة وكيل البحر، فأجابتهن إلى ذلك، فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصدته فى جماعة الطير خاف من محاربة ملكٍ لا طاقة له به. فرد فراخ الطيطوى، وصالحه فرجعت العنقاء عنه.

***

5 - الملك رضوان والأميرة شهرستانى

«لم تعرف الأساطير الفارسية أروع من هذه الأسطورة الخالدة فى دنيا الحب والوفاء.. والتى لعبت فيها يد الخيال الشرقى قدر ما لعبت على مر الأيام.. حتى انتهت الأسطورة آخر الأمر لتكون أصلاً لوجود بلقيس.. ملكة سبأ.. وزوج النبى سليمان الحكيم..».

كان الملك رضوان شاد يقف مرسلاً بصره فى ذهول نحو القصر الذى نهض شامخاً عملاقاً، يتلألأ من جوانبه النور، وتنبعث من نوافذه أهازيج موسيقى شجية رائعة كألحان السماء.

ولم يكن ذلك الذهول الذى استولى على الملك عن عجب لمرأى القصر، ولكن الذى أثار ذهوله هو أنه لم يكن هناك شىء من ذلك القصر قبل بضع ساعات، حينما استلقى على جانب النبع فى انتظار خروج الجنية التى ألقت بنفسها فى الماء حيث تابعها بجواده، وظل يتربص خروجها وهى تأبى أن تغادر الماء حتى أخذت به سنة نوم استسلم لها.. ثم لم يكد ينتبه منها حتى وجد ذلك القصر العجيب قائماً حيث كان النبع.. ووجد نفسه مستلقياً على أبوابه وإلى جواره «مؤذن» وزيره ورفيق صيده..!

وعاد الملك رضوان شاد بذاكرته إلى أولى ساعات ذلك الصباح.. كان قد غادر قصر ملكه بعاصمة الصين إلى رحلة صيد كعادته كل يوم.. ومن حوله رجال الحاشية.. وإلى جواره الوزير «مؤذن». وبينما هم يخرجون من الأحراش إلى العراء. إذ بدت لهم ظبية حلوة تختال طرباً.. لم يكد بصر الملك يقع عليها حتى غمز جواده بمهمازه.. وانطلق خلفها كأسرع من الريح.. ولم تكد الظبية ترى مطاردها حتى انطلقت تجرى وتثير من خلفها الغبار.. إلا أنه برغم ذلك كله كاد يلحقها، فلما وجدت أنها تكاد تقع بين يديه قفزت

فى النبع وغابت عن نظاريه فى الماء.

وتوقف الملك بحصانه إلى جوار النبع وترجل.. ثم راح يجس الماء بعصاه بحثاً عن طريدته.. فلما لم يجد لها أثراً، تأكد له أنها جنية تقمصت صورة ظبى حتى تستطيع العبث خلال دورانها بقلوب كل الصيادين. وإذ بدت له تلك الحيلة أمر رجال حاشيته بالعودة إلى القصر. بينما ينتظر هو ووزيره إلى جوار الماء حتى تخرج الظبية.. إذ كان معروفاً أن الجنيات لا تستطيع البقاء طويلاً فى نبع به ماء محدود.

واستلقى الملك مع وزيره إلى جوار النبع فى انتظار خروج الجنية، ولكن الجهد الذى كان قد أخذ بهما كان لابد أن يسلمهما خلال استلقاءتهما إلى نوم عميق.. ما كاد يستيقظان منه حتى وجدا نفسيهما واقفين فى ذهول يحملقان إلى القصر الذى انتصب فجأة أمامهما.. كما ينتصب عملاق مهول.!

وقال الملك يحدث وزيره فى ذهول:

- إنى لا أكاد أفقد عقلى لمرأى ذلك القصر العجيب.. أترى مارداً من عفاريت الجن ذلك الذى أقامه..؟! أو هو قد شبه لنا فحسب من طول ما تعبنا وشربنا خلال رحلة الصيد..؟!

أجاب مؤذن:

- ما أظنه يا مولاى سوى عمل ساحر، يبغى من ورائه هدفاً خسيساً أو مؤامرة مدبَّرة. فلنذهب بعيداً يا مولاى قبل أن يلعب السحر بالعقول فنستسلم له كما استسلمنا للظبية اللعينة الماكرة!.

قال الملك:

- لا لابد من ولوج أبواب القصر بحثاً عن الظبية وجرياً وراء معرفة ما

يحتويه ذلك القصر من أسرار..!

واضطر الوزير للاستسلام لأمر ملكه، وانطلقا معاً فى الطريق إلى باب القصر حيث اجتازاه، وإذا بهما يتوسطان قاعة واسعة كل محتوياتها من ذهب وفضة وعقيق، ومن كل ركن منها يفوح ريح عطر كعبير الجنة، واجتازا القاعة ليجدا نفسيهما فى قاعة أخرى أكثر من الأولى سحراً ورونقاً، تتوسطها بحيرة لامعة من زئبق حى.. يترجرج من فوق سطحها عرش من ذهب موشى باللؤلؤ وألماس.. تجلس فوقه حورية حسناء كالبدر.. تحيط بها خمسون غادة فى ثياب من دمقس وحرير.. يغنين ويرقصن.. ويعزفن ألحاناً كأنها السحر لم تسمع مثلها الأرض أبداً.

كانت هذه الصورة التى طلع عليها رضوان شاد أروع مما كان يمكن أن يخطر له ببال.. ووجد نفسه ينحنى حتى ليكاد يركع على الأرض أمام سحر النور الذى يشع من وجه المرأة. وانطلق من بين شفتيه كلام كالهمس:

- رحماك يا من تجلسين على عرش من ذهب، وتأسرين بنور وجهك كل القلوب. رحماك يا من جعلت ملك الصين يركع عند قدميك أسيراً تحت سهام لحظك الفتاك.. من تكونين أيتها الحورية التى تعجز عن الإتيان بمثلها الأزمنة والأجيال..؟!

أجابت الحورية من فوق عرشها الذهبى:

- أنا من تبعتها بسهامك وأردت أن تكتب لها الموت بحد رمحك. أنا الظبية التى أغرتك وساقتك إلى حيث تعيش، من أجل صرخات حب صاخب فى فؤاد عربيد..!

قال الملك:

- ولكن كيف يكون هذا التحول.. ومن أين أدرك أن حبى لا يقع فى شرك مسحور من أجل لحظات كسنا البرق قصار.. ليلقى به بعد ذلك فى أتون من النيران..؟!

ونهضت الحورية وهى تقول للملك:

- لا تخش قلبى أيها الملك.. فهو لم يعرف السحر قط.. وما تحولى من صورة إلى أخرى سوى آية وهبتنيها السماء منذ طلعت عيناى على النور..!

ومدت الحورية يدها إلى الملك تنهضه وتأخذ به من حجرة إلى أخرى.. حتى انتهيا إلى قاعة تتوسطها مائدة حافلة بكل فاخر من طعام وشراب.. لم يكد الملك ووزيره يجلسان إليها حتى أحاطت بهما كل القيان الحور، يقمن على خدمتهما ويعزفن ويغنين ويرقصن.. ويرفضن أن يمددن أيديهن إلى المائدة إذ هن لا يجدن ريا وشبعا إلا فى الفيافى والقفار..!

وطعم الرجلان حتى شبعا، وتساقيا الخمر حتى ارتويا.. فى حين راحت الحورية تحدث الملك وتقول:

- ما أحلاك أيها الحبيب.. إننى أنا التى تبثك الهوى برغم مولدى القدسى وأصلك الأرضى.. أنا يا من خلقت من نار لم أستطع منذ رأيتك أن أطفىء لهيب قلبى الذى اشتعل حبّاً لك وشوقاً إليك.. أنا شهرستانى وحيدة ملك الجن مينوتشير الجالس على عرش جزيرة شهرستان.. أجد نفسى أسيرة هوى لرجل من الإنس لا يمت لى بصلة ولا بنسب.. فأستسلم لهواه ولا اهتم للوقت يمر سراعاً، فى حين كان يجب أن أكون بالأمس فى دار أبى الذى غادرته منذ شهور ثلاثة، أضرب فى الأرض وأطوف أنحاءها لأشهد مملكة الإنس التى لا تشبه فى شىء أبداً مملكة أبى الجنى. ثم وقع

بصرى عليك أيها الإنسى وأنا فى طريق العودة إلى ديارى فما استطعت أن أمنع قلبى من السقوط عند قدميك.. وما عرفت كيف أقع وأنا الجنية فى هوى إنسى قد من طين وماء. وهممت أن أعود إلى جزيرة أبى فى أعماق البحر.. إلا أننى وجدت قدم مقيدتين إلى الأرض التى أنت عليها فلا أستطيع لها فكاكاً.. وهنا قررت الاستسلام لسهام حبك فانطلقت إليك إغريك فى صورة ظبية.. فتبعتنى ولم تقصر فى العدو خلفى، على حين كنت أزيد فى أغرائك ودعوتك وأنت لا تدرى، حتى ألقيت بنفسى داخل النبع وأنا أعلم أنك لن تذهب حتى ترى من تكون تلك الظبية التى أوقعتك فى شراكها.. ولقد صدق حدسى إذ رأيتك تتحسس الماء بعصاك فصفقت طرباً.. وازداد لك حبى وأنا أسمع فى الأعماق منك تصميماً على قضاء الليل إلى جوار النبع. فألقيت عى عينيكما غشية النوم، ثم أمرت بتشييد ذلك القصر لنقضى معاً فيه أيام حبنا مترعة كأجمل وأحلى ما يكون الحب.. فهل أنت راضٍ الآن عما فعلت، أم تراك ساخطاً بى غاضباً علىَّ لما بعدت بك عن عاصمة ملكك وحبيب أهلك..؟!.

وانتفض الملك وقد توزع قلبه بين عرشه وناسه وبين تلك الحورية التى اعترفت له بكل ما يملأ قلبها من هوى صاخب عربيد.

وسجد رضوان شاد أمام فاتنة الجن وهو يقول:

- أيتها الحورية الحبيبة الطاهرة.. ماذا يكون عرشى وناسى إلى جوار أبهى وأعز وأفتن من وقعت عليها عيناى..؟! إنما أنت الهواء الذى أتنفس والنور الذى به استضىء.. إن يوماً واحداً نقضيه معاً فى قصرك العلوى، لأشهى إلى من قضاء دهر كامل فى جنان فردوس خالد.. هنا وإلى جوارك.. سأعيش ولن يكون فى ذاكرتى من أمور تلك الأرض شىء إلا ما يذكرنى بهذا

اليوم الحبيب الذى ساقتك فيه إلى ربة الحب الخالدة، وسمعت فيه عذب الهوى وحرى الحنين..!

وهنا.. فى تلك اللحظة بالذات.. فتح الباب وألقت إحدى الوصيفات نفسها تحت قدمى شهرستانى.. ومن عينيها تجرى خيوط طويلة من الدموع. وقالت الوصيفة فى صوت كان يحمل فى أعماقه رفيف الموت:

- لك المجد أيتها الملكة.. فقد انتقل والدك الملك من الحياة الفانية إلى الحياة الخالدة.. والشعب كله ينتظر عودتك بفارغ صبر.. ليضع على رأسك التاج قبل أن يغتاله عمك الذى طالما طمع فى عرش أبيك.. فلنعجل يا مولاتى ولا نتأخر فما عاد هناك وقت نضيعه ونفنيه..!

ومن أعماق شهرستانى ندت صرخة تجاوبت رجعها الجبال والوديان وانهارت على صدر رضوان شاد فى نشيج متقطع ملهوف. ولم يكن بد من أن يكفكف الرجل من عبراتها ويمسح بحر قلبه دموعها الساخنات.. غير أنها كانت قد استسلمت للقدر الذى قدر لها غير ما كانت تريد.. وراحت تقول له والكلمات تخرج شقية ذاهلة من خلال الدموع:

- أيها الحبيب الذى لن أنساه.. لابد لى من الاستسلام لحكم القضاء، والذهاب إلى حيث أدفع عن شعبى المسكين ما قد يصيبه إذا اندفع عمى فى شره ليستخلص لنفسه عرش الجدود.. فوداعاً أيها الحبيب العزيز.. ولكن ثق أننى لن أنساك.. وسأعود ذات يوم لأراك.. فإذا وجدت قلبك لا يزال قائماً على حبى وفيا لهواي فأعدك إلا اتخذ سواك زوجاً أبداً..!

ولم تكد تتم كلامها حتى اختفت عن الأنظار.. وتحول القصر الذى كان يتلألأ من لحظات، فإذا به خواء كأن لم يكن هناك شىء سوى ظلمة مجنونة دامسة.. تغمر بسوادها كل الأرض..!

عندما عاد رضوان شاد إلى قصره، لم يكن قط ذلك الملك الذى كان قبل أن يلتقى بشهرستانى. تحول الملك العربيد زاهداً وقوراً، تحط الأعباء فوق كتفيه وكأنه لم يعد بعد صاحب الأعوام الثلاثين وحسب وبعد أن كان الملك لا يقرب الغابة إلا إذا كان يوم صيد.. إذا به ينطلق فى أعماق الغابة كل يوم، يجلس حالماً إلى جوار النبع الذى اختفت فيه الظبية الحبيبة.. لعلها تعود فتخفف عن قلبه حنين الجوى ونار الفراق..!

ومضى عام وبعض عام..

وذات يوم.. بينما كان الملك جالساً إلى جوار النبع، إذ به يختفى فجأة.. ولا يترك أثراً لكل من حاول البحث عنه..

وضج الشعب، وجن الوزير، واضطرب القادة.. ولكن أحداً لم يستطع الاهتداء إلى حيث اختفى الملك.. وما عرفوا قط هل ذهب مختاراً إلى المجهول، أم هو لقى حتفه وتقطعت أوصاله فى أعماق وحش مهول من وحوش الغابة التى كان يقضى فى أعماقها كل أيامه ولياليه؟

شخص واحد فقط كان يستطيع أن يحدث ما كان.. غير أنه ما استطاع قط أن يصدق حدسه ويؤكده، وهو لم يكن مع ملكه ساعة اختفى فى خضم المجهول..

ولقد صدق حدس الوزير.. فقد تأكدت شهرستانى، وهى بعد على عرشها، من وفاء رضوان شاد وإخلاصه لحبها وهواها، فأمرت جنودها من الجن باختطافه من مجلسه إلى جوار النبع، ونقله إلى قصر ملكها فى جزيرة الجن.. وهناك.. التقى الحبيبان.. ونسى رضوان شاد أمر عرشه وأمر ناسه كما سبق أن وعدها من قبل.. وأبت هى الأخرى إلا أن تنفذ الوعد الذى قطعته له.. وهو أن يتزوجا برغم أنه إنسى من طين وماء.. وبرغم أنها جنية من نار وهواء..

وأطلقت شهرستانى المنادين فى جزيرة الجن يدعونهم إلى ساحة قصرها الكبير.. وعندما التأم شمل الجميع، وقفت الملكة فى شرفة القصر وإلى جوارها رضوان شاد فى أديمه الإنسى، وراحت تقول:

- بحق أبى الذى أقسمتم على طاعته، وحميتم له عرشه، وحفظتموه لابنته التى كانت قد انطلقت لتشهد مملكة الإنس بعيداً عن جزيرتكم المحبوبة.. وبحق ذلك القسم الذى أقسمتموه إذ تقلدوننى تاج أبى، أن تخولونى كل سلطة على مملكة الجن والحور.. أنهى إليكم رغبتى فى الزواج من رضوان شاد الملك الإنسى الذى هجر ناسه وعرشه ليكون إلى جوار ناسى وعرشى.. فإما أن تجعلوه منكم بمثابة الرأس معى وتضعوه حيث وضعتمونى.. وإلا فاتركونى أذهب إلى مملكته، حيث أجلس معه على عرشه وأشركه فى حب ناسه وذويه..!

وهتفت جموع الجن صاخبة:

- بحق القسم الذى أقسمناه نبارك زواجك، ونؤكد لزوجك ولاءنا وإخلاصنا، بنفس الإيمان والقوة التى أكدنا بها إخلاصنا لك وولائنا لعرشك..!

ولم يمض يوم واحد حتى كانت مملكة الجن كلها تتلألأ بأضواء الفرح فى انتظار الاحتفال بعقد قران الملكة شهرستانى والملك رضوان شاد.

وجلست الحورية تحدث الرجل الذى اختارته:

- قبل أن ترتبط بى حتى النهاية.. أريد أن أنبهك إلى أشياء قد تعجز عن الوفاء بها فيكون أولى بنا منذ الآن أن نفترق..

قال لها:

- أبداً أيتها الحبيبة.. فأيا تكن هذه الأشياء فلن تعجزنى عن الوفاء بها، ما دام ذلك العجز يبعدنى عنك ويقربنى من الفراق..

قالت شهرستانى:

- إنه لأمر شاق ذلك العهد.. وإنك إذا نكثته ستسبب لكلينا شقاء ووبالاً يدومان حتى ينتهى بنا العمر.. ولست أخشى إلا أن يشق عليك الأمر فتنكث فى يمينك..

وعاد رضوان شاد يقول لها:

- أنا طوع أمرك ورهن إشارتك.. وهل يخطر فى بالك أننى أنا الذى ما كان من عادتى قط أن أنكث عهداً قطعته مهما قل شأنه.. يكون من الممكن أن انكث عهداً أقطعه لك أنت يا من تملكين روحى ونفسى..!

ولبضع لحظات سكتت الملكة وهى تستوحى الغيب.. ثم عادت تقول للملك:

- إن الذى أريد أن تعاهدنى عليه هو ألا تتدخل فى أمر آتيه قل شأنه أو صغر، فنحن حوريات الجن لنا من طبائعنا ما يختلف تماماً عن طبائعكم.. ويبدو لكم من تصرفاتنا ما لا يمكن أن تستسيغه عقولكم.. فحذار أن تعترض على أمر آتيه أو أدعه.. وحذار أن يملأك غيظ وضيق أو تبدى تذمراً لشىء أفعله.. فإن ذلك يقطع كل ما بيننا وتنتهى أيام زواجنا وكأنها لم تكن على الإطلاق. فهل أنت قادر على الوفاء بالعهد فلا تلومنى، أو تغضب منى مهما فعلت.. أم أنك لابد ثائر غاضب فتسبب لنا ما لا نطيق..؟!

أجاب رضوان شاد وهو يضحك:

- أيكون ذلك هو كل ما تحذريننى منه وما تخشين أن أقع فيه.؟!

أبداً أيتها الحبيبة.. ليمتلئ قلبك ثقة بقدرتى على الوفاء بالعهد، وإيماناً بأن ذلك الأمر الذى تعتبرينه شاقاً ليس أسهل منه لدينا نحن بنى البشر..!

وعادت شهرستانى تتأمل الغيب فى مسحة من الحزن ثم قالت:

- أواثق أنت أنك لن تعترض قط على فعل آتيه ولو بدا لك شاذاً مجانباً كل الصواب؟ أواثق أنت أنك ستكون مقتنعاً من أن ما أفعله إنما هو ضرورة تمليها على شريعتى وعقائدى، وتجبرنى على ألا أكشف أمرها لجنى ولا إنسى قط.؟!

وانحنى رضوان شاد فلثم كفيها وهو يقسم أن يكون عند حسن ظنها راضياً بكل ما تفعله غير معترض على شىء تأتيه..

واقتنعت الملكة.. وصار رضوان شاد شريكاً لها على عرش الجن!.

وانقضى عام..

وذات يوم.. أغلقت الملكة على نفسها الباب ومنعته من الدخول.. وعندما فتح الباب من جديد كانت الملكة تحمل وليداً رائعاً كأنه البدر.. راح يقبله ويحتضنه ويكاد يرقص من الطرب.. وتناولت الأم منه الطفل ثم وقفت بقرب نار تضطرم فى ركن القاعة.. وراحت تتمتم بألفاظ غريبة لم يستطع أن يفهم منها شيئاً قط.. ثم فجأة.. مدت يدها بالوليد وألقت به فى النار التى سرعان ما ابتلعته ثم خمدت وكأن لم تكن هناك نار على الإطلاق..!

وكادت الصرخة تنطلق مدوية من فم الملك.. لولا أن انتبه إلى نفسه فى اللحظة الأخيرة، وتذكر العهد الذى قطعه فكتم ألمه، ورسم على شفتيه بسمة الرضا، على حين كان فى الأعماق منه اضطراب مجنون.

وانقضى عام آخر..

وذات يوم وضعت الملكة مولودة جديدة أروع جمالاً من الملكة نفسها.. وراح الملك يحتضن بلقيس ويقبلها، وهو يتوقع فى كل لحظة أن تأخذها الملكة منه فتلقيها فى النار.. غير أن شيئاً من ذلك لم يقع فى ذلك اليوم.. فاطمأن قلبه وامتلأ حباً لزوجته وابنته.. وما عاد يطيق فراق أى منهما لحظة واحدة..

غير أن الملك فوجئ بعد أسبوع بكلبة عملاقة تدلف من باب القصر.. فاغرة فمها الكبير، ثم تنطلق لتقعى أمام الملكة التى لا تكاد تراها حتى تلقى ببلقيس بين فكيها.

وكاد الملك ينفجر.. وارتفعت يده تكاد تنقض على الكلبة، والملكة معاً، لولا انتباهة جعلته يدير يده وكأنه يحيى الكلبة قبل أن تمضى.. ثم انطلق إلى مخدعه وأغلق من خلفه الباب.. وراح يبكى وحده ويقول:

- أواه منك أيتها السفاحة القاسية.. ألا ما أقذر ضميرك وأحط نفسك وأنت تحرقين ولدك وتلقين بابنتك فى أفواه الكلاب، أيكون كل هذا لأن تقاليدك تأبى أن يكون لك أبناء من إنسى ليس من جنسك..؟! ألا ما أفظعك أيتها الملكة؟ وألا ما أحقرنى إذ أطيق أن أرى ولديَّ يلقى بهما إلى ذلك المصير؟ ولكن لا.. إن لصبرى حدوداً أيتها المرأة.. ولن أحتمل قط أنا البشرى ما تسيغه لكم شرائعكم المخيفة وعاداتكم الرهيبة..!

وانطلق رضوان شاد - وقد رسم على وجهه بسمة الرضا وكأن شيئاً لم يكن يدور فى أعماقه منذ لحظات - وراح يحدث الملكة فى شؤون مملكتها.. ثم بدأ يدير دفة الحديث لينقله إلى ما يضمر ويريد..

قال الملك لشهرستانى:

- لكم شاقنى أمر مملكتى وما دار فيها منذ تركت شعبى المسكين حائراً فى مصيرى خائفاً مما يكون ألم بى.. ألا ليتك تأذنين لى بالذهاب إليهم أطمئنهم وأنظم أمورهم ثم أعود؟!..

وابتسمت الملكة وهى تجيب:

- فليكن لك ما تريد أيها الحبيب.. ولقد كنت أنا نفسى بسبيل أن أطلب

منك ذلك، إذ بلغنى أن بلادك فى حاجة إليك وقد استعد المغول لمهاجمتها والسير إليها فى جيش لم تر مثله الأرض قط.. اذهب أيها الملك تحمى شعبك الذى لن يستطيع أن يقف وحده فى وجه المغول إلا إذا كنت على رأسه.. أما أنا يا زوجى العزيز فسأحرص على أن ألحق بك لأطمئن على نجاتك.. والنصر لك!.

وصفقت الملكة، فبرز أمامها مارد من الجن لم يره من قبل.. أصدرت له أوامرها بنقل الملك إلى قصره الأرضى..

ولم يكد الملك يطرف بعينه، حتى وجد نفسه جالساً فوق عرشه فى عاصمة الصين.!

فى ذلك الوقت كان الوزير مؤذن يحكم الصين باسم الملك الذى غاب فجأة قبل ذلك بسنتين.. فلما أطل الوزير أمامه ووجد الملك جالساً على العرش فتح عينيه كأنما رأى الشيطان.. ولكنه انتبه إلى نفسه بعد لحظات، فجثا أمام العرش، ثم مد ذراعيه يحتضن الملك الذى كان يملؤه العجب من ولاء وزيره ووفائه.. إذ حرس العرش وحفظه شاغراً برغم طول ما مضى من أعوام وشهور..

وراح الملك ووزيره فى خلال فرحتهما باللقاء يتحدثان عما مر بهما من أحداث.. وفجأة فتح الباب، ودخل أحد القادة يعلن اقتراب جيوش المغول.

ونهض الملك ووزيره فألقيا عن كاهلهما حديث الماضى ليواجها الحاضر فى ثبات.

وتجمعت جيوش الصين صاخبة هادرة، وانطلقت وعلى رأسها الملك ووزيره لملاقاة المغول فى أرض رحبة، بالقرب من الحدود.. على حين كان القائد «ولى» يعد قوافل المؤن من ثمار وخبز وطعام وفاكهة وزقاق من خمر

يجمعها ويرسلها مدداً للجيش الذى وقف فى انتظار وصول المغول..

غير أن قوافل المؤن لم تكن تبلغ مقصدها أبداً.. فخلال الطريق، وقبل أن تصل إلى مكان تجمع الجيوش.. كان ثمة جيوش أخرى من الجن وعلى رأسها شهرستانى تهاجم القوافل فتغرقها وتلقى المؤن على الأرض فتفسدها، وتبقر قرب الماء والخمر فتهرقها.. وتصير المؤن كلها بددا..!

وتكررت الهجمات على قوافل المؤن حتى كاد القائد «ولى» أن يجن.. وحينئذ برزت له شهرستانى فى زيها الإنسى وصرخت فيه:

- إذا كنت غاضباً مما أفعل، فاذهب إلى ملكك وقل له إن التى تعبث فى المؤن فساداً وإتلافا ليست سوى زوجته..!

وانطلق «ولى» فى غضبته يخبر الملك.. فأخذت به ثورة عارمة جبارة لم يطق معها صبراً على تصرفات الملكة التى لم يعد يهمها أن يقضى جيشه كله جوعاً وعطشاً.. ولم يكن الغضب المجنون قد زال عنه حين ظهرت له زوجته.. فلم يدع لها فرصة الكلام.. بل انطلق فى وجهها صارخاً متجهماً:

- لم أعد أطيق ما تفعلينه يا سيدتى.. فدون ذلك خرق المواثيق وفصم الوعود.. أما كفاك أن أحرقت ولدى وألقيت بابنتى فى أفواه الكلاب.. فتذهبين إلى أبعد من ذلك وتسعين إلى قتل جيش بأسره بتحطيم مؤنه من طعام وشراب..؟! أما كفاك يا سيدتى أنك تريدين قتلى أنا نفسى فما أستطيع أن أقف حيا وسط جيش يموت، نواجه جيشاً بأسره من المغول لا يبيدون.. أهكذا تكافئيننى على وفائى وتضحيتى أيتها الخائنة الجهود..!

وكانت الملكة فى خلال ذلك قد فتحت عينيها فى ذهول وقد علتها صفرة كالموت.. ولم يكد الملك ينتهى من كلامه حتى قالت الملكة تحدثه

فى صوت مفزع رهيب أجوف..!

- وا آسفا أيها المسكين.. لقد كان يجدر بك أن تلزم الصمت فتحفظ الوعد الذى قطعته من قبل.. ولكن وا حسرتاه.. لقد وقع، ما لم أكن أريد أن يقطع قط.. وحدث ما لم يكن ثمة حيلة فى اتقائه.. فلتسمع أيها الانسى المسكين.. إن هذه النار التى ألقيت بولدنا إليها لم تكن سوى «سمدير» ربة الشتاء اللبقة الحاذقة. عهدت إليها بتثقيف الأمير.. وهذه الكلبة التى ظننتنى ألقى بابنتى فى فمها.. لم تكن سوى حورية المملكة التى تتولى تلقين الأميرات أصول الآداب والفنون.. ولقد أتمت كل منهما ما عهد به إليهما.. وأعادتا الولدين كخير ما يكون الأمراء..!

وصفقت الملكة فإذا وصيفتان من الحور تدخلان وبين أيديهما الأمير والأميرة ينطلق من محياهما نور وضىء.. وجثا الملك على ركبتيه يعانقهما ويحتضنهما.. على حين استمرت شهرستانى تقول:

- أما المؤن التى تظننى أتلفتها، فلم تكن سوى مؤن مسمومة كانت كفيلة بالقضاء على جيشك وانت معه.. فقد دس فيها قائدك «ولى» السم الناقع بعد أن تآمر مع ملك المغول وأخذ رشوة مائة ألف دينار ذهباً.. وإذا لم تكن تصدقنى فلتحمل القائد على تناول شىء من طعام المؤن ولترى ما يحل به..!

وأمر الملك بإحضار بعض المؤن وختم القائد لا يزال عليها.. فقدمها إليه وأمره أن يطعم منها.. غير أن القائد رفض ونحاها عن فمه.. واستل الملك سيفه وهو يأمره بأن يأكل وإلا فصل رأسه عن جسده.. فاضطر القائد للاستسلام.. ووضع فى فمه بعض المؤن، فلم تكد تبلغ جوفه حتى سقط ميتاً فى الحال..!

وبينما كان الملك يمتلئ اقتناعاً، كانت هى لا تزال تستأنف الحديث الذى بدأته:

- لعلك اقتنعت الآن أن الجن لا يقدمون على شىء لا موجب له..

أجاب الملك وهو يعتذر فى حرارة وألم:

- لكم ظلمتك يا حبيبة.. وما كان أفسدها ظنوناً وأسوأها تهماً تلك التى ألقيتها على رأسك.. ولكن ما الذى نفعل الآن بذلك الجيش الذى يقفل مضطراً لمواجهة معركة رهيبة بغير زاد أو ماء..؟!

أجابت شهرستانى:

- لا تخش شيئاً يا ملك الصين.. فما عاد جيشك بحاجة إلى مئونة على حين أن المعركة ستدور بعد ساعات.. وتنتهى بتمزيق أعدائك وتحطيمهم، وعودتك إلى عاصمة ملكك فائزاً منصوراً..!

وكان هذا هو ما حدث حقّاً.. فما كاد الليل ينتصف حتى انقض المغول على جيوش الصين.. وهنا تقدمت شهرستانى على رأس عسكرها من الجن، وانقضت على جيوش المغول تثخنهم قتلا وتكتسحهم كإعصار.

وفوجئ الملك المغير بجيوشه تتمزق وتنهار.. ولم يجد أمامه سوى أن ينجو وحده.. فطار بفرسه هارباً من الميدان.. بينما كانت جيوش الصين وقد أسكرها النصر تستولى على كل ما تركه المغول من زاد وعتاد.. وذهب وغيره..!

***

وبينما رضوان شاد يقف على باب خيمته يستقبل زوجته وقائدة جيش الجن.. إذ بها تقف منه غير بعيد.. ثم تقول له وفى نبراتها حزن عميق:

- الآن يا ملك الصين.. وقد وضعت الحرب أوزارها وبلغت النصر..

فلتعش مطمئناً فى قصرك، على حين أنطلق أنا عائدة إلى مملكتى.. فما عاد بينا لقاء قط.. إذ ذهب كل شىء مع تسرعك الذى أوقعك فى المحظور..!

وجحظت عينا رضوان شاد وهو يصرخ:

- كلا يا مليكتى.. لا يمكن أن يحدث هذا.. فبحق السماء اغفرى لى زلتى وجهلى.. واقبلى التوبة التى أقدمها وأنا تحت أقدامك الحبيبة..

وهزت شهرستانى رأسها وهى تستعد للابتعاد وتقول:

- لم يعد بد من الفراق يا ملك الصين.. فهكذا تقضى شريعتنا.. ولو كان العفو بيدى أنا وحدى لفعلت.. والآن وداعاً أيها الملك.. وعبثا تحاول بعد أن ترانى أو ترى ولديك.. فلن تقع علينا عيناك قط بعد اليوم..!

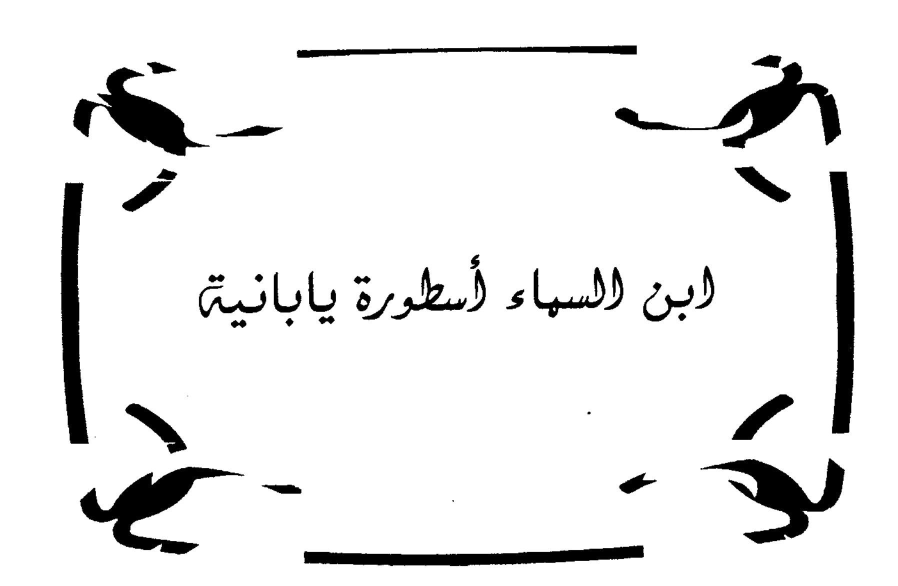
واختفت شهرستانى ووالداها.. وسقط رضوان شاد على الأرض وقد فقد الوعى..!

***

مضت الأيام ثقيلة سوداء على الملك.. وما عاد يطيق لقاء أحد قط..

وازداد به الضيق حتى قرر آخر الأمر أن يدع الحكم لوزيره ينوب عنه فى تصريف كل الأمور.. وانطلق وحده معتزلاً الناس فى جناحه، وقد أغلق من ورائه الباب، لا يجرؤ أحد على فتحه أو الاقتراب منه سوى الوزير وحده.. يأتيه بطعامه وشرابه.. ويتلطف فى إدخال العزاء إلى نفسه التى ما عاد ينفع معها سلوى أو عزاء.. فالحزن يقتلها والألم يهوى بها والموت يزداد بفعلهما اقتراباً من الملك المسكين.

***



ابن السماء أسطورة يابانية

ابن السماء

«ابن السماء.. هو الاسم الذى يطلقه اليابانيون على الميكادو.. الجالس على عرش اليابان.. ويعتقد سكان بلاد الشمس المشرقة أن نسب الميكادو يمتد بضعة آلاف من السنين إلى زمن لم يكن فيه شىء قط.. سوى آلهة تولد ذكراً وأنثى.. ثم تموت.. حتى جاء يوم تعلم فيه إلهان شابان سر اتصال الذكر بالأنثى من الضفادع.. فبدأت قصة الخلق.. وجاء ابن السماء..!».

على رأس قوس قزح.. ذلك الجسر الرائع الذى ينحدر من السماء إلى حيث مياه المحيط الواسع اللا نهائى.. وقف الإله الشاب إيزاناجى وفوق رأسه إكليل من النور، يطل فى حيرة إلى رفيقته الإلهة ايزانامى، بجمالها الرائع وشعرها المسترسل على كتفيها كأسلاك الذهب.

وكانت الحيرة تملأ رأسيّ الإلهين الشابين، فقد كانا يدركان خطورة المهمة التى عهد بها إليهما مجتمع الآلهة، حين أصدروا إليهما أوامرهم بالهبوط من السماء ليخلقا أرضاً يقيمان على سطحها الحياة..!

ووقف الإلهان الشابان يحدقان فى المياه الصاخبة التى تهدر عند نهاية الجسر.. أيمكن أن يكون هناك شىء صلب وسط هذا المحيط المتلاطم الأمواج يتخذان منه مقرّاً للعالم الذي كلفا بأن يخلقا فوقه الحياة..؟!

وبدا لإيزاناجى أن يتحسس برمحه الطويل المرصع بالجواهر صفحة الماء عله يجد الأرض، غير أن شيئاً صلباً لم يحتك بالرمح قط.. ويئس الإله فرفع رمحه. ولم يكد يفعل حتى تساقطت من الرمح قطرات من الماء

راحت تتجمع وتتكثف وتصلب وتمتد فوق صفحة المحيط، لتصبح أرضاً صلبة واسعة.. كانت هى نفسها جزيرة أنوجورو.

وعلى سطح هذه الأرض هبط الإلهان.. وبدأت قصة الخلق..

لم تكد أقدام الإلهين تمس الأرض الجديدة حتى أحس كل منهما رعشة ضخمة وهو يطل إلى عين الآخر. وشعرا كأن شيئاً غريباً حارّاً يضطرب فى صدريهما. وبدا لهما كأن كلّاً منهما يرى الآخر لأول مرة..

لقد كان هناك شئ جديد غريب يحدث للمرة الأولى على هذه الأرض.. شىء اسمه الحب..!

وكما لم يحدث لهما فى السماء من قبل، بدأ ايزاناجى يرى فى ايزانامى أشياء أخرى جديدة رائعة، أحسها جيداً وهو يتأمل شعرها الطويل، وعينيها السوداوين، وشفتيها الساخنتين، وذراعيها المليئتين، وقوامها الفارع الممشوق، ولم تكن ايزانامى هى الأخرى بأقل منه إعجاباً به.. فقد وجدت أمامها شابّاً رائعاً، فى صدره قوة، وفى ذراعيه عنفوان، وفى نظراته دعوات كمثل السحر..

وراحت الربة الحسناء تتأمله فى إعجاب وهو يقيم نصباً ضخماً يبدآن منه دورتين يكتشفان خلالهما هذه الأرض الجديدة.. ثم يعودان ليلتقيا عنده مرة أخرى.

وبدأ كل منهما دورته فأخذ ايزاناجى أحد الاتجاهين وسارت ايزانامى فى الاتجاه المضاد.

وبينما كان كل منهما يأخذ طريقه على طول شاطئ الجزيرة، راحا يشهدان ما تصنعه الضفادع فى الماء وفوق الرمال، وأخذ بهما العجب وهما يكشفان سر اتصال الذكر بالأنثى.. وبدأت تملأ رأسيهما فكرة جديدة لم يعرفاها من قبل.

وهكذا لم تكد ايزانامى تصل إلى النصب وتلتقى بايزاناجى، حتى بادرته وفى عينيها فرح كبير:

- ما أقواك يا ايزاناجى.. وما أشوقنى إلى أن أتزوجك كما تتزوج هذه الضفادع..!

واضطرب ايزاناجى.. فقد كان يريد أن يبدأ هو بالكلام. وبدا على وجهه غضب كبير وهو يهتف فيها:

- كيف.. وأنت امرأة.. تتكلمين أولاً؟ إننى أنا الرجل.. وبهذا الحق كان يجب أن أبدأ أنا الكلام.. إن هذا لفأل سيئ..!

وبكت ايزانامى، وطأطأت برأسها الأرض. وبدأ الهدوء يعود إلى ايزاناجى، وهو يرى دموعها الإلهية لأول مرة.. وقال لها:

- لنستأنف الدوران من جديد.. واحذرى أن تبدأى الكلام متى التقينا..!

وعاد الإلهان يستأنفان الدوران حول الأرض.. وفى هذه المرة، عندما التقيا عند النصب الكبير بادرها ايزاناجى بالحديث وهو يقول:

- ايزانامى.. ما أبهجنى إذ ألتقى بعروس حسناء مثلك.. فهل تقبل الحسناء أن نكون زوجاً وزوجة..؟!

وأومأت ايزانامى برأسها..

وهكذا تزوج الإلهان..!

ولم يكد يمضى من الوقت سوى قليل، حتى أنجبت ايزانامى أربعة آلاف ومائتين وأربعة وعشرين ابناً هم مجموع جزر اليابان.. بكل ما فيها من جبال وصخور وأنهار.. وبكل ما يعمرها من أناس وحيوان ونبات..!

وجلس الزوجان ذات يوم يتحدثان.. وقالت ايزانامى لزوجها ايزاناجى:

- لقد أنجبنا هذا العدد الكبير من الأبناء لنخلق الأرض ونملأها بالحياة.. فلم لا نخلق ابناً جديداً يكون سيداً لكل الأرض..؟!

ولم يكن هناك ما يمنع التنفيذ.

وولدت ايزانامى أنثى هى أماتيرواس.. ربة الشمس.. التى بلغت من الروعة والجمال حدّاً جعل والديها يقرران إرسالها على الجسر الإلهى إلى السماء.. لتستقر هناك.. ولترسل أشعتها الذهبية البراقة لتنير الأرض..!

وعاد الإلهان ينجبان من جديد..

وكان الابن الثانى هو تسوكى يومى.. إله القمر الذى كان تألقه الفضى أقل روعة من تألق شقيقته.. إلا أنه بدا حقيقاً بأن يكون رفيقاً لها، فأرسله أبواه على قوس قزح ليستقر هو الآخر فى السماء.

غير أن الأخوين ما أسرع ما تشاجرا واختلفا.. وصرخت اماتيراسو فى أخيها تسوكى يومى ذات يوم:

- إنك دعى محتال.. إننى أكرهك.. ولا أريد أن أرى وجهك بعد الآن..!

وذهب تسوكى يومى إلى أبيه يشكو أخته. فلم يسع الأب إلا أن يبعد كلّاً منهما عن الآخر.. ومنح أماتيراسو مملكة النهار، كما منح أخوها تسوكى يومى مملكة الليل..!

واستمر الأب والأم ينجبان.

وكان الوليد الجديد هو سوزانو، الذى لم يكد يهبط على الأرض، حتى أثار صخباً وضجيجاً وزوابع جعلت منه رب العواصف. واضطر أبوه أن يسلمه مملكة البحار بأمواجها التى تبلغ ثمانمائة ألف موجة..!

ولم تكن ايزانامى قد اكتفت بالأبناء بعد..

وكان الوليد الجديد الذى أنجبته هذه المرة هو كاجوتسوشى، رب النار، الذى لم يكد يولد حتى أصاب أمه بحمى قاسية شديدة.. أحرقتها..!

وكان لابد لايزانامى بعد ذلك أن تنحدر إلى العالم السفلى. بعيداً عن الأرض التى خلقتها..!

***

اختفت ربة الأرض، وبقى زوجها وحيداً شقيّاً لا يحس لحياته معنى على الاطلاق. وكان ايزاناجى يعلم أن الأموات عندما ينتقلون إلى العالم السفلى لا يدركهم الفناء، بل يقضون هناك حياة أخرى جديدة. وكان يعلم أن سيأتى يوم يذهب هو الآخر فيه إلى العالم السفلى حيث يلتقى بزوجته..

غير أن ايزاناجى، لطول ما حزن وتألم لفراق زوجته، لم يطق انتظار ذلك اليوم، وقرر أن يذهب بنفسه إلى أرض الجحيم ليراها، وليحاول انتزاعها من هناك والعودة بها إلى الأرض.

وانطلق ايزاناجى إلى المنفذ الذى يفصل بين الأرض والعالم السفلى، وانحدر منه إلى مملكة الجحيم، حيث الظلمة تطغى على كل شىء، وراح يجوب الطرقات المظلمة محاولاً اختراق حجب الظلمة ببصره بحثاً عن زوجته الحبيبة.. ولكن دون جدوى.

وإذ ملأ اليأس قلب ايزاناجى من العثور عليها، قرر العودة إلى سطح الأرض ليحبس نفسه حتى يقضى عليه بالذهاب إلى عالم الظلمات..!

وبينما هو يدير قدميه ليعود أدراجه، فوجئ بصوت رقيق يهمس فى أذنه ويقول له:

- هذا أنت يا زوجى الحبيب.. ألا ما أسعدنى بلقياك.. وما أعظم الشرف

الذى أضفيته علىّ بمجيئك بحثاً عنى فى عالم الظلمات..!

وتلفت ايزاناجى إلى حيث مصدر الصوت، وحاول أن يرى زوجته، ولكن الظلمة الحالكة لم تكن تبدى له شيئاً قط.

وقال يخاطب صوت ايزانامى:

- زوجتى الحبيبة.. تعالى إلىّ.. اقتربى منى أنا الذى اخترقت من أجلك كل هذه الظلمات.. عودى معى إلى عالم النور.. إلى الأرض التى لا تزال تنتظر منا الكثير.

وسمع ايزاناجى صوت ايزانامى يقول:

- ابدا يا زوجى الحبيب لقد مضى الوقت الذى كان يمكن أن أعود فيه إليك.. فقد جئت متأخراً جدّاً.. إذ أكلت منذ لحظات طعام الجحيم الذى لا يمكن لمن يتناوله إلا أن يستلقى ليستريح فى عالم الظلمات.. فاذهب أيها العزيز.. اذهب ولا تحاول الاقتراب منى أو النظر إلىّ أو رؤية وجهى.. فالقانون هنا صارم مخيف.. لا يسمح فيه للأموات أن يراهم الأحياء قط..!

وصرخ ايزاناجى.. أيمكن بعد كل تلك المتاعب التى لقيها خلال رحلته الشاقة عبر العالم السفلى، أن يعود بغير أن يراها..!؟ أبداً.. إنه لن يستطيع العودة بغير رؤية زوجته الحبيبة..!

وبرغم الوعد الذى قطعه على نفسه بألا يحاول رؤيتها، فقد وجد نفسه آخر الأمر، مدفوعاً بفضوله وعاطفته معاً، إلى أن ينقض الوعد..

وفى بطء مد ايزاناجى يده إلى مشطه المغروز فى شعره فانتزعه من مكانه، وكسر أحد أسنانه.. ثم أشعل فيه النار..!

وكان المشهد الذى اطلعت عليه عيناه مروعاً مخيفاً.

ففى نفس اللحظة التى استتار فيها الجحيم، سقطت ايزانامى فى عنف، وتحول وجهها الجميل فى سرعة ليصير بشعاً مخيفاً عفناً، وانطفأ البرق الرائع الذى كان ينبثق من عينيها فإذا بهما ثقبان غائران مخيفان، يسرى فيهما الدود وينطلق منهما لينتشر على كل جزء من الجسد الذى ملأه العفن.

وانطلق صوت ايزانامى، وهى تتلوى، مرعداً رهيباً:

- اخسأ أيها الشقى.. ألا فلتتصب عليك كل لعنات السماء جزاء ما نقضت عهدك فألقيتنى إلى العذاب ولوثتنى بالعار..!

وعادت جثة ايزانامى تتأوه فى جنون.. فقد انقضت عليها آلهة الرعد الثمانية منبثقة من رأسها وثدييها وبطنها وكفيها وقدميها، وهى ترعد بأصوات قوية بشعة صاخبة، يهتز لها الجحيم.

واندفع ايزاناجى يجرى فى رعب مذعور.. على حين أن صرخات ايزانامى الغاضبة المعذبة تهتف داعية زبانية الجحيم المخيفات ليتبعن الرجل الذى خدعها وألقى بها إلى التهلكة.

واندفعت من أعماق الجحيم زبانية مخيفات فى صورة نساء يمثلن القبح والدمامة والشراسة، أسرعن خلفه، واستمر هو يجرى أمامهن هارباً فى منحنيات الجحيم.. حتى إذا وجدهن قد كدن يلحقن به أسرع لخلع الإكليل الذى يحيط برأسه وألقاه نحوهن. وفى لحظة.. تحول الإكليل إلى عناقيد من العنب، لم تكد الزبانية البشعات ترينها حتى توقفن.. ثم انحنين فوقها يأكلن فى شراهة وجوع..!

وعادت ايزانامى تصرخ فى مسوخ أخريات أن يتبعن الهارب.. واندفعت المسوخ خلفه فى قوة حتى كدن يبلغنه، فمد يده يخلع مشطه وألقاه نحوهن..

وفى الحال انقلبت أسنان المشط إلى عيدان طويلة من القصب سال لها لعاب المسوخ فتوقفن ورحن يلتهمنه فى لذة وبأصوات كهزيم الرعد.

واستمرت ايزانامى تصرخ، وفى هذه المرة انطلق خلف الإله الهارب ألف وخمسمائة من جنود الجحيم. فأخرج ايزاناجى سهامه وراح يلقى بها إلى الخلف على حين أنه يندفع إلى أمام حتى وجد نفسه آخر الأمر يقترب من المنفذ الذى يقوده إلى خارج عالم الظلمات.

وفى ذلك الوقت كانت جثة ايزانامى هى التى تجرى بنفسها مندفعة خلفه. وكادت يداها المعقوفتان تمسكان به فى الوقت الذى كان هو ينطلق من الثقب الذى يفصل بين العالمين؟ ويمد يده إلى صخرة كبيرة هائلة يدفعها ليسد بها الثقب الملعون..!

وسمع ايزانامى تصرخ من الناحية الأخرى:

- انتظرنى يا زوجى العزيز.. لا تذهب.. لا تقل الوداع.. عد إلىّ.. فإنك إذا هجرتنى فسوف أهلك فى كل يوم ألف رجل على الأرض.

وأجاب ايزاناجى وهو يثبت الصخرة على مدخل الجحيم:

- اصنعى ما تريدين فلن أعود.. وسوف أعمل على أن تستقبل الأرض ما لا يقل عن ألف وخمسمائة طفل جديد كل يوم بزيادة خمسمائة عن العدد الذى سوف تهلكينه..!

وهكذا هرب ايزاناجى من الجحيم.. وقدر لسكان الأرض أن يموت منهم كل يوم ألف شخص.. وأن يحل محلهم ألف وخمسمائة من المواليد.

***

وبينما كان كل ذلك يجرى فى أعماق الجحيم، كان سوزانو - رب العواصف

- قد انتهز فرصة غياب والديه وراح يلعب دوراً آخر على الأرض.

والحق أن «سوزانو» كان ذا خلق عنيف ميال إلى الشر. وكان برغم لحيته الطويلة البيضاء التى تبعث على الاحترام ولا يدع وقتاً يمر إلا ويرسل فيه عويله الطويل ونحيبه الذى يثير التشاؤم فى كل النفوس، ولا يعبأ خلال هذا بتحطيم كل ما يعترض سبيله بسيفه الطويل البتار.

وعندما عاد ايزاناجى ووجد ولده «سوزانو» سادرا فى غيه قرر أن ينفيه إلى أرض الجحيم.

ولم يكن سوزانو يستطيع الاعتراض. غير أنه أجاب أباه:

- أنا طوع أمرك يا أبتاه.. وسأهبط فوراً إلى العالم السفلى.. ولكنى أرجو قبل أن أذهب إلى عالم الظلمات أن يسمح لى بالصعود إلى السماء لأرى أختى العزيزة أماتيراسو قبل أن أختفى من هذا العالم إلى الأبد.

ووجد رب هذا العالم أن رغبة ولده ليس فيها ما يضر، فأذِن له بالصعود إلى السماء.

وتحرك «سوزانو» فى طريقه إلى السماء.. وبينما كان فى صعوده عود السماء والأرض والبحار والجبال بعواء رهيب مخيف..!

وبلغت الأصوات الرهيبة أذن أماتراسو.. ربة الشمس.. ولما أطلت من عليائها فإذا أخوها الشرير يقترب من مملكتها ومن حوله رعود وبروق.

وارتعدت ربة الشمس وهى تحدث نفسها:

- لماذا يزحف أخى الشرير إلى مملكتى؟ لخير قدم أخى يا ترى أم لشر؟ ولكن أى خير يمكن أن يفكر فيه هذا الجحود. إنه ولا شك يهدف إلى أن ينحينى عن عرشى.. برغم أن أبوينا حددا لكل منا حدوده.. ليكن إذاً ما

يريد.. وسأعرف كيف أقاومه وأنزل به عقاباً صارماً لا ينساه مدى الحياة.

وأخذت أماتراسو أهبتها لمعركة عنيفة رهيبة.. فجذبت شعرها الذهبى الطويل وجمعته فى عقد كثيرة متألقة، وثبتت كل جواهرها ولآلئها فى العقد الذهبية، ثم وضعت فوق ظهرها كنانتها وفيها ألف سهم، وأمسكت بإحدى يديها درعاً قويّاً صلباً على حين أن اليد الأخرى تمسك بقوس عظيم رهيب.. وانطلقت وهى فى ذلك الاستعداد الضخم إلى حيث وقفت على ضفة نهر السماء، وأزاحت طبقة من الثرى لتجعل لنفسها فيه خندقاً، وغاصت فى الخندق حتى الركبتين.

على أن كل ما فعلته كان عبثًا. فعندما وصل أخوها ووقف على الجانب الآخر من النهر لم يكن يبدو على وجهه شىء من نوايا الشر التى توقعتها. وتحدث إليها سوزانو فى هدوء وراح يقول:

- ما هذا الذى أراه أيتها الأخت.. ولأى سبب تستقبليننى هذا الاستقبال العدائى على حين أنى قادم إليك وكلى شوق لرؤيتك والاستماع إلى صوتك الحبيب.

وأجابت أماتراسو:

- ولكن ما الذى جعلك تحضر إلى مملكتي بغير إذن منى؟

أجابها سوزانو:

- لقد قرر أبى نفيى إلى عالم الظلمات. ولم أطق الذهاب بدون أن أرى شقيقتى الكبرى الحبيبة.. ولقد اجتزت على قدمى من أجل أن أراها كل تلك السحب والغيوم وصعدت كل هذا الارتفاع الشاهق بغير سلم أستعين به.. فكيف لا تملؤنى الدهشة عندما أجدك تستقبليننى هذا الاستقبال العدائى؟

وتقبلت أماتراسو حديث أخيها بشىء من الشك، فما كانت قسوته أو خداعه ليخفيا عنها. وقررت أن تكرم وفادته على أن تكون على حذر حتى تتأكد من حسن نواياه.

والواقع أن الغطاء البراق الذى كان «سوزانو» يضعه على وجهه سرعان ما انكشف.. وكانت أماتراسو قد زرعت بضعة حقول للأرز فى السماء، بعضها ضيق قصير وبعضها واسع طويل. وما كان أسعدها بهذه الحقول التى زرعتها بأيديها. وعندما جاء وقت بذر البذور فى الربيع إذا بسوزانو يفاجئها يوماً بتخريب كل القنوات التى صنعتها، وإذا ثغرات الرى قد سدت، وحواجز الحقول قد هدمت ودمرت تدميراً.

وثارت ربة الشمس. غير أنها كظمت غيظها وظلت تنتظر صابرة.

غير أن الأخ الشرير الثقيل لم يكفه ما صنع. وإذا به يفاجئها ذات يوم على حين أنها جالسة فى غرفة النسيج السماوية ترقب صناعة أردية الآلهة، فثقب سقف الغرفة وألقى عليها وعلى الغازلات جثة حصان مسلوخ يقطر من جراحه دم فاسد غزير.

وذعرت ربة الشمس، واضطربت حتى كادت تجرح نفسها بإبرة الغزل. وملأها غضب جبار، وتحول وجهها إلى لون أحمر فاقع كالدم. وأطبقت قبضتها من جديد تلوى كل خيوط شعرها الطويل، وأقسمت فى صوت كالرعد إلا أن تترك عرشها احتجاجاً على الآلهة الذين يسمحون لمثل هذا الشقى الفظ بالبقاء فى مملكتها.

وأسرعت ربة الشمس تتوارى خلف صخور السماء. واندفعت إلى كهف ضيق فدخلته، وأحكمت إغلاق بابه خلفها، وقبعت بداخله تبكى وتنتحب.

وغمر الظلام العالم، ولم يعد هناك ليل أو نهار، ولا نور أو ضياء.

وارتفعت صرخات سكان الأرض تستنجد بآلهة السماء. واجتمع الآلهة الذين يبلغ عددهم ثمانية ملايين إله على شاطئ نهر السماء. وراحوا يبحثون كيف يزيلون أسباب الهول الأعظم الذى حل على الأرض.

وكان لابد للجميع أن يفكروا فى وسيلة يمكن بها إقناع ربة الشمس بالعودة إلى عرشها العظيم، واستمرت المناقشات طويلة هادرة لم تستقر وتهدأ إلا حين خرج عليهم رب الحيلة بفكرة وجدها صالحة جديرة بالنجاح.

قال رب الحيلة وهو يعرض فكرته إن ربة الشمس أنثى.. وكل النساء يمكن التأثير عليهن إذا شحذت غيرتهن وأثير فضولهن وأغرين بالزينة واللآلئ والجواهر البراقة.. وكل ذلك يمكن أن نقدمه لربة الشمس إذا أتيتمونى بمرآة لماعة أضعها فى مواجهة باب الكهف وزودتمونى بعقود علوية من الجواهر واللآلئ..!

وجمع بعض الآلهة نجوماً من السماء ضمت إلى بعضها البعض لتؤلف مرآة لماعة رائعة. وانطلق آلهة آخرون يجمعون طيوراً صداحة من كل جوانب العالم الخالية.. على حين راح آخرون يبتدعون آلات موسيقية جديدة ترسل أنغاماً لا تصدر إلا من السماء.

وعندما تم إعداد كل شىء انطلق الآلهة مجتمعين إلى الكهف الذى تختفى بداخله ربة الشمس، وتجمعوا أمامه فى حفل صاخب عربيد. على حين كان رب الحيلة يغطى فروع شجرة السكاكى التى تواجه الكهف بعقود من أثمن المجوهرات وعناقيد من أورع اللآلئ.

وفى وسط الشجرة فيما يواجه باب الكهف أقام رب الحيلة المرآة

السماوية اللماعة.

ومن كل جانب انطلقت ألحان شجية صدحت بها طيور الخلود.. وعلى أنغامها راحت ربة الرقص أوزوم فى ردائها القدسى ترقص رقصاً هازلاً عربيداً انفجر له الآلهة جميعاً ودوت ضحكاتهم صاخبة تهز أركان الكون.

ومن وراء باب الكهف كانت ربة الشمس تنصت إلى الصخب والضجيج فى استغراب وعجب كبيرين. وعندما ازداد فضولها وثارت بها الرغبة فى كشف سر ذلك السرور الذى يملأ المكان فتحت الباب قليلاً فى هدوء.. وفى هذه اللحظة أشرق النور مرة أخرى على المكان الذى كانت الظلمة تغمره، وامتدت خيوط الذهب فى الشعاعات المتألقة تفيض بالضياء الذى يبعث الحياة.

وشهدت ربة الشمس المجتمع الإلهى الذى كان يصخب فى سرور وانطلاق.. وراحت تتساءل عن سره.. فأجابتها ربة الرقص أوزوم:

- تسألينا عن سر صخبنا وفرحنا..؟! إذاً فاعلمى أننا قد وجدنا ربة أخرى تفوقك جمالاً وروعة..!

وفتحت ربة الشمس عينيها فى استغراب وقلق.

وبدأت تدور بعينيها فى الجمع الحاشد علها تستطيع أن ترى منافستها.. واضطرت من أجل أن ترى المجموعة كلها أن تفتح الباب كله وتطل أمامها.. وعندئذ عكست المرآة اللماعة الصورة الرائعة لربة الشمس.. تتألق حسناً وروعة وبهاء.

وملأ القلق الربة وهى ترى أمامها هذه الحسناء الرائعة التى تواجهها. وبدأت تغادر الكهف لتزداد قرباً من الربة الجديدة.. وهى لا تدرى أنها انما

كانت تقترب من المرآة.

ومد أحد الأرباب يده ليمسك بيدها.. على حين كان رب آخر ينصب وراءها حبلاً من قش ليمنعها من العودة إلى الكهف.

وعندما أدركت ربة الشمس الخدعة. لم تغضب ولم تصمم على العودة.. بل أبدت موافقتها على الصعود إلى عرشها بشرط أن يعاقب الآلهة رب العواصف.

وفى لحظة.. كان الملايين الثمانية من آلهة السماء يهجمون على «سوزانو» ويلقون به على الأرض.. ويحلقون لحيته.. وينتزعون أظفار يديه وقدميه.. ثم يحملونه جميعاً ليلقوا به من السماء إلى الأرض.

ومنذ ذلك اليوم لم تغب ربة الشمس عن عرشها قط.

***

وعادت الحياة إلى الأرض.. وانقطعت عن الآلهة صرخات الاستنجاد التى كانت تنبعث من أهلها.

ومع ذلك فقد عاد الآلهة يجتمعون من جديد.. ولم يكن سكان الأرض هذه المرة هم السبب.. ولكن الضيق الذى أخذ بالآلهة كان مبعثه ذلك الطنين المزعج المنبعث من كل ما على الأرض من جبال وصخور وسهول وأشجار.. فقد كانت كل هذه الأشياء لا تزال تتكلم تماماً كأبناء البشر.. وكان الطنين الذى يحدثه كلامها وخاصة فى سكون الليل، يؤرق آلهة السماء.. واجتمع شملهم للبحث عن وسيلة يقضون بها على هذا الضجيج.. وينشدون الهدوء والسلام على الأرض.

وعندما ارتفعت أصوات الآلهة فى خلال مناقشاتهم.. تقدمت ربة الشمس تعرض أن ترسل حفيدها نينيجى ليحكم هذا العالم المضطرب ويعيد إليه المجد والسلام.. على أن يرسل الآلهة قبل ذلك رسولاً يمهد له الطريق.

وأعجب الآلهة بفكرة إرسال واحد من أبناء السماء ليكون سيداً على الأرض. واتفقت كلمة الجميع على أن يهبط إلى الأرض الرسول أمانوهو، ليمهد الطريق لأبناء السماء.. حفيد ربة الشمس.

ومضت سنوات ثلاث ولم يعد أمانوهو.. وأرسل الآلهة من بعده ولده يبحث عنه ويعيده. ولكن الابن أعجبته الحياة على الأرض فلم يصعد إلى السماء قط. وتتابع الرسل إلى الأرض.. وتتابعت خياناتهم للسماء.. فلم يكن بد بعد ذلك من أن يهبط حفيد ربة الشمس.. وابن السماء.. نينجى بنفسه.. ليضع حدّاً لكل تلك الخيانات.

وقربت اماتراسو حفيدها منها، ومنحته بركاتها ونصائحها، وزودته بهدايا قيّمة ثمينة من بينها أحجار كريمة اقتطعت من سلم السماء، وكرات شفافة من قبتها، وسيف خالد وجد فى قلب التنين. ولم تكتف ربة الشمس بهذه الهدايا، بل منحته أيضاً المرآة السماوية التى أهداها لها الآلهة من قبل يوم غضبتها الخالدة.

وودع نينيجى جدته، وأخذ طريقه إلى الأرض، يحيط به موكب من الآلهة، بينهم ربة الرقص أوزوم، تلك التى أثارت رقصاتها العربيدة ضحكات الثمانية ملايين إله.

وراح موكب الآلهة يخترق السحب حتى بلغوا مفرق الطرق الخالد حيث يتفرع الطريق الرئيسى إلى ثمانية فروع. وهناك توقف الجميع فجأة، وبدأوا يتراجعون إلى الخلف فى ذعر.

وعند المفرق الخالد كان يقف وحش هائل تبرق عيناه بلهب صاخب له فحيح.

وبدأت أقدام الآلهة وبينهم نينيجى تضطرب وتتراجع، عدا أوزوم التى

وقفت فى جرأة وتقدمت من الوحش تسأله عمن يكون وماذا يريد وكيف يجرؤ على اعتراضه الموكب الإلهى، وأجاب الوحش:

- أنا رب حقول الأرض.. وقد قدمت لأكون فى استقبال ابن السماء «نينيجى» سيد الأرض كلها.. ولأكون مرشده الأمين. عودى إلى سيدك، أى أوزوم، وارفعى إليه رسالتى.

وأبلغت أوزوم رسالة رب الحقول إلى ابن السماء. وعاد الموكب يستأنف طريقه عبر السحب حتى بلغ جسر السماء الذى تم عبوره وبلغ الموكب بعده أرض تكاشيهى.

وبدأ رب الحقول يرشد ابن السماء فى رحلة طويلة مرهقة حول الأرض التى كان عليه أن يحكمها ويهديها إلى السلام.. وفى إحدى المناطق القدسية استقر رأيه على إقامة قصره.

ووجد ابن السماء أنه قد أصبح من واجبه أن يقدم شكره لمرشده الأمين.. فمنحه زوجة رائعة.. إلهية.. هى أوزوم ربة الرقص نفسها.. وعندما شهد فرحة العروسين.. أحس هو الآخر برغبة قوية فى أن يفرح كما فرحا.. وراح يطل حوله باحثاً لنفسه عن عروس حيث شاهد حسناء رائعة الجمال تنتصب قائمة إلى جوار حدائق الزهور.

وتقدم ابن السماء إلى الحسناء يسألها من تكون.. وأجابت الحسناء:

- أنا كونوهانا.. ابنة ملك الجبل المقدس.. ومهمتى أن أصنع الزهور التى تغطى الأشجار على هذه الأرض.

وما كان أسرع ما وقع «نينيجى» فى هوى كولوهانا.. فانطلق إلى أبيها.. «أوهوياما» وطلب منه يد ابنته..

وكان لملك الجبل المقدس ابنة اسمها ايهاناجا، طويلة كعمود من الصخر، تكبر كونوهانا، ولكنها كانت بالغة الدمامة والقبح ومع ذلك فقد أراد أوهوياما أن يكون لأبناء «نينيجى» أعمار طويلة خالدة كعمر الصخور. ومن أجل هذه الرغبة أبى ألا يقدم ابنتيه معاً زوجتين لابن السماء.

ولم يجد «نينيجى» بدّاً من الزواج بالأختين.. غير أن كل حبه كان يتجه إلى الزوجة الحسناء.. بينما بدا منه إهمال كبير لشقيقتها المشوهة.

وملأ الغضب قلب إيهاناجا.. ووجدت نفسها تصرخ ذات يوم فى نينيجى:

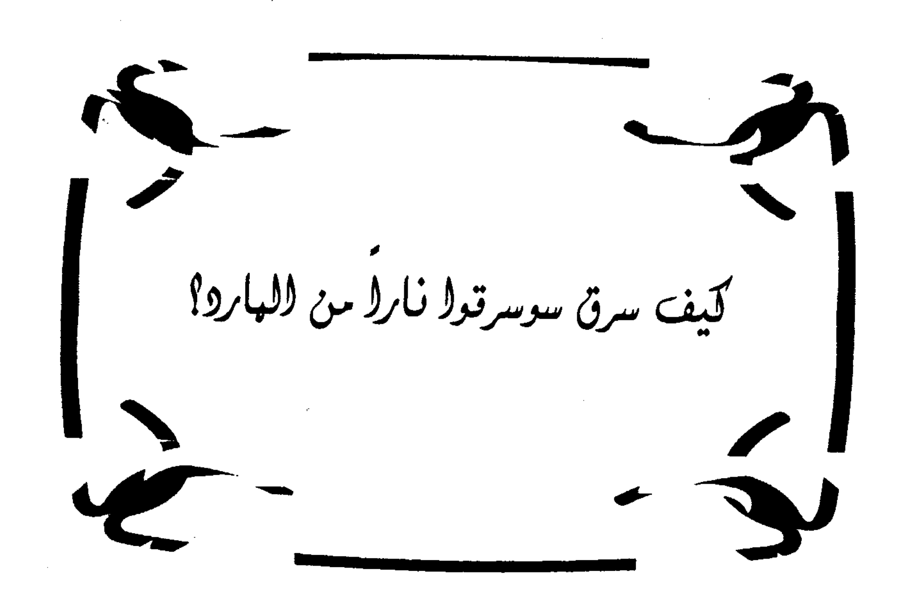
- لو أنك اخترتنى وأحببتني.. لجعلت عمر أبنائك خالداً مثل عمر الصخور.. أما وقد فضلت على أختى الصغرى.. فإنكما وأبناؤكما ستذوون سريعاً كما تذوى الزهور..!

وقد كان..

وعاش «نينيجى» ابن السماء سعيداً مع زوجته الحبيبة كونوهانا. غير أن هذه السعادة لم تدم طويلاً، فقد أعمت الغيرة قلب نينيجى ذات يوم.. وملأت رأسه بالجنون.. ولم يكن هناك من سبب لهذه الغيرة المجنونة التى شقيت بها كوننوهانا.. فما كان هناك من يغار منه زوجها.. فانطلقت إلي كوخ أغلقته على نفسها.. ثم أشعلت فيه النار..

ومن بين ألسنة اللهب خرج ثلاثة أطفال، من بينهم كان «هورى».. الذى نسلت منه سلسلة متصلة مقدسة الحلقات من «الميكادو».. هم الذين جلسوا على عرش اليابان منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

***



كيف سرق سوسرقوا ناراً من الهارد؟

أسطورة جركسية

فى يوم قارس البرد والثلج يتساقط كالقطن المندوف والرياح تعوى كالذئاب الجائعة وبينما آوت الطيور إلى وكناتها أزواجاً لتتقى البرد واندست الحيوانات البرية فى أجحارها مفضلة الدفء على البحث عن فرائس تسد بها جوعها..

فى ذلك اليوم طاب لبعض الأمراء «النارتيين» أن يخرجوا للصيد والقنص! فاصطحبوا معهم من الحاشية والخدم من وثقوا بقدرتهم على احتمال البرد والتعب وأوغلوا فى الغابات المنتشرة بين الوديان السحيقة وعلى سفوح الجبال الشمّاء..

ساروا بدون أن يبالوا بالثلج المتساقط وبالرياح العاوية حتى قادتهم أقدامهم إلى مكان تكاثفت فيه الأشجار الباسقة التى تسامت ذراها إلى عنان السماء.. ووجدوا بينهما من الطرائد الشهية أنواعاً كثيرة فأصدر كبيرهم أوامره للخدم أن يقيموا كوخاً من الأغصان وفروع الأشجار.

وفى مكان عينه لهم طلب من رفاقه أن يتفرقوا فى أنحاء الغابة ليصطادوا أشهى الطرائد وأطراها لحماً ويعودوا قبل السماء إلى ذلك المكان.

وانطلق الشباب «الناريتون» فى أنحاء الغابة الواسعة يبحثون عن الطرائد ويختارون منها ذوات اللحوم الطرية ليشووها بعد عودتهم ويأكلوها هنيئاً مريئاً.

وعادوا قبيل المساء وهم يتضورون جوعاً وقد كدّهم التعب والنصب!

ولكنهم وجدوا الخدم حيارى لا يدرون ماذا يفعلون بعد أن عجزوا عن إيقاد النار التى سيشوون عليها ما اصطاد أسيادهم من الطرائد فقد ألهتهم العجلة عن التزود باللوازم التى يشعلون النار بها عادة!

فوقف الشباب يتطلعون إلى «سوسرقوا» معقد الآمال عندما تضيق بهم السبل فقال لهم ساخراً:

- ما لكم تنظرون إلىّ وكأنى أخفى ناراً فى جيبى؟!

تنحنح كبيرهم وقال يغريه ويحضه على إيجاد مخرج لهم:

- ياسوسرقوا يا ابن الشدائد والأهوال.. يا صاحب الحيل الواسعة والشجاعة المعروفة.

يا من ذللت المصاعب وتغلبت على الشدائد بواسع عقلك وبحسن تدبيرك، انقذنا من هذه الشدة وأوجد لنا مخرجاً من هذه الضائقة فليس لنا من نعتمد عليه فى تذليل صعاب الأمور سواك.

اذهب وابحث لنا عن جذوة نوقد بها ناراً.

فنشوى لحوم الطرائد ونتقى بها شر هذه الليلة الليلاء المقبلة علينا ببردها وثلجها!

اطرق سوسرقوا هنيهة ثم رفع رأسه وبدون أن ينبس ببنت شفة تخفف من عباءته السميكة «الشاكوا 5» المصنوعة من اللباد بأيدى العذارى الماهرات، وترك صحبه متلفعين بعباءاتهم يتقون بها زمهرير البرد القارس.

واقتحم سوسرقوا الغابة وهو يتطلع أمامه ويقف بين الفينة والأخرى فيلتفت يميناً وشمالاً لعله يرى أثراً لنار موقدة أو دخاناً يتصاعد فى تلك الأرجاء إلى أن اجتاز الغابة وسار فى سهل فسيح لا يرى فيه الأفق من كثافة الثلج المتساقط!

مشى حثيثاً وقدماه تغوصان فى الثلج فينتزعهما بصبر وثبات إلى أن أعياه السير وكلت قدماه وتقطعت أنفاسه وكاد يقطع الأمل والرجاء! فتوقف

عن المشى ثم صعد على نشز واخذ يجيل نظره الحاد فى جميع الجهات.. وما لبث أن رأى فى مكان بعيد نورًا لا يكاد يبين من بين قطع الثلج التى تملأ الأفق.. فعاد للسير الحثيث بعد أن استمد من الأمل قوة ونشاطاً.

وما أن وصل إلى مصدر النور حتى رأى! ويا للهول ما رأى!

رأى «مارداً» هائل الجسم بشع المنظر قد «لف» نفسه حول كومة كبيرة من النار المتأججة واستغرق فى نوم عميق.

ورأى فمه الواسع الكبير مفتوحاً يخرج منه الشخير مصحوباً بأنفاسه الحارة التى كانت تتصاعد كالضباب حتى خيل إليه أنه أمام كهف ينبعث منه الضباب ويرعد فيه الرعد.

وقف سوسرقوا يقدح زناد فكره وهاله ما هو مقبل عليه.

وقف يفكر:

كيف يمكنه أن يتناول قبساً من النار بدون أن يوقظ «المارد» فيتقى شره ويعود إلى صحبه بالغنيمة وهو سالم لم يمسه أذاه؟!

وبينما هو فى حيرة من أمره رأى فرجه بين ساقى «الهولة» فتسلل بحذر شديد وتناول أقرب «حطبة» مشتعلة وتراجع بهدوء ثم أدار ظهره وولى هارباً ظانّاً أنه آمن شره ونجا من أشد المخلوقات بأساً وشراسة..

ولكن ما لبث أن أحس بمن يمسك به من عنقه ويرفعه عن الأرض!!

وسمع صوتاً كقصف الرعد يصيح به:

- إلى أين المفر يا سارق النار؟!

انكمش سوسرقوا على نفسه واقشعر جسمه خوفاً وهلعاً والتفت على قدر ما سمحت له اليد التى أمسكت بعنقه فرأى «المارد» الجبار يحدق فيه

بعينه الواحدة والشرر يخرج منها!

وهنت قوى سوسرقوا هلعاً وخوفاً وأخذ قلبه يتخبط بين ضلوعه ولكنه تمسك بأهداب الشجاعة وتظاهر برباطة الجأش وعدم المبالاة! بينما أخذ يقدح زناد فكره وهو معلق من رقبته بين السماء والأرض!

ورأى أنه إذا لم يستعن على «الهولة» بحيلة من حيله البارعة لابد أنه هالك!

فقال وهو يتظاهر بعدم الاهتمام بعظمة «المارد» وجبروته.

-ألأجل قبس من نار أزعجت نفسك وجئت تحاسبنى وأنا الذى لم تطاوعنى نفسى على إزعاجك وإيقاظك من نومك الهنى! انزلنى على الأرض لأعيد إليك النار!

شده «المارد» الذى لم يكن ينتظر من «إنسى» مثل هذا الثبات وعدم الاهتمام بجبروته وبأسه وأخذ ينظر إليه معجباً بشجاعته الفائقة التى أوحت إليه أنه يجابهه بما فى نفسه بدون أن ينهار خوفاً ويطلب منه الرحمة! وهو الذى يرتجف أمامه أكبر المخلوقات وأقواها.. وأعجب بحسن تخلصه من موقفه الحرج وبما أبداه من عذر فوضعه على الثلج ووقف ينظر إليه وهو لا يبدى ولا يعيد فأهتبل «سوسرقوا» الفرصة واستأنف حديثه وقد عاد وطمع فى أن يرجع إلى صحبه بقبس النار فقال:

- دعنى أمض فى سبيلى أيها المارد العظيم الذى دان لجبروته وقوته كل ذى روح على وجه الأرض ولا تضن على بهذه «الحطبة» فإن عصبة من «النارتيين» ينتظروننى كى أوقد لهم ناراً يشوون عليها ما اصطادوا من الطرائد ويتقون بها برد هذه الليلة!

قهقه «المارد» كما يقهقه الرعد وتبدد من محياه القبيح كل مظاهر الشراسة وارتسمت عليه مظاهر الطيبة وقال متحبباً إليه:

- من أنت من النارتيين؟

- أنا سوسرقوا من أشرف الأسر النارتية وأنقاهم دماً وأعرقهم محتداً؟

فانبسطت أسارير المارد أكثر من ذى قبل وقال له متلطفاً:

إنى سمعت عن النارتيين من أجيال كما سمعت عن شجاعتهم وفروسيتهم وأعمالهم الخارقة للعادة وألعابهم الغريبة التى لا يحذقها أحد غيرهم.. وقد نمى إلى من أخبارك روايات لاعداد لها تثبت أنك من فرسانهم وشجعانهم المعدودين وأنك مشهور بالذكاء وبالحيلة وبإتقانك الألعاب النارتية.. فإذا أردت أن تعود بالنار إلى صحبتك علمنى بعضها وسأسمح لك بالعودة مصحوباً بالسلامة.

وبأسرع من لمح البصر تبادر إلى ذهن سوسرقوا الحيلة التى يستطيع بها أن يتخلص من هذا المارد المأفون ويرجع إلى رفاقه سالماً وبيده قبس النار.

فقال يغريه ويستفزه:

- إنك يا صديقى أضعف قوة واقتداراً من أن تتحمل مشاق ألعابنا ورياضتنا فدعنى أمض واترك ما لن تستطيع عليه صبراً!

كاد المارد ينفجر غيظاً وحنقاً واحمرت عينه وفح اللهب من منخريه الواسعين فلفح وجه سوسرقوا وزمجر وصاح عليه بصوت تردد فى تلك السهول وهو يقول:

- أنا لا أطيق تحمل مشاق ألعابكم ولا أقدر عليها! إنك أيها «القمىء» مغفل وجاهل!

فأنا لا أعجز عن أى شىء ولا أعرف المصاعب والأهوال!

أنظر إلى قوتى وأنا أقتلع أضخم الأشجار من جذورها وأرمى بها إلى ما وراء الأفق.

وهرع إلي الغابة البعيدة واقتلع دوحة عظيمة وعاد بها إلى حيث يقف سوسرقوا ورمى بها فطارات واختفت عن الأنظار!

واستأنف المارد حديثه بصوت أجش غاضب:

- يبدو لى أنكم معشر النارتيين كثيرو التفاخر والتبجح سليطو اللسان وما شهرتكم إلا كذب وبهتان!

أجاب سوسرقوا وهو لا يزال يثيره:

- وحق الآلهة إنى لا أريد لك إلا الخير! وقد قالوا أعذر من أنذر فلا تلومن إلا نفسك إذا فشلت وتحدث عنك الركبان و..

فقاطعه المارد وهو يكاد لا يمسك نفسه عن البطش من شدة غضبه:

- دعك من الحديث الفارغ وأرنى من أعمالكم وألعابكم أصعبها وسترى أنى لا أعجز عنها! وتلفت سوسرقوا حوله فرأى على بعد شاسع جبلاً عالى الذرى تغطيه الثلوج البيضاء فقال:

- ما دمت تتحدانا وتصر على ممارسة ألعابنا ورياضتنا خذنى إلى ذلك الجبل وخذ معك «عجلة» من عربة الثيران ثم انحدر إلى السفح وانتظر هناك إلى أن أدفع إليك «العجلة» وعندما تصل إليك أعدها إلىّ بدفعة واحدة.

فسأله المارد الغبى:

- هل أدفعها بيدى الاثنتين أم بيد واحدة؟

أجاب سوسرقوا: بل ادفعها بيد واحدة

فسأله مرة أخرى: أأدفعها بيدى اليمنى أم اليسرى؟

فضاق سوسرقوا من غباء المارد وقال له:

- ادفعها بأية يد تختارها!

فأسرع المارد إلى مكان عربة الثيران ونزع أحد دواليبها الذى يبلغ الأطنان وزناً وحمله على كتفه وحمل سوسرقوا على الكتف الأخرى وهرول بهما حتى وصل إلى قمة الجبل حيث أنزلهما عن كتفيه وسلم الدولاب إلى سوسرقوا ثم انحدر إلى الوادى ووقف ينتظر.

وما لبث غير قليل حتى رأى الدولاب الهائل ينحدر إليه وقد حمل معه من الثلج يقف فيه سوسرقوا فأعاده إليه بعد جهد وعناء.

وهكذا مضى الوقت هذا يدفع الدولاب إلى الوادى وذلك يعيده إليه.

تعب سوسرقوا وتصبب عرقاً وكاد اليأس يدركه لولا أنه سمع المارد يصيح به من بطن الوادى تجاوب صداه بين الجبال فارتعدت فرائض كل من سمعه.

- أى سوسرقوا قد أتقنت هذه الرياضة فانتظرنى ريثما أعود إليك لتعلمنى غيرها.

وتوقف سوسرقوا وحمد الآلهة وجلس يفكر فرأى أن غيابه قد طال بينما رفاقه الذين تركهم تحت رحمة البرد والجوع ينتظرون عودته بفارغ الصبر كما رأى أنه لن يستطيع التخلص من هذا الهولة إلا إذا أهلكه بالحيلة والغدر.

وعندما عاد إليه المارد من الوادى وقف أمامه يلهث ويقول:

- يعلم الله أنها كانت رياضة نافعة دفأت أطرافى وجعلتنى أشعر بحيوية

دافقة فعلمنى غيرها. وكان سوسرقوا قد حبك أطراف الحيلة التى ستخلصه منه وتخلص كل المخلوقات من شرورة وطغيانه.

فقال له وهو يحاوره:

- أيها المارد العظيم سأعلمك الآن إحدى رياضتنا الهينة البسيطة فإن تحملت صعوبتها علمتك أصعب وأخطر رياضتنا فأت «بمنجل» وضعه فى النار إلى أن يحمر كالجمر ثم دسه فى جوفك واصبر عليه حتى يبرد وتنطفئ حرارته و..

فقاطعه بصبر نافد وهو يقول:

- وهل تظن أنى سأعجز عن مثل هذه الرياضة أيها القمىء؟

قال هذا وأسرع إلى بيته وأحضر «مخلا» من الحديد لا يستطيع حمله عشرة رجال أقوياء وألقاه فى النار وصبر حتى احمر وتأجج فتناوله ودسه فى جوفه.. وإذا بالبخار يتصاعد من فمه مصحوباً بوشيش متواصل. ووقف «سوسرقوا» ينتظر موته.. ولكنه خاب فأله فقد أخرج المارد المخل من جوفه بدون أن تؤثر عليه حرارته.

وقال له:

- يا لها من رياضة أزالت الألم كنت أشعر به فى أمعائى فعلمنى الآن أصعب ألعابكم وأخطر رياضاتكم!

وعاد سوسرقوا إلى إثارته لينسى الحذر ولا ينتبه المارد إلى خطورة ما سيفعل به وقال له:

- لا يغرنك عظم هامتك وقوة احتمالك فهذه الرياضة التى سأعلمك اياها أخطر رياضات النارتيين ولا يطبقها إلا القلائل من أقويائهم ممن

وهبهم الله الصبر والجلد و..

فغضب المارد غضباً شديداً وقاطعه قائلاً:

- لا عليك من صعوبتها فنحن المردة لا نعرف الصعب ولا نبالى بالخطر الذى تتحاشونه أنتم أيها البشر وتصفونه بتهاويل من الأوصاف والنعوت فأوجز القول قبل أن ينفد صبرى.

ولكن سوسرقوا لم يبال بغضبه وعاد إلى التفاخر ببنى قومه ليستفزه:

- إنك مهما عظمت قوتك وطالت هامتك لن تطيق ما يطيقه النارتيون الأشاوس ذوو القوة والبأس والصبر ولكنك ما دمت تستهين بألعابنا وتستهون رياضتنا فسوف أريك كيف تمارس رياضات لا يقدر عليها أحد غيرنا حتى المردة والشياطين!

احفر حفرة واسعة عميقة تغطيك إلى عنقك واحضر ما عندك من القار ثم افتح لى باب المتبن.

واسرع المارد وأحضر فأساً وجاروفاً وحفر حفرة واسعة عميقة كما طلب منه سوسرقوا وأحضر ما عنده من القار وفتح باب المتبن ثم وقف يطل عليه ويتأمله إلى أن قال: وماذا بعد ذلك؟

فقال له سوسرقوا: قف فى منتصف الحفرة وتذرَّع بالصبر والثبات وإياك أن تصرخ أو تئن مهما رأيت ومهما أحسست بالألم.

وما لبث المارد الغبى أن قفز فى الحفرة ووقف فى منتصفها شامخ الرأس ينظر إلى سليل النارتيين نظرات استهزاء.

وأخذ سوسرقوا ينقل التبن ويهيله ويرصه حول المارد بقدميه ويصب عليه القار إلى أن غطاه إلى عنقه وأبقى رأسه الكبير بارزاً من بين التبن ثم

صب حوله ما بقى من القار ووقف يتأمله ويضحك فى سره ويناجى نفسه:

- ما أضعف أحلام المخلوقات الكبيرة الأجسام؟ إنها كأحلام العصافير بل أضعف منها!

وقال يخاطب المارد:

- الآن أتت اللحظة الحرجة والوقت العصيب فأصبر وإياك أن تصرخ أو تستنجد وإلا ضحك منك رفاقك المردة وفرسان «النارت» الذين تستهزئ بهم!

فقال المارد بصبر نافد.

- أكمل ما بدأت به وما عليك من صبرى وثباتى فأنا أعرفهما!

فذهب سوسرقوا إلى كومة النار وأخذ منها أغصاناً مشتعلة وألقى بها حول المارد فاشتعل القار والتهب القش وتصاعد الدخان واللهب إلى عنان السماء وانتشر فى أرجاء المكان.

ووقف المارد الغبى ثابت الجأش لا يبدى ولا يعيد ليثبت لسوسرقوا وبنى قومه أنه صبور شديد البأس أشد اقتداراً من النارتيين على تحمل المكارة والصعاب ولا يعجز عن ممارسة ألعابهم ورياضاتهم.

وصاح سوسرقوا بأعلى صوته عندما اطمأن إلى مصير المارد:

- عليك أن تبقى فى مكانك بدون حراك حتى لو رأيت شحمك يسيل من جسدك أبرهن على أنك مارد عظيم لا يعجز عن القيام بألعاب النارتيين ورياضاتهم.

قال هذا وتناول حطبة مشتعلة وترك المارد يتلظى فى اللهب المستعر وعاد إلى رفاقه وأوقد لهم ناراً تدفأوا عليها وأخذ الخدم يشوون من لحوم الطرائد ما يكفى أسيادهم ويكفيهم. وبعد أن تدفأوا وشبعوا من الشواء

أنبأهم سوسرقوا بما جرى له مع المارد وأنهى حديثه:

- قاتل الله الغرور والعجب فإنهما يؤديان بالمرء إلى ركوب المخاطر التى لا موجب لها وبفقدانه التوازن والاعتدال فيحفر قبره بيده كما فعل المارد المغرور بعظم هامته وبقوة بأسه، عجب رفاقه من شجاعته وبما دبر من حيلة بارعة خدع بها المارد الجبار فخلصته من شره.

وأوى الجميع إلى مضاجعهم وناموا ملء جفونهم.

***



من الأساطير الصينية

1 - صوت «قو دونغ»

قبل سنين طويلة مضت.. كان هناك ستة أرانب يعيشون على شاطئ بحيرة داخ لغابة كبيرة. وفى يوم صاف جميل سقطت إلى البحيرة ثمرة ناضجة كبيرة من أكبر شجرة هناك محدثة صوت «قو دونغ» العالى لدى اصطدامها بالماء.

فذعر الأرانب، ولم يعرفوا ما هذا الصوت، وعلى الفور انطلقوا هاربين بأسرع ما يستطيعون.

ورآهم ثعلب وهم يفرون فصاح يسألهم:

- لماذا تركضون؟

فقالت الأرانب:

- إن «قو دونغ» قادم.

وما أن سمع الثعلب هذا حتى انطلق يعدو معهم.

وبعد ذلك قابلوا فى طريقهم قرداً، فسألهم:

- لِمَ كل هذه السرعة؟

فأجاب الثعلب:

- إن «قو دونغ» قادم.

فانضم إليهم القرد، يعدو معهم كذلك.

وهكذا انتشرت الأخبار من فم إلى فم حتى أصبح الغزال والخنزير والجاموس والكركدن والفيل والدب الأسود والدب البنى والفهد والنمر والأسد جميعاً يركضون متتابعين.

وقد هربوا لا يلوون على شيء، وكلما أسرعوا فى عدوهم ازدادوا خوفاً.

وعند سفح تلة كان يعيش أسد له لبدة طويلة كبيرة. فعندما رأى الأسد الآخر يركض زأر سائلاً:

- يا أخى، إن لك مخالب وأنياباً، وإنك أقوى من جميع الحيوانات، فلماذا تركض كالمجنون؟

فأجاب الأسد الآخر لاهثاً:

- إن «قو دونغ» قادم.

فسأله الأسد ذو اللبدة الطويلة:

- من يكون «قو دونغ» هذا؟ أين هو؟

فقال الآخر متلعثماً:

- إننى لا أعرف حقّاً.

فتابع الأسد طويل اللبدة يسأله:

- لماذا تثيرون كل هذه الضجة إذاً؟ لنكتشف أولاً ماذا يكون «قود دونغ» هذا. من أخبرك بذلك؟

- النمر أخبرنى.

فسأل الأسد ذو اللبدة الطويلة النمر، فقال له الأخير إن الفهد أخبره. وهكذا تحول إلى الفهد فأجابه بأنه علم ذلك من الدب البنى.. ووصل السؤال إلى الدب البنى، فقال إنه سمع ذلك من الدب الأسود. وهكذا سئل الدب الأسود فالفيل فالكركدن فالجاموس فالخنزير فالغزال، وكل منهم أجاب بأنه سمع من الآخر. وأخيراً جاء دور سؤال الثعلب فقال:

- الأرانب أخبرونى.

واتجه الأسد ذو اللبدة الطويلة إلى الأرانب، فقالوا بصوت واحد:

- نحن الستة جميعاً سمعنا «قو دونغ» المخيف بآذاننا، تعال معنا، وسنريك أين سمعناه.

وقاد الأرانب الأسد إلى الغابة، وقالوا له مشيرين إليها:

- إن «قو دونغ» هناك.

وفى تلك اللحظة سقطت ثمرة أخرى عن الشجرة إلى الماء محدثة صوتاً قويّاً «قو دونغ».

فنخر الأسد قائلاً:

- والآن، انتبهوا جميعاً! لقد رأيتم كلكم ماذا يكون «قو دونغ» هذا. إنه مجرد صوت الثمرة وهى تسقط فى الماء. فما الذى يخيفكم فى ذلك؟ لقد كنتم تركضون بسرعة كبيرة كدتم تفقدون معها أرجلكم!

فتنفسوا بارتياح. لقد كان هذا التوتر كله من غير ما داع.

***

2 - انتقام الأرانب

منذ زمن بعيد كان هناك أرنب وأسد يعيشان متجاورين. وكان الأسد متكبراً جدّاً ومولعاً بالتبجح بقوته. ومع انهما كانا جارين قريبين إلى بعضهما بعضاً، إلا أن الأسد كان يستخف بالأرنب ويستعرض قوته أمامه دائماً ويخيفه. وأخيراً لم يعد الأرنب قادراً على التحمل، فأراد أن ينتقم منه.

وذات يوم ذهب إلى الأسد وقال له:

- طاب يومك يا أخى المحترم، لقد قابلت حيواناً هناك يشبهك تمام الشبه، وقد قال لى: «هل هناك أحد فى العالم يجرؤ على منازلتى؟ إذا كان هناك أحد فليأت ويبارزنى. وإذا لم يكن هناك أحد، فعليكم جميعاً أن تخضعوا لحكمى وتصبحوا خدماً لى».

وتابع الأرنب يقول:

- أوه، إنه متبجح إلى حد لا يطاق. إنه منتفخ غروراً، ولا يقيم وزناً لأحد!

فقال الأسد:

- ألم تذكرنى أمامه؟

فأجاب الأرنب:

- بلى، ولكن كان من الأفضل ألا أذكرك. فعندما وصفت له مدى قوتك، نخر وتفوه بكلمات فى غاية القبح. بل اشتط أكثر من ذلك فقال إنه لن يتخذك تابعاً له.

فالتهب الأسد غضباً وزمجر قائلاً:

- أين هو؟ أين هو؟

فقاد الأرنب الأسد إلى خلف تلة. ومن بعيد أشار إلى بئر عميقة وقال:

- إنه هناك، فى أسفل البئر.

فاندفع الأسد نحو البئر مسرعاً وحدق إلى داخلها غاضباً. أجل، لقد كان هناك منافسه وشكله يشبهه كما قال الأرنب، وحدق إليه هو الآخر فى غضب.

ثم زأر الأسد، فزأر خصمه كذلك. واستشاط الأسد غضباً حتى إن شعره انتصب، وكذلك اشتد الغضب بخصمه وانتصب شعره. وكشر الأسد عن أنيابه وأظهر مخالبه ليخيف منافسه، وخصمه فى البئر قابله بنفس التصرف! وفى نوبة غضب حادة وثب الأسد إلى الأسفل وانقض على خصمه فى البئر. فكانت النتيجة أن غرق هذا الأسد المتكبر فى الحال ومات.

***

3 - الثعلب الذى ادعى أنه ملك

كان هناك ثعلب طماع. وفى أحد الأيام تسلل إلى قرية ليسرق منها طعاماً. وزلت به قدمه ووقع فى راقود للصباغ الأزرق. فاستبد به الذعر، وتسلق خارجاً منه بأقصى سرعة، وانطلق يعدو. وفى ضوء الشمس أخذ الصباغ على فرائه يلتمع التماعاً جميلاً كأنما هو مجموعة من الجواهر المتعددة الألوان. وعندما عاد إلى الغابة دهشت الثعالب الأخرى لرؤية ما ظنته غريباً. وسألته جميعها متعجبة:

- من أنت؟

فكذب الثعلب الطماع قائلاً:

- لقد أرسلنى إمبراطور إلى هنا لأكون ملكاً على جميع الحيوانات ذات القوائم الأربع.

وسرعان ما نقلت كلماته ونشرت عن طريق مجموعة الثعالب هذه إلى جميع الثعالب والحيوانات الأخرى. وبما أن له لوناً غريباً جدّاً، لوناً لم يروه من قبل، فلم يعرفوا أى نوع من الحيوانات هو، ووافقوا على جعله ملكاً عليهم. واختار فيلاً كبيراً ليحمله وحرساً من الأسود بجانبه. وانطلق يتفقد مملكته، ومرؤوسوه يحيطون به.

ولكن هذا لم يكن كافياً، بل أصدر أمراً يقضى بأن تأتيه النمور وجميع أنواع الحيوانات الأخرى، القاصية منها والدانية، لتقدم له الولاء والطاعة والاحترام.

ذات يوم تذكر أمه ورغب فى أن تشاركه حظه السعيد. لذلك أرسل ثعلباً لإحضارها من الوادى الذى تعيش فيه، وحمله رسالة تقول: «أمى العزيزة!

لقد أصبح ابنك الآن ملكاً، فتعالى بسرعة!».

فسألت أمه الثعلب الرسول:

- كيف يتصرف الآن؟ هل هو متعجرف؟

فقال الرسول:

- أجل، حقّاً. إنه فى غاية العجرفة! يجلس محاطاً بالأسود والنمور والفيلة، بينما نحن الثعالب نجلس فى حلقة بعيدة. وإننا ملزمون بتنفيذ كل ما يطلبه منا، وطباعه على الغالب سيئة. إنه يشتم ويلتهب غيظاً، وينتصب شعر شاربيه غضباً. وكلمة «متعجرف» لا تكاد توفيه حقه من الوصف.

فلم تسر أمه لسماع ذلك، وقالت:

- إنه لخطأ كل الخطأ أن يكون على هذه الحال. أخبره بأننى لن آتى إليه.

وأخفق الرسول فى مهمة جلب أم الملك معه، ولكن منذ رأى الأم عرف أصل الملك. ولم يكد يعود إلى بيته حتى قال للبقية:

- تبين الحقيقة أن ملكنا ليس إلا ثعلباً عادياً. وأنا أعرف ذلك لأننى رأيت أمه. إنها تبدو مثلكم ومثلى تماماً.

وعلى الفور أثار هذا الخبر غضبهم، ولكنهم أرادوا التأكد تماماً من أنه ليس إلا ثعلباً عادياً. لذلك اقترح أحدهم:

- هيا بنا جميعاً نحن الثعالب ننبح. فإذا كان ثعلباً، فإنه ما أن يسمعنا حتى يستجيب لنباحنا على نحو لا إرادى، وعندها سنكون قادرين على اكتشاف الحقيقة من صوته.

فوافقت جميع الثعالب ورفعت أصواتها دفعة واحدة.

كان الملك المزعوم يجلس على ظهر فيله ساهياً، فعندما سمع الثعالب تتبح شاركها النباح غير منتبه لما يفعله.

ولما سمع الفيل صوت الملك أدرك على الفور أنه ثعلب، فقال فى اشمئزاز:

- أيها الثعلب النتن! كيف تتجرأ على اعتلاء ظهرى؟

وبهزة واحدة من كتفيه ألقى بالثعلب بعيداً عن ظهره، وداسه بقدمه فمات فى الحال.

***

4 - قصة الجمل الصغير

ذات يوم خُطِبَت ابنة رجل ثرى جداً إلى ابن حاكم كبير. وكان مهرها عبارة عن مائة جمل أبيض، بينها جمل صغير قد فطم وفصل عن أمه ليتمم المائة المطلوبة مهراً.

وحنت الأم إلى جملها الصغير، واشتاق هذا الفصيل إليها من اشتياقها إليه، وهرع يبحث عنها تاركاً جماعته فى الطريق.

فتعثر بالأشواك، واصطدم بالقصب، ووقف فى بعض الأحيان متلعاً أذنيه.

ثم قال فى نفسه: كم يكون سعيداً أن أحظى بنومة إلى جانب أمى! كم يكون جيداً أن أرى عينيها ثانيةً، اللتين تشبهان الشمس والقمر! كم يكون رائعاً أن أشرب لبنها الذى هو أفضل من أطرى الأعشاب! كم يكون ممتعاً أن أقبل فمها الذى يشبه فم الأرنب!

وبينما هو يفكر فى ذلك وصل إلى بحيرة كبيرة واسعة لا يستطيع عبورها.

فوقف هناك حائراً، لا يدرى ماذا يفعل، وإذا بسمكة كبيرة تبرز رأسها إلى سطح البحيرة. ثم أشفقت على هذا الفصيل وعبرت به البحيرة. وعند الجانب الآخر من البحيرة شعر الفصيل بالسعادة. ولكن لسوء حظه رآه راع وربطه إلى عنق جمل كبير.

واشتد حنين الفصيل إلى أمه، فلم يكف عن البكاء.

وعندما عرف الجمل الكبير قصته رق قلبه له كثيراً، ثم قضم الحبل وخلى سبيله.

فانطلق الفصيل يعدو، وسرعان ما وصل إلى المكان الذى كان يعيش فيه من قبل، ووجد أمه.

كانت الأم قد برح بها الألم لفقدان فصيلها، حتى إنها أشرفت على الموت، واستلقت على العشب تبكى، وتقول:

- ولدى! سأموت عما قريب. اسمع إلىّ جيداً. ابق هنا بجانبى مدة ثلاثة أيام بعد موتى. وسترى ثلاث نصلات من العشب تنبت على رأسى. فيجب أن تقسمها إلى ثلاثة أقسام وتأكلها. ثم اذهب فى اتجاه الشمال بحثاً عن أخيك. وستعرفه من حجمه الصغير ومن الوبر الأبيض الطويل الذى فى عنقه. فامكث معه وستعيش وإياه فى أمان. وتذكر، وأنت فى طريقك إلى البحث عن أخيك، أنه يجب ألا تنام فوق الروابى، ولا فى الأماكن التى يخيم فيها الناس. نم على الطرف الجنوبى من المنحدرات. وعندما تجد أخاك افعل ما يطلبه منك وامش وسط القافلة.

ثم فارقت الأم الحياة والدموع فى عينيها.

وبعد ثلاثة ليالٍ نبتت على رأسها ثلاث نصلات من العشب. فأكل الفصيل هذه الأعشاب، ثم انطلق يبحث عن أخيه.

كان هذا الفصيل شديد الفضول، فأراد أن ينام فوق رابية. ولكن عندما بات فوقها وجدها رطبة باردة. وتذكر كلمات أمه فقال فى نفسه: الآن عرفت. لقد كانت مصيبة عندما طلبت منى أن لا أنام فوق رابية.

ولكن الفصيل ظل شديد الفضول، ففكر: ذات ليلة سأحاول النوم فى مكان يخيم فيه الناس.

وفى الليلة التالية فعل ذلك. ولكنه أمضى ليلة بائسة جدّاً، ذلك لأن كثيراً من الحيوانات أثارت الضجة من حوله عندما كانت تبحث عن فضلات الطعام.

وتذكر كلمات أمه ثانيةً فقال فى نفسه: لقد عرفت الآن لماذا طلبت

منى أن لا أنام حيث يخيم الناس.

وفى الليلة الثالثة فعل الفصيل ما طلبته منه أمه، فنام على الطرف الجنوبى من المنحدر. وأمضى ليلة آمنة هناك، فلم يشعر بالبرد، ولم تزعجه الحيوانات الأخرى.

وفى اليوم الرابع وجد أخاه.

ولكنه ظل شديد الفضول، فقد قال فى نفسه: إننى أعجب، لماذا يجب أن أتبع أخى ولا أمشى إلا وسط القافلة؟!

وحاول أن يمشى فى المقدمة متعمداً، ولكنه وجد الجمال الشرسة التى تقود القافلة تعض قائمتيه الخلفيتين.

فحاول أن يمشى فى المؤخرة، ولكن الراعية ضربته.

ثم حاول أن يمشى على الجانب، فوجد الرمل المتطاير من تحت أرجل الجمال يدخل إلى عينيه.

وعندها لزم الفصيل أخاه ومشى فى الوسط، فأصبح كل شىء على ما يرام. وتحت رعاية أخيه تمكن دائماً من أكل أفضل الأعشاب وحظى بما يكفى من الماء للشرب، وراح أخوه يتحدث معه وأصبحت حياتهما معاً فى غاية السعاد.

ثم قال الفصيل فى نفسه: كل ما قالت أمى صحيح تماماً.

***

5 - مكافأة الآلهة

استطاع «باكو» أول الخلق فى أساطير الصينيين أن يشكل الأرض حوالى عام 25229000 قبل الميلاد بعد أن ظل يعمل ويكد ويجهد فى تشكيلها ما يقرب من ثمانية عشر ألف عام. وتجمعت أنفاسه التى كان يلهث بها فصارت رياحاً وسحباً، وأضحى صوته رعداً، وتحولت عروقه أنهاراً، واستحال لحمه أرضاً، وشعره نبتاً وشجراً، وعظمه معادن، وعرقه مطراً.. أما الحشرات التى كانت تعلق بجسمه.. فأصبحت آدميين.. وهم أصل وجود البشر..!

وجاهد الملوك الأولون جهاداً شاقّاً فى محاولة جعل «قمل» باكو بشراً متحضرين بعد أن كانوا قبل ذلك كالوحوش الضارية يلبسون الجلود. ويقتاتون باللحوم النيئة.. ويعرفون أمهاتهم ولكنهم لا يعرفون لهم آباء!

ومع تقدم البشر وتحضرهم بدأت الملوك وهم من نسل الآلهة.. يعلمون الآدميين كيف يعيشون حياة نظيفة طاهرة كان أبرز ما فيها إخلاص الأبناء لآبائهم وطاعتهم طاعة عمياء. ومن هنا صار حب الآباء مثل العبادة.. وصارت الآلهة تجزى الأبناء الصالحين كلما زاد إخلاصهم وتفانيهم فى هذه العبادة.. ومن هنا اشتهرت فى الصين أسطورة «مكافأة السماء».

كان تونج يونج قد فكر طويلاً جدّاً قبل أن يترك بيته وينطلق إلى الساحة العامة فى المدينة حيث يعرض الأرقاء والمدينين أنفسهم للبيع. ولم يكن تونج قد اتخذ هذا القرار عن يأس من سداد دين أو رغبة فى حياة الرق. فقد كان الأمر أبعد من كل ذلك. فهناك.. بين جدران غرفته الحقيرة الضيقة، كانت جثة أبيه لا تزال تستلقى فى سكون، لا تجد من يستطيع أن يؤدى لها مراسم الدفن. برغم كل ما بذله تونج من محاولات وجهود ذهبت كلها مع الريح..!

والحق أن تونج حين خرج يبحث أول الأمر عمن يمكن أن يمد له يد المعونة لتغطية نفقات دفن أبيه، لم يكن لديه أمل كبير فى أن يجد أحداً. فقد كان بالغ الفقر تماماً كما كان أبوه.. والفقير لا يجد سوى الفقراء أصدقاء له. وقد كان هؤلاء الأصدقاء فعلاً من البؤساء الذين يعجزون عن تقديم أى عون لتونج الذين كان الألم يملؤه وهو يجد نفسه غير قادر على القيام بطقوس دفن الأب الذى عاش حياته فى ضيق وتقتير من أجل تعليم ولده، والذى عجز فى الوقت نفسه عن ادخار قطعة واحدة من النحاس للمستقبل الأسود الكئيب.

ومع ذلك، فقد صمم تونج على القيام بطقوس الدفن التى تعارف عليها الناس، وتخليد ذكرى أبيه بإقامة نصب جميل على قبره يليق بوالد طيب حنون.

ولم يكن أمام تونج لكى يحصل على قطع النحاس والفضة سوى طريق واحد رهيب، هو أن يبيع نفسه كعبد لأى سيد من الأثرياء.

وانطلق تونج يونج فى طريقه إلى ساحة الرقيق، بعد أن وضع فوق كتفه لافتة تحدد الشروط الباهظة لعبوديته، والأعمال التى يمكن أن يؤديها بنشاط وإتقان.

وفوق مقعد حجرى كبير جلس تونج يونج فى انتظار من يشتريه. وما أكثر من مر به من رجال راحوا يبتسمون فى سخرية وهم يقرءون الثمن الباهظ الذى علقه فوق كتفه. وما أكثر من مر به من رجال كانوا يتوقفون قليلاً ليقلبوه ويتأملوا عضلات ذراعيه وساقيه. بل وما أكثر من مر به من رجال كان يحلوا لهم طرح الأسئلة فى فضول، أو إطرائه والثناء عليه بكلام أجوف رقيق.. ثم لا شىء بعد..!

واستمر تونج يونج جالساً فوق الحجر، لا يجد من يشتريه..!

ومرت الساعات طويلة ثقيلة باردة.. وما من أحد يحاول أن يعرض على تونج ذلك الثمن الذى يبغيه. وبدأ اليأس يأخذ بخناقه. وأحس بحقارته إذ عجز عن الحصول على سيد يشتريه. ونهض من مكانه. ومن عينيه يكاد يطفر دمع غزير، وفى هذه اللحظة، دخل السوق على صهوة جواد أشهب، سيد بارز من سادة المقاطعة، يعرف كل أهلها إن لديه من العبيد بضعة آلاف، ومن الأرض إقطاعيات واسعة الأطراف. ووقف السيد يتأمل الشاب الذى عاد فملأ صدره أملاً بعد يأس. وقرأ الرجل اللافتة المعلقة فوق ظهره. وعاد فصعد بصره إلى كل عضو من أعضائه القوية البارزة.. وراح يتأمل وجهه الباسم السمح. ثم التفت إلى رفيق كان يصحبه. وأمره بأن يدفع للفتى الثمن الذى يبغيه.

وهكذا أصبح تونج يونج عبداً. غير أنه أحس وهو يستسلم لمصيره الجديد، أنه قد حقق أعز أمانيه، إذ كان أول ما صنعه حالما تسلم ثمن حريته، ان انطلق إلى بيته فجهز جثة أبيه وأعدها للدفن، وأقام عليه الطقوس الجنائزية فى تقى وورع، ووضع بين شفتيه الفضة المقدسة، وأحرق عرائس الورق بكل أشكالها فى النار الطاهرة، ثم دعا المنجمين والسحرة ليستخيروا الآلهة عن المكان الذى يمكن أن يقام فيه نصب أبيه، وليختاروا البقعة التى لا يقترب منها شيطان أو تنين. وعندما تم اختيار مكان الضريح، انطلق الفتى إلى أمهر الفنانين فشيدوا قبراً من رخام نقشوا على حجارته أبدع النقوش، ثم نثر على جانبى الطريق قطعاً من فضة ونحاس، قبل أن يعود إلى الدار ليبدأ جنازة أبيه، ويسير بها فى الطريق إلى الضريح ليوسدها اللحد، بعد أن تمت كل إجراءات الدفن كأحسن ما يشتهى أغنى الأغنياء.!

وعندما أتم تونج يونج أداء العمل الطاهر الذى كان يبغيه، انطلق إلى سيده الجديد وقد قرر أن يجعل من نفسه خير العبيد..!

والواقع أن تونج كان أبرز الجميع إخلاصاً لسيده وإتقاناً لعمله.. وما قصر قط فى مهمة عهد بها إليه، حتى أن السيد قرر فى أعماقه أن يسهل له مهمة الحصول على ما يساوى أجر حريته.. خلال سنوات قليلة يقضيها لديه.

على أن الإخلاص فى العمل لم يمنع تونج يونج من الاستمرار فى الحزن على أبيه الطيب الحنون. ولم يكن يترك مناسبة تمر إلا ويزور قبره ومعه أعواد البخور يحرقها أمامه ويقيم الطقوس التى اعتادت أسرته القيام بها فى مثل هذه المناسبات، ويوزع على الفقراء ما يشتريه من فواكه ولحوم بالمال الذى كان الجميع يتوقعون أن يدخره ليجمع منه ثمن عتقه..!

وكان لابد للحزن العميق، والتفانى فى العمل، مع الإرهاق المستمر بغير ما يكفى من غذاء، أن ينتهى بالفتى إلى مرض منهك يقعده عن أداء كل شئ، فإذا به ملقى فى فراشه بالكوخ الصغير ذات يوم يتقلب على نار الحمى، ولا أحد يرعاه أو يهتم به، حتى زملائه لم يجدوا لديهم من الوقت ما يجعلهم يزورونه وهم يقضون نهارهم كله فى المزرعة، ويعودون مع الغروب مرهقين لا يكادون يحفلون بشىء قط عدا النوم!..

وهكذا جاء الوقت الذى بدأ فيه تونج يونج يستسلم لموت لابد منه. وغامت عيناه، وخنقته الحمى، وراح فى إغفاءة عميقة طويلة..

وبينما تونج فى إغفاءته، إذ رأى فى حلمه حسناء رائعة الجمال تقترب منه، وتمد كفها الرقيق إلى جبينه، وتمر بأصابعها الطويلة الدقيقة على وجهه. وشعر تونج بما يشبه السحر يسرى فى جسده المنهوك، وكأن حياة

جديدة قد بدأت تتدفق فى عروقه التى كانت قد أخذت تتقلص وتنهار!.

وفتح الفتى عينيه، فإذا هو أمام حسناء شيقة تنحنى عليه.. لم تكن تختلف قط عن الحسناء التى شهدها فى حلمه اللذيذ.

وفى لحظات.. كانت الحمى قد زالت عنه، والحياة الجديدة الرائعة تتدفق فى عروقه، فى حين أن الحسناء لا تزال تحرك أصابعها على وجهه وجبينه وعينيه، وترميه بنظرات رقيقة حانية فيها سحر فريد عجيب.

وداخل الفتى شعور لذيذ، فيه راحة وفيه رهبة. وحاول أن يخرج من بين شفتيه كلمات يسأل فيها من تكون. غير أنها أشارت إليه أن يسكت.. فى حين انطلقت تقول له فى صوت كأنه يهبط من السماء:

- لا تسألنى شيئاً أيها الحبيب.. فيكفيك أننى جئت لأعيد إليك قوتك، ولأكون زوجة لك.. فانهض معى نصلى للسماء!

وكاد تونج يبتسم فى سخرية وهى تطلب منه النهوض.. فقد ظل عدة أيام لا يستطيع حركة على الفراش قط.

وأحست الحسناء بما يعتمل فى أعماقه. فمدت إليه ذراعها يعتمد عليها فى نهوضه.. ووجد نفسه بالرغم منه يستسلم لها. وإذا لدهشته ينجح فى النهوض، بل ويجد فى نفسه القدرة على المشى والجرى والقفز أيضاً!.

لقد عادت إليه كل قواه.. ولم يعد يحس ألماً أو انهياراً بعد!..

وأدرك الفتى أن الحسناء كانت صادقة فيما وعدت به من إعادة قواه.. ولكنه لم يدر كيف يمكن تنفيذ وعدها الآخر بالزواج منه.. وهو فى ذلك الخضم الهائج من الفقر والبؤس والامتهان..!

وكأنما أحست الفتاة بما يدور بخلده، فعادت تربت على كتفه فى حنو

كبير، وقالت له فى صوت طاهر نقى:

- لا تخش مسئوليات الزواج.. فسأزودك بكل ما تحتاج إليه!

وفتح الفتى عينيه فى دهشة، وراح ينقل بصره بين أسماله البالية.. وملابسها التى بدت فيها هى الأخرى فقيرة ضئيلة كمثيلاتها من بنات الشعب.

وشعر باطمئنان كبير، برغم الحيرة التى أخذت به. ولم يكد يفتح شفتيه ليتكلم حتى كانت هى قد أخذت من جديد بيده، وجعلته يركع إلى جوارها، ويصلى معها..

وفجأة رفعت الفتاة كأساً من النبيذ، لم يعرف من أين جاءت به، وأدنته من شفتيها ثم من شفتيه، ليشربا معاً نخب الزواج.

وقد كان.. وأصبحت الحسناء الغريبة النقية زوجة طيعة لتونج يونج!..

عاش تونج يونج أيامه التى تلت ذلك اليوم كما لم يعش من قبل أبداً. فقد بدت له الحياة هنية شهية، فيها سحر وفيها روعة وفيها جمال. برغم الحيرة والخوف الغامض الذى كان يملؤه وهو يعيش مع زوجة لم يجرؤ قط على سؤالها من تكون ومن أين جاءت. ولم يعرف أبداً كيف يجيب على تساؤل زملائه من الرقيق عمن تكون زوجته الجديدة. أبداً ما عرف تونج يونج كيف يجيب على كل تلك الأسئلة.. بأكثر من جواب واحد هو الذى سمعه منها يوم تم الزواج.. ان اسمها تشى.. ولا شىء بعد!.

غير أن تلك الحيرة لم تطل به، فقد قرر أن يدع كل ما يتعلق بماضيها وماضيه، وأن يعيشا معاً حياتهما الجديدة الرائعة.. فى ذلك المسكن الصغير الذى لم يعد بارداً جافّاً حقيراً، بل صار بفعل قوة سحرية بديعاً هادئاً، تغطى حقارته زخارف وزينات صنعتها الحسناء بيديها الرقيقتين العامرتين بالسحر.

ولم يكن ذلك وحده هو ما أسكت يونج عن أن يفكر فى حقيقته. فقد كان ثمة شىء آخر غريب لم يدر سره.. فقد كانت زوجته الحسناء تقضى نهارها كله وجزءاً كبيراً من الليل، تنسج حريراً لم تشهد مثله المقاطعة من قبل. وكان الحرير الذى تصنعه رائعاً فياضاً كتيار من ذهب لامع مصقول.. تتماوج على سطحه زينة رائعة عجيبة ترسم خيالات فرسان على خوذاتهم جواهر ثمينة لم ير مثلها أحد فى المقاطعة قط، وتجر جيادهم عربات على جانب كل منها رسم تنين يتدلى من لحيته حجر كريم.

لم يدر تونج قط كيف تصنع «تشى» هذا النسيج العجيب. غير أنه لم يحاول أن يسألها أبداً عن السر الذى لا تريد أن تبوح به.

وكان يكفيه أن يأخذ منها النسيج ليعرضه فى السوق، فيلتف حوله كل أغنياء المقاطعة، ويدفعون له مكعبات من فضة وهم يطلبون منه كميات أخرى كثيرة هائلة.

وذاع صيت «تشى» ونسيجها العجيب. وبدأ الأمراء والتجار يتوافدون على المقاطعة من كل مكان، يطلبون مشاهدة النسيج الساحر، ويتوسلون إلى «تشى» أن تعلمهم سر صنعه. ولكن الزوجة الحسناء كانت تهز رأسها وهى تبتسم وتقول:

- أؤكد لكم أن أحداً منكم لن يستطيع صنعه.. فليس بينكم من له أصابع كأصابعى.

والحق أن أحداً لم يكن يستطيع أن يميز أصابعها خلال قيامها بنسج الحرير. فقد كانت أصابعها تتحرك فى سرعة عجيبة كأجنحة نحلة تطير.

واستمرت الأيام تمضى، ومكعبات الفضة التى يبيع بها تونج يونج أثواب

النسيج تزداد يوماً بعد يوم وتتراكم فى صندوق كبير، على حين أن «تشى» تعمل فى دأب لإنتاج أثواب أخرى كثيرة، حتى تفى بوعدها الذى قطعته على نفسها حين قالت لزوجها إنها ستزوده بكل ما يحتاج إليه..

ثم جاء يوم..

وبينما كان تونج يونج يستعد لمغادرة الدار فى طريقه إلى السوق قبل الذهاب إلى مزرعة سيده، نادته زوجته وقالت له:

- لا تخرج اليوم.. فما عاد هناك ما يدعوك للذهاب إلى المزرعة.

ولم يفهم تونج ما تعنيه زوجته، إلا عندما أخذته إلى حيث كان الصندوق الكبير ففتحه، وأخرجت منه وثيقة تحريره من العبودية، بعد أن ابتاعتها بمكعبات الفضة التى ادخرتها من أثمان الحرير العجيب النفيس!..

ورقص تونج يونج، وانحنى على زوجته يقبلها، ثم حاول أن يسجد لها شاكراً فمنعته، على حين استمرت تقول له:

- الآن قد مضى زمن عبوديتك.. فلا تحاول أن تبيع حريتك بعد ذلك. كن سيد نفسك، واعمل لصالحك أنت وحدك. ولقد اشتريت لك هذا المنزل الذى تقيم فيه، وابتعت باسمك المزرعة التى تحيط به. ودفعت ثمن غابات شجر التوت فأصبحت كلها ملكاً لك!.

***

ومضى عام جديد.. كان تونج يونج قد أصبح خلاله أبرز أغنياء المقاطعة وأحبهم إلى قلوب الناس.. وحتى العبيد الذين اشتراهم ليعملوا فى أرضه، ملأتهم أحاسيس بأنهم لم يعودوا عبيداً قط، بما كان يعطيهم من مال ويمنحهم من عطف، فأخلصوا له الحب، كما قدسوا السيدة تشى.. زوجة

السيد التى لم يروا منها شيئاً سيئاً على الاطلاق.

وأنجبت «تشى» طفلاً رائع الجمال، كأن على جبينه هالة من النور.

وتحدث كل أهل المقاطعة عن ذلك الطفل العجيب، إذ كان أعجوبة لم يروا مثلها من قبل قط. فقد ردد وهو بعد فى الشهر الثالث من عمره أمثال الحكماء، وعندما بلغ شهره السابع بدأ يتلو الصلوات المقدسة، وقبل أن يبلغ سن العاشرة كان يجيد الكتابة ويتحدث إلى الكهان ويناقشهم فى أصول العبادات.

وكان الفرح يملأ قلب تونج يونج وهو يشهد أعاجيب ولده.. وكان يتحدث إلى زوجته فى زهو وأمل بالمستقبل الذى ينتظره.. فى حين تروح هى تتابع سروره وزهوه فى رضا كبير.

ونهض تونج يونج ذات أمسية باردة، فأحس فى أعماقه انقباضاً كريهاً بغيضاً، وشعر كأن أطرافه قد تجمدت. ونهض إلى النار فأشعلها، واقترب من زوجته فإذا هى راقدة فى هدوء، وعلى وجهها نور وضىء كأنه السحر. وراح تونج يونج يتأمل وجه زوجته وهو يحس به أكثر جمالاً مما كان فى يوم من الأيام. واستمر فى تأمله وهو ذاهل عن مضى الليل، وخمود النار، وسكون الرياح التى كانت تصفر قبل ذلك فى جنون!.

وفجأة.. فتحت «تشى» عينيها، ونهضت وعلى شفتيها سكون، ثم مدت يدها إليه، تماماً كما مدتها إليه يوم جاءت لتشفيه، وسارت به إلى حيث كان الطفل يرقد فى الفراش.

وكما حدث يوم التقت عيونهم أول مرة، شعر تونج برعشة رهيبة وعيناه تلتقيان بعينيها.

إلا أن الرهبة التى ملكته ذلك اليوم كان لها طابع آخر غريب. أحس معه بقوة غير منظورة تدفعه إلى أن يسجد أمام «تشى» كما يحنو ناسك أمام إلهه.. وعندما نهض من سجوده، ورفع عينيه إليها انطلقت من بين شفتيه آهة رهيبة..

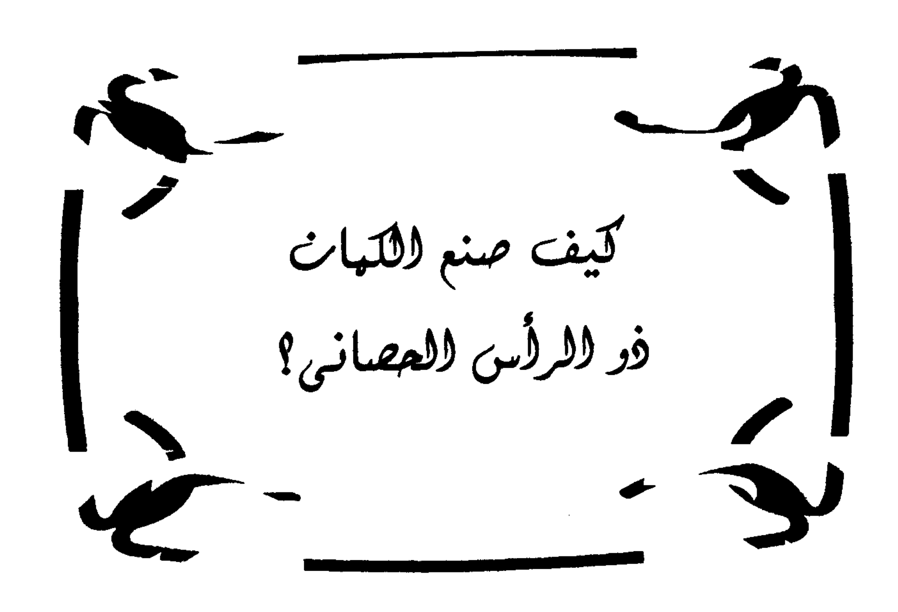
فقد كانت «تشى» تنتصب أمامه، طويلة كأطول ما يمكن أن يكون إله، ومن وجهها يشع بريق هائل كأنه بريق الشمس.. وسمع صوتها يحدثه فى رفق وحنان:

- والآن أيها الحبيب.. لقد حان الوقت الذى أتخلى فيه عنك.. فما عدت بحاجة إلىّ.. بعد أن أديت لك كل ما أرسلنى من أجله سيد السماء، مكافأة لك على حنوك البنوى، فتجسمت لك فى صورة امرأة لأنجب لك ولداً جميلاً يكون لك محبّاً رفيقاً عطوفاً كما كنت أنت نفسك لأبيك.. وبات على أن أعود الآن إلى مقرى العلوى.. فأنا أيها الفتى الحبيب.. الإلهة تشى نيو!..

ولم تكد تنتهى من كلماتها حتى تلاشى البريق الهائل الذى كان يغمر المكان. وحدق تونج يونج بعينيه أمامه، فما رأى شيئاً قط.. إذ كانت تشى نيو قد ارتفعت إلى السماء كومضة البرق الخاطف.

أما الفراش الصغير.. فقد كان الطفل لا يزال يرقد فيه.. ومن وجهه الوضىء يشع بريق رائع.. لا يقل روعة عما كان عليه وجه تشى نيو..

***



كيف صنع الكهان ذو الرأس الحصانى؟

أسطورة من قومية منغوليا

هل تعرفون كماننا ذا الرأس الحصانى؟ هل سبق لكم أن تساءلتم عن سبب صنع أداتنا الموسيقية المفضلة هذه؟ دعونى أخبركم بذلك: إنها لقصة حزينة.

لقد اخترع الكمان الأول ذا الرأس الحصانى الراعى الصغير سو خه الذى كان يعيش فى مرج تشاهار. لقد كان يتيماً، فربته جدته. وكان بحوزتهما عشرون رأساً من الغنم. واعتاد سو خه أن يخرج بالأغنام ليرعاها، وأن يساعد جدته فى تحضير الطعام والعناية بالمنزل. وعندما بلغ السابعة عشرة من العمر أصبح مغنياً موهوباً، وقد حظى غناؤه بإعجاب جميع الرعاة والجيران.

ذات يوم غابت الشمس وخيم الظلام بسرعة، ولكن سو خه لم يرجع إلى البيت، فقلقت عليه جدته، وكذلك الجيران أخذوا يقلقون. وفى وقت متأخر من الليل رجع سو خه، يحمل بين ذراعيه شيئاً أبيض صوفيّاً. وكان هذا الشىء عبارة عن مهر حديث الولادة. ونظر سو خه إلى الوجوه المندهشة من حوله وقال مبتسماً:

- لقد لقيت هذا المهر الصغير فى طريق العودة مطروحاً على الأرض يقاوم، ولم يكن هناك أى أثر لأمه. وخشيت أن تأكله الذئاب فجلبته معى إلى الخيمة.

ومع مر الأيام كبر هذا المهر الصغير حتى صار جواداً بفضل العناية التى أولاها إياه سو خه. لقد كان أبيض بلون الثلج، وكان قوى الجسم جميل الشكل. فكل من رآه أحبه، وخاصةً كان أعز إلى نفس سو خه.

وذات ليلة استيقظ سو خه على صوت صهيل مثير، فهب من فراشه، وهُرع إلى خارج الخيمة. فسمع ثغاء الأغنام فى الحظيرة، ووجد الجواد الأبيض

يقوم بحماية الحظيرة من ذئب رمادى كبير! فطارد سو خه الذئب إلى مسافة بعيدة. كان العرق يتصبب من جسم الجواد، وبدا واضحاً أنه كان يعارك الذئب فترة طويلة، فأخذ سو خه يربت على ظهره ويخاطبه كأنه من أهله:

- أيها الجواد الأبيض! لقد أنقذت الأغنام.

وبعد ذلك أصبح سو خه والجواد الأبيض صديقين حميمين لم يفترق أحدهما عن الآخر ولو دقيقة واحدة.

ومضى الوقت سريعاً. وذات ربيع انتشرت فى المراعى أخبار مفادها أن الأمير سينظم سباق خيل أمام معبد اللاما، والفائز سيحظى بابنة هذا الأمير خطيبة له. وسمع سو خه بذلك، وشجعه أصدقاؤه على دخول السباق. فانطلق سو خه بجواده الأبيض الذى أحبه حبّاً شديداً.

وبدأ السباق، وكان كثير من الشبان الأقوياء يشتركون فى السباق، وَسَاطَ هؤلاء جيادهم وانطلقوا يعدون بأقصى سرعة، ولكن سو خه مع جواده الأبيض وصل الهدف قبل الآخرين.

فقال الأمير من على منصة المتفرجين:

- اطلبوا من راكب الجواد الأبيض أن يأتى إلى هنا.

ولكن عندما رأى أن الفائز هو راع فقير لم يتعرض إلى ذكر الزواج من ابنته. بل قال باحتيال:

- ستعطى ثلاث مائة قطعة فضية مقابل جوادك، وارجع إلى بيتك!

فاغتاظ سو خه وقال فى نفسه: ماذا؟ هل يظن أننى أبيع جوادى الأبيض الثمين؟

ثم أجابه بلهجة فظة:

- لقد جئت لأشترك فى السباق، لا لأبيع جوادى.

فاندفع خدم الأمير على الفور يقولون:

- يا له من وغد! هل راع فقير يجرؤ على معارضة الأمير؟ يجب أن يعاقب.

وضربوا سو خه إلى أن فقد وعيه، ثم ألقوه من على منصة المتفرجين إلى الأرض. وعاد الأمير إلى قصره مظفراً ومعه الجواد الأبيض.

وحمل الأصدقاء سو خه إلى البيت، وقامت جدته بتمريضه والعناية به، فتحسن بعد بضعة أيام. وبعد فترة قصيرة سمع سو خه، وهو مستعد للنوم، شخصاً يطرق الباب، فصاح:

- من هناك؟

ولكنه لم يسمع جواباً، واستمر الطرق.

وذهبت الجدة لترى من الطارق، فدهشت عندما فتحت الباب:

- أوه! إنه الجواد الأبيض.

فخرج سو خه على الفور. أجل، إنه الجواد الأبيض فعلاً! كان يتصبب عرقاً، وكانت هناك سبع أو ثمانية سهام منغرزة فى جسمه. فانتزع سوخه السهام من جسم جواده ضاغطاً على أسنانه وكابحاً حزنه. وسرعان ما أخذ الدم يتدفق من الجروح. لقد أصيب الجواد بجروح خطيرة، فمات فى اليوم التالى.

إن ما حدث هو أن الأمير قد سر سروراً عظيماً حصوله على مثل هذا الجواد الرائع، فدعا أفراد أسرته وأصدقاءه إلى وليمة أقامها احتفالاً بذلك. ورغب فى أن يعرض الجواد أمام المدعوين فأمر بإحضاره إليه.

ولكن عندما اعتلى ظهره شب الجواد وألقاه أرضاً، ثم انطلق يعدو مخترقاً صفوف الضيوف المحتشدين، فصاح الأمير غاضباً وهو ينهض عن الأرض:

- أمسكوه! وإذا لم تستطيعوا فاقتلوه.

وسرعان ما انصب على الجواد وابل من السهام، إلا أنه تمكن من الوصول إلى البيت، ومات عند سيده العزيز.

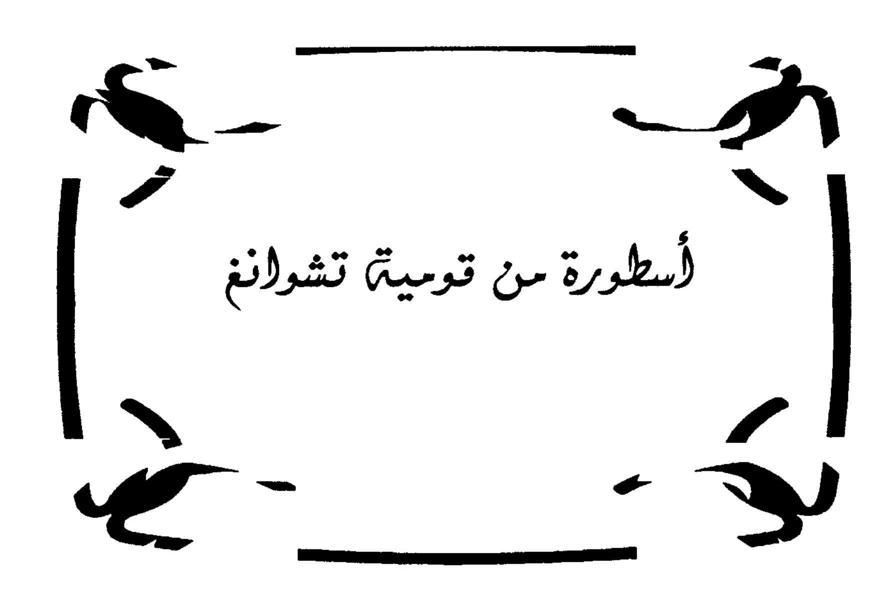
وحزن سو خه عليه حزناً شديداً، ولم يعد يعرف طعم الراحة لا فى النهار ولا في الليل. وذات ليلة، فيما كان بين اليقظة والحلم بدا له كأنما رأى جواده حيّاً، يقترب منه، فلاطفه برق كبير.

وقال الجواد:

- ألا تفكر فى طريقة يمكننى من خلالها أن أبقى معك دائماً وأحافظ على مرافقتك يا سيدى العزيز؟ اصنع كماناً من عظامى.

وفى الصباح صنع سو خه كماناً من عظامه ونحت فى أعلاه نموذجاً لرأس جواده العزيز، وجعل أوتاره العضلية أوتار الكمان، واستخدم الشعيرات المتدلية من ذيله أوتار قوس، وكلما عزف على كمانه ذى الرأس الحصانى تذكر حقده على الأمير وسروره السابق عندما كان ينطلق على متن ذلك الجواد. وقد تخللت هذه المشاعر موسيقاه، فجعلتها تعبر عن جميع الرغبات والعواطف لدى الرعاة. وأصبح هذا الكمان صوت الشعب، واعتاد الجميع الناس أن يأتوا إليه ليستمعوا إلى عزفه فى المساء بعد انتهاء العمل، فينسون تعبهم لدى استماعهم.

***



أسطورة من قومية تشوانغ

ـ الجاموس والنمر

ساق أحد المزارعين جاموسا له إلى الحقل، ومحراثه على كتفه.

وكان الوحل في الحقل طريا لزجا فغاص الجاموس فيه إلى بطنه، بحيث واجه صعوبة كبيرة في سحب المحراث. فقد استغرق في الواقع وقتا طويلا لحراثه قطعة صغيرة من الأرض ليست أكبر من أذن الجدي.

وهذا أغضب المزارع، فبدأ يضرب الجاموس بالعصا، شاتما إياه:

أيها الجاموس الغبي! إنك تتحرك على نحو أبطأ من الحلزون! انظر إلى النمر، ما أسرعه وما أقواه! لم لا تكون مثله؟

فقال الجاموس فيما كان يعاني من ضرب المزارع وشتيمته:

النمر؟ ما الشيء المدهش فيه؟ أريد أن أعرف.

ولكن المزارع لم يرد أن يصغى، بل استمر يشتمه ويضربه، إلى أن قال الجاموس:

إنك تستخف بي إذن، أليس كذلك؟ إذا كنت حقا مبهورا بالنمر، فخذني إليه غدا، وسأريك، أينا أفضل؟

وفي الصباح التالي أخذ المزارع جاموسه إلى عرين النمر. وعندما شم النمر رائحة الجاموس اندفع خارجا، وكاد يقفز عليه. ولكن الجاموس هز قرنيه الحادين وقال بهدوء:

يا نمر، يا نمر! لقد جئتك اليوم لا لأقاتلك، بل لأخبرك أن أسنانك منثلمة. فاذهب واشحذ أسنانك مدة ثلاثة أيام وسأشحذ أنا قرنيَّ. وبعد ذلك سندخل في مبارزة.

فوافق النمر وعاد إلى عرينه يزمجر زمجرة عنيفة. وظل داخل عرينه

ثلاثة أيام بلياليها يشحذ أسنانه إلى أن أصبحت كالسكاكين، بينما أمضى الجاموس يوما واحداً فقط في شحذ قرنيه، وأمضى اليومين الآخرين يلف جسمه بطبقة فوق أخرى من القش حتى أصبح جسمه بكامله مغطى بدرع شيء كثيف. وبعد ذلك ذهب إلى الوحل وتدحرج فيه وقتا طويلا، بحيث غطى جسمه بطبقة رقيقة لزجة من الوحل الأسود أخفت تحتها القش إخفاء تاما.

وجاء يوم المبارزة وخرج الجاموس والنمر إلى المكان المحدد في الوقت المحدد. وعندما رأى النمر الجاموس مغطى كليا بالوحل سأله:

لماذا يغطي الوحل جسمك كله؟

فقال الجاموس:

إننا الآن في أوج الصيف، أليس كذلك؟ فمن يستطيع تحمل حرارة كهذه؟ إنك تعرف جيداً أن من عادتي أن آخذ حمام وحل عدة مرات في اليوم!

فحملق النمر بعينيه وتفحص الجاموس من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، فلم يستطع أن يجد فيه شائبة. والواقع أنه ظن أن الجاموس قد سمن في الأيام الثلاثة الماضية، فابتسم ابتسامة ماكرة وقال:

آه! حسن جدا. إنك سمين وسهل المضغ. فسأحظى اليوم بوجبة جيدة!

يا نمر، يا نمر! يمكنك أن تتنمر على الخنازير والأغنام، ولكنك الآن سترى! أنك لن تكون قادرا على إيذاء حتى شعرة على جسمي!

ماذا؟! لقد كنت على استعداد لقتلك وأكلك قبل ثلاثة أيام، من دون أن أنتظر شحذ أسناني! أما اليوم فأسناني حادة كالسكاكين. فعضتي ستكون مميتة طبعا!

حسنا، لنر الآن! سأستلقي أولا وأدعك تعضني ثلاث مرات. وبعدها

يجب أن تدعني أنطحك بقرني ثلاث مرات.

سيكون النمر أحمق جدا إذا هو رفض هذا العرض المغري. لذلك قبل في الحال وقفز على الجاموس وبدأ يمزقه ويشقه.

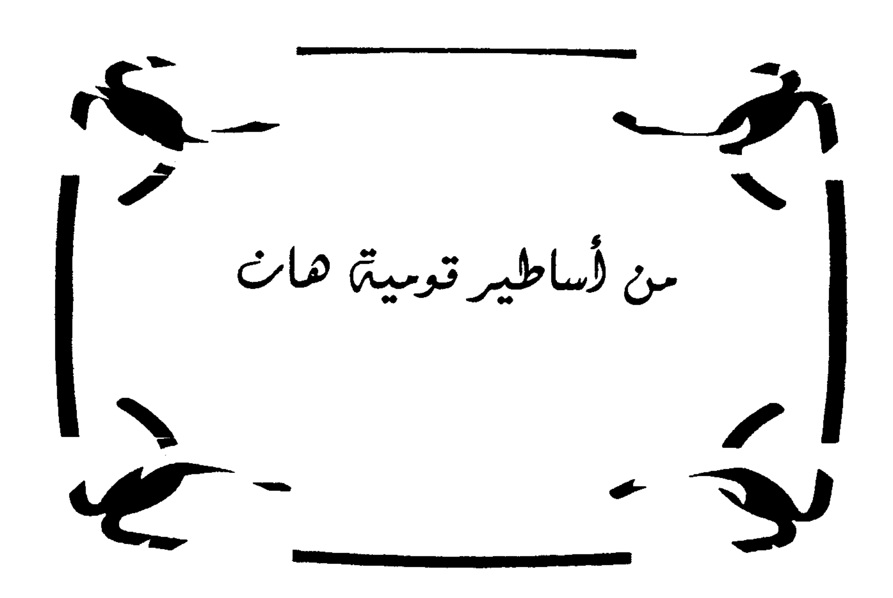
وبعد ثلاث عضات ظن النمر أن الجاموس لابد أن يكون قد جرح جروحا مميتة، إلا أن ذلك لم يحدث. فأسنان النمر لم تزد على أن مزقت القش إلى مزق صغيرة، دون أن تخدش الجاموس. وعندما انتهى النمر من عضاته الثلاث نهض الجاموس بغتة وخفض رأسه ونطح النمر ثلاث مرات متتالية. وفي المرة الأولى بقر قرناه بطن النمر، وفي المرة الثانية كسرا ظهره، في المرة الثالثة أخرجا أحشاء النمر. فخر النمر على الأرض ميتا وسط بركة من الدماء.

رأى المزارع كل هذا بعينه، فأعجب بحكمة الجاموس وشجاعته.

ومنذ ذلك اليوم وهو يعامل جاموسه برقة ومودة. ولم يتهمه بعدها أبدا بأنه حيوان غبي.

والواقع أن الناس إلى يومنا هذا ما يزالون يحترمون الجواميس لحكمتها، مع أنها قد لا تكون قادرة على الحراثة أو جر العربة على نحو أسرع من الحصان، كما لا تستطيع أن تجاري بسرعتها الأيائل.

***



من أساطير قومية هان

1 ـ المرأة العجوز والنمر

ذات صباح كانت امرأة عجوز تكنس الغرفة، فوجدت قطعة نقد نحاسية. فوضعتها داخل جرة أرز حمراء صغيرة، وانتبهت إلى أن الجرة مملوءة إلى نصفها بالأرز.

وفيما بعد احتاجت إلى بعض الأرز للفطور، فأخرجت عدة حفنات ولم تترك في الجرة إلا حفنة واحدة. وعند الظهر ذهبت إلى الجرة ثانية، فوجدت في دهشة أن الجرة ما زالت مملوءة إلى نصفها. فأخرجت ثانية بضع حفنات، تاركة حفنة واحدة كالسابق. وعندما ذهبت لتأخذ أرزا للعشاء وجدت الجرة ما زالت مملوءة إلى نصفها.

فشعرت هذه العجوز بسرور وحبور من صميم قلبها. فالجرة ستظل مملوءة إلى نصفها ما دامت القطعة النقدية النحاسية في داخلها.

وحدث أن سمع بذلك نمر يعيش في التلال المجاورة، فجاء من وجاره مسرعا ليطلب هذه القطعة النحاسية المدهشة من العجوز. ولكنها رفضت أن تعطيه إياها. فقال النمر:

لا بأس، انتظري، عندما يحل الظلام سأعود وألتهمك ثم آخذ هذه القطعة النحاسية المدهشة.

ثم زأر زأرة غضب، وانطلق يمشي مختالا.

ولم يكن بوسع العجوز البائسة إلا أن تبكي، وبكت فترة طويلة. ولكنها بعد ذلك جففت دمعها، ثم أخرجت منجلها وبدأت تشحذه. وأخذ المنجل يحف على المسن جيئة وذهابا.

وسمعت حبات البازلاء الصغيرة الجافة هذه الضجة فسألت:

أيتها الجدة! لماذا تشحذين منجلك؟

فقالت العجوز:

يا حباتي الصغيرات العزيزات! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني. ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

فقالت الحبات الصغيرات سويا:

أوه، دعينا نساعدك أيتها الجدة! دعينا نساعدك.

يا عزيزاتي! ماذا بوسعكن أن تفعلن؟

يمكننا أن ننام على الأرض بقرب الباب أيتها الجدة.

ولم يكدن يقلن ذلك حتى قفزن جميعا إلى مكان قريب من الباب.

واستأنفت العجوز شحذ منجلها.

وسمعت البيضة ذلك فسألت:

أيتها الجدة! لماذا تشحذين منجلك؟

فأجابت العجوز:

أوه، أيتها البيضة الصغيرة، يا غاليتي! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني. ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

أوه، دعيني أساعدك أيتها الجدة.

يا عزيزتي! ماذا بوسعك أن تفعلي؟

سوف اختبئ في الموقد.

وانطلقت البيضة الصغيرة إلى المطبخ واختبأت داخل رماد الموقد.

استأنفت العجوز شحذ منجلها.

وسمع سرطان الماء الصغير الضجة فقال:

أيتها الجدة! لماذا تشحذين منجلك؟

فأجابت العجوز:

أوه، أيها السرطان الصغير، يا عزيزي! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني. ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

فقال السرطان الصغير:

أيتها الجدة! دعيني أساعدك.

يا عزيزي الصغير! ماذا بوسعك أن تفعل؟

سأختبئ داخل إبريق الماء يا جدتي.

وتسلق السرطان الصغير الإبريق ونزل إلى داخله، بينما استأنفت العجوز شحذ منجلها.

وسمع مرتاج الباب الكبير المنجل يشحذ فسأل:

أيتها الجدة! لماذا تشحذين منجلك؟

فأجبت العجوز:

أوه، أيتها المرتاج الكبير، يا عزيزي! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني.

ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

فقال المرتاج الكبير:

أيتها الجدة! دعيني أساعدك.

يا عزيزي! ماذا بوسعك أن تفعل؟

يا جدتي! سأنام عند حافة سريرك.

وتسلق المرتاج الكبير إلى السرير، ونام على حافته، بينما استأنفت العجوز شحذ منجلها.

وسمعت الضفدعة حفيف المنجل على المسن فسألت:

لماذا تشحذين منجلك أيتها الجدة؟

فأجابت العجوز:

أوه، يا عزيزتي الصغيرة! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني. ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

فقالت الضفدعة الصغيرة:

دعيني أساعدك أيتها الجدة.

ماذا بوسعك أن تفعلي أيتها الضفدعة الصغيرة؟

سأجثم عند طرف سريرك أيتها الجدة.

ووثبت الضفدعة الصغيرة وجثمت عند طرف السرير، بينما استأنفت العجوز شحذ منجلها.

وسمع دولاب الغزل حفيف المنجل، فسأل:

لماذا تشحذين منجلك أيتها الجدة؟

فأجابت العجوز:

أوه، يا دولاب الغزل، يا عزيزي! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني. ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

أيتها الجدة! دعيني أساعدك.

يا دولاب الغزل، يا عزيزي! ماذا بوسعك أن تفعل؟

دعيني أمكث في زاوية الغرفة يا جدتي.

وذهب دولاب الغزل وجلس في زاوية الغرفة، بينما استأنفت العجوز شحذ منجلها.

وسمعت المطرقة هذه الضجة فسألت:

أيتها الجدة! لماذا تشحذين منجلك؟

فأجابت العجوز:

أوه، أيتها المطرقة، يا عزيزتي! إن النمر يريد قطعتي النحاسية المدهشة، وأنا رفضت أن أعطيه إياها، فقال إنه سيعود الليلة ليأكلني. ولسوف أقتل ذلك الشرير، ولذلك أشحذ منجلي.

دعيني أساعدك أيتها الجدة.

أيتها المطرقة، يا عزيزتي! ماذا بوسعك أن تفعلي؟

دعيني أجثم على حافة الباب يا جدتي.

وأخذت المطرقة الكبيرة مكانها فوق الباب، بينما استأنفت العجوز شحذ منجلها.

وحل الظلام. وأصبح المنجل حادا لامعا، وذهبت العجوز للنوم آخذة المنجل معها. جاء النمر، وكان البيت من الداخل ساكنا شديد الظلام. ولم يكد يطأ بقدمه عتبة البيت حتى بدأت الحبات المستديرات يرقصن على الأرض ويتدحرجن. فسقط النمر على الأرض محدثا صوتا كبيرا. ثم نهض وشق طريقه إلى المطبخ، ونفخ على الجمرات ليحصل على شيء من الضوء، واستمر ينفح وفجأة دوى صوت انفجار، فقد انفجرت البيضة الصغيرة المضطجعة داخل الموقد، ذارة الرماد في وجهه وعينيه، بحيث أصبح أعمى. فذهب يجلب ماء ليغسل عينيه، فأمسكه السرطان الصغير المترصد هناك بكلابتيه القويتين، وظل يضغط إلى أن خرج الدم من جسم النمر.

انتزغ النمر نفسه بقوة، وقد استشاط غضبا من شدة الألم. وراح يتخبط لاهثا، ويحاول إيجاد العجوز. ولكن عندما وصل السرير قفز المرتاج الكبير وأمطره وابلا من الضربات.

وانضمت الضفدعة الصغيرة الجاثمة على طرف السرير بنقيقها، وراحت تصيح:

استمر أيها المرتاج الكبير، اضربه ضربا أشد! ضربا أشد!

وفي تلك الأثناء زمجر دولاب الغزل القابع في زاوية الغرفة وأخذ يدور قائلا:

استمر بقوة، استمر بقوة.

فذعر النمر، واندفعت نحوه العجوز من سريرها ملوحة بمنجلها، فاستدار النمر وركض في اتجاه الباب، إلا أن الحبات الصغيرات الجيدات اللواتي أخذن يتدحرجن ويدرن على الأرض، جعلنه ينزلق على الأرض انزلاقة شديدة حتى اصطدم بالباب محدثا دويا، وعندها قفزت المطرقة الثقيلة ملقية بنفسها على رأسه بقوة.

فهرعت إليه العجوز، وبضربة واحدة من منجلها قتلت ذلك النمر الشرير.

2ـ إنسان السكر الضخم

كان في قديم الزمان شقيقان، أحدهما يدعى لاو دا، والآخر لاو أر. وكانا مختلفين تماما في الشخصية. وبعد موت أبيهما أستأثر الشقيق الأكبر الذي كان طماعا شريرا بجميع الممتلكات، وراح يجمع النقود عن طريق الإقراض بفائدة كبيرة. وبعد وقت قصير جدا أصبح رجلا غنيا.

أما الشقيق الأصغر الذي كان طيبا وأمينا، فلم يحصل على شيء مما خلفه أبوهما، ولكنه لم يتذمر ولو بكلمة واحدة، إنما استمر يعمل بكل جهد لمساعدة جيرانه في حقولهم ويقوم بأعمال الآخرين، وهكذا كان يتدبر أمر معيشته.

ذات يوم تعين على لاو أر، الشقيق الأصغر، إن ينقل سطلين من عسل السكر إلى بائع متجول في أعلى الجبل. ولما أصبح في وسط الجبل بدأ المطر يسقط، وأصبح الطريق زلقا. وزلت قدم لاو أر فانزلق على الأرض، وأخذ يتدحرج مع سطلي عسل السكر.

وقبل أن يتمكن من النهوض ظهر له سبعة عفاريت، وكان لاو أر مستلقيا على الأرض مبللا بالعسل من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه. فظنه العفاريت أنه عبارة عن إنسان من السكر، واندفعوا إليه ليلتهموا عسل السكر الذي يغطي جسمه.

وقال أحدهم:

يا له من مخلوق بشري ضخم من السكر! إننا لن نتمكن من أكله دفعة واحدة. هيا بنا نأخذه إلى البيت، بحيث نأكله وقتما نريد.

ورأى بقية العفاريت أنها فكرة رائعة، فحملوا لاو أر على الفور إلى كهفهم. ووضعوه على مائدة حجرية واحتشدوا حوله ليتناولوا وجبة أخرى من العسل.

وقال عفريت منهم في رأسه قرن طويل:

حسنا، احضروا الكنز الآن، وهيا بنا نتناول العشاء. ثم نهبط الجبل بعد ذلك لنلهو بعض الوقت!

فأحضر عفريت صغير طبلا صغيرا، ثم قرعه. فظهرت في الحال أطباق كثيرة من الطعام اللذيذ. وأغرت الرائحة الطيبة لاو أر إغراء شديدا، لكنه لم يجرؤ على التحرك خوفا من أن يكتشف العفاريت أنه إنسان فيقتلوه. فظل ساكنا يراقب منتبها انتباها جيدا المكان الذي وضعوا فيه الطبل السحري.

وبعد أن فرغوا من الطعام طفروا جميعهم خارجين. فنزل لاو أر عن المائدة الحجرية، وأخذ الطبل السحري من مخبئة، ثم وضعه في داخل معطفه، وهرع عائدا إلى البيت بأسرع ما تحمله ساقاه.

وبالطبع لم يعد لاو أر، بعد امتلاكه الطبل السحري، يقلق على تأمين طعامه.

وعندما سمع شقيقه الأكبر لاو دا بذلك تملكته الغيرة الشديدة من الحظ الجيد الذي أصابه شقيقه. وبعد بضعة أيام لم يعد يتحمل، فانطلق إلى الجبل حاملا سطلي عسل السكر مثل لاو أر. وفي وسط الجبل انزلق متعمدا على الرغم من أن الطريق كانت جافة تماما، وظل يتدحرج إلى أسفل الجبل، وقد اندلق عليه العسل. واستلقى هناك عند السفح مفعما بالأمل. وبعد فترة قصيرة جاء العفاريت. وعندما رأوه دهشوا كثيرا وصاحوا:

هذا هو الإنسان المصنوع من السكر، والذي فقدناه. فلتعد به إلى الكهف بسرعة.

فسر لاو دا سرورا عظيما بسماعه ذلك، ظانا أنه سيتمكن عما قريب من الحصول على شيء سحري.

ولم يظهر أية مقاومة إطلاقا، بل ترك العفاريت يفعلون ما يريدون. إلا أن العفريت ذا القرن الطويل قال:

عندما هرب الإنسان المصنوع من السكر في المرة السابقة أخذ طبلنا الصغير معه، فعلينا هذه المرة أن نسلقه أولا ونصنع منه شرابا لذيذا، ونخرج بعد ذلك كنزنا للحصول على العشاء وبهذه الطريقة لن نفقد الكنز.

فوافق جميع العفاريت، ووضعوا الشقيق الأكبر في وعاء كبير، وملأوه بالماء ووضعوا عليه الغطاء وأشعلوا النار. فأحس لاو دا داخل الوعاء بأنه قد بدأ يسخن شيئا فشيئا حتى إنه لم يعد قادرا على التحمل. فقفز من الوعاء مندفعا نحو الباب. فذعر العفريت الصغير الذي كان يعتني بالنار، وسقط على الأرض مرتجفا. وبعد ذلك استجمع شجاعته وصاح:

إن الإنسان المصنوع من السكر قد هرب! الحقوه بسرعة!

فهُرع جميع العفاريت خلف لاو دا الذي لم يستطع لشدة خوفه وألمه أن يركض بالسرعة التي ركض بها العفاريت، ولا سيما أن ثيابه كانت تقطر ماء. لذلك أُلقي القبض عليه قبل أن يخرج من الكهف. فقال العفريت ذو القرن الطويل:

لنعاقب هذا المخادع! علينا أن لا نأكله، ولا نقتله، بل نعطيه أنفا طويلا ليتذكرنا به.

ومع قوله ذلك أمسك أنف لاو دا ومطه ما يقارب قدما. وفعل البقية فعله، فمطه كل منهم مسافة قدم أخرى. وعندما انتهى السبعة من ذلك أصبح أنفه بطول سبع أقدام. ثم ألقوا به إلى خارج الكهف.

شق لاو دا طريقه عائدا إلى البيت، وأنفه يهتز بين يديه. وقد اضطر

إلى الاستراحة في الطريق أكثر من مرة. فقد وهن ساعداه، وأخذ العرق يتصبب من جسمه. وأخيرا وصل إلى بيته وصاح إلى زوجته لتفتح الباب. وكانت زوجته تتوقع أن يعود حاملا معه شيئا سحريا، فذهبت مسرعة إلى فتح الباب، وعندما وطأت قدمها الأرض سمعته يصرخ:

إنك تدوسين أنفي! أوه، إن ذلك مؤلم!

فقالت زوجته مرتبكة:

ماذا تعني؟ كيف يمكن لأنفك أن يكون تحت قدمي؟

ونظرت إلى زوجها جيدا، فذعرت فيما رأت، وتأكدت من أن أنفه قد تدلى إلى الأرض. فصاحت:

يا للسماء! كيف حدث ذلك؟

فروى لها لاو دا القصة بكاملها، فزفرت زفرة شديدة وفكرت لحظة، ثم قالت:

لا تقلق، سيكون هناك مخرج بالتأكيد! إن ما يتسبب عن العفاريت يمكن أن يشفى بواسطة العفاريت. ألا يمكننا أن نرسل في طلب لاو أر ليكتشف طريقة العلاج عند العفاريت؟

ولم تكد هذه الفكرة تخطر ببالها حتى انطلقت تبحث عن لاو أر.

لقد أثبت طبل لاو أر السحري الصغير أنه الآن كنز حقيقي. فهذا الطبل لا يقوم بجلب الطعام فقط. بل باستطاعته أن يقوم بأي عمل آخر يُطلب منه. ولكن لاو أر كان رجلا نشيطا ومتواضعا، لم يرغب في البقاء داخل البيت يعيش حياة كسولا. فقد طلب من الطبل بعض النقود. واشترى مجرفة ومنجلا ومحراثا. وعندما حصل على هذه الأدوات ليكسب بواسطتها معيشته

وضع الطبل السحري في صندوقه وقفله.

وعندما كان لاو أر مستعدا للذهاب إلى الحقول جاءت زوجة أخيه لاهثة وصاحت:

يا لاو أر! إن العفاريت قد مطوا أنف أخيك! إنه الآن طويل جدا يجرجر على الأرض، ويؤذيه إيذاء شديدا. فهل بوسعك أن تهرع إلى العفاريت وتكتشف طريقة لإعادة الأنف إلى وضعه السابق؟ أوه، قدم لنا هذه المساعدة! إنه يموت من شدة الألم.

وفيما كانت تتكلم أخذت الدموع تنهمر من عينيها.

كان لاو أر طيب القلب، فعندما سمع بمصيبة شقيقه صعد الجبل في الحال.

ولما وصل كهف العفاريت تسلل إلى داخله. ولم يجد العفاريت في الكهف فاختبأ خلف باب.

عاد العفاريت، وما أن دخلوا الكهف حتى صاحوا:

هناك رائحة غريب! رائحة غريب! يجب أن نفحص جيدا لنتأكد أن كان هناك أحد يحاول سرقة كنزنا ثانية!

وانتشروا في كل اتجاه داخل الكهف، باحثين في الخزائن وتحت الأسرة والطاولات. ولم يتجرأ لاو أر على التنفس مخافة أن ينكشف أمره.

وعلى الرغم من كل هذا البحث، إلا أنهم لم يجدوا أحدا، لذلك أخذوا يستريحون حول المائدة الحجرية. وأخرج أحدهم صنجا نحاسيا صغيرا وقرعه فظهر على أثر ذلك عشاء فاخر. فقال العفريت ذو القرن الطويل:

منذ فقدنا طبلنا الصغير لم يبق لنا إلا هذا الصنج السحري. فيجب أن نعتني به جيدا. وأرى أنه من الأفضل أن نأخذه معنا دائما، فلا نتركه هنا. وبذلك لن نفقد هذا الكنز الأخير.

وأتبع كلماته هذه بأن علق الصنج حول عنقه. وبينما كانوا يأكلون أخذوا يتحدثون عن لاو دا وأنفه. فقال أحدهم:

أظن أن ذلك الرجل قد جاء البارحة ليسرق كنزنا. وألحقنا به ما يستحق من أذى عندما مططنا له أنفه! فمع درس جيد كهذا لن يجرؤ أبدا على العودة إلى هنا.

فوافقه عفريت آخر قائلاً:

إنه لن يعرف أن هناك ما يشفي الأنف الطويل! لا يعرف إن كل ما يجب أن نفعله هو أن نضرب على الطبل الصغير ونقول: (تقلص!) ومع كل ضربة على الطبل يقصر أنفه. إن المسألة كلها عبارة عن استمرار في الضرب وفي قول كلمة (تقلص!).

فقاطعه العفريت ذو القرن الطويل قائلا:

لا تتكلم بهذا الكلام! افترض أن شخصا ما يسترق السمع إلينا.

وتبع ذلك صمت تام للحظة، ثم استأنفوا التهام عشائهم. وبعد أن فرغوا طفروا خارجين. وتريث لاو أر للاطمئنان، ثم زحف إلى الخارج بسرعة، شاقا طريقه إلى البيت.

وذهب إلى زوجة أخيه مباشرة ليخبرها بما سمعه. فأحست براحة عظيمة وتوسلت إليه أن يحضر الطبل في الحال. وقالت:

أسرع! بادر إلى معالجة أنف شقيقك!

فذهب لاو أر من فوره لإحضار الطبل، ثم انطلق إلى شقيقه. وبدأ يضرب الطبل ويقول: (تقلص!) ومع قوله هذا بدأ أنف شقيقه يقصر. وضرب ثانية، فقصر أنف شقيقه كذلك أيضا واستمر يضرب ويتكلم، والأنف يقصر. ولكن

زوجة شقيقه قد فقدت صبرها وقالت:

أوه، هذا بطيء جدا. كم ستستغرق من الوقت حتى تنتهي هذه المهمة؟
أعطني الطبل.

وانتزعت الطبل الصغير من لاو أر وضربت عليه بعنف قائلة:

تقلص، تقلص، تقلص بأسرع ما تستطيع.

فشد أنف لاو دا إلى داخل رأسه بسرعة، وانكسر الطبل الصغير أيضا.

ومنذ ذلك الحين ولاو دا الطماع صار رجلا من دون أنف.

***

3. الذئبة الجدة

كانت هناك امرأة تعيش مع أطفالها الثلاثة. وذات يوم ذهبت هذه المرأة لترى جدة الأطفال في عيد ميلادها، تاركة الأطفال الثلاثة في البيت. وقالت لهم قبل أن تغادر:

يا شنغ، ويا دو، ويا بوه جى! يا أطفالي الأحباء! اعتنوا بأنفسكم جيدا خلال غيابي. تأكدوا من إغلاق الباب بالمزلاج بإحكام عندما غابت الشمس. فأنا لن أعود الليلة.

ولم تكد الأم تغادر حتى سمعت بأخبارها ذئبة عجوز تعيش في الجبال.

وعندما حل الغسق تنكرت هذه الذئبة العجوز في زي امرأة عجوز، وجاءت إلى بيت الأطفال، وطرقت الباب. فصاحت شنغ:

من هناك؟

يا شنغ ويا دو ويا بو جى، يا أحبائي الصغار! أنا جدتكم.

فقالت شنغ:

أوه جدتي! لقد ذهبت ماما لرؤيتك.

فقال الذئبة:

لرؤيتي؟ حسنا، لابد من أنني جئت من طريق بينما ذهبت هي في طريق آخر، فإنني لم أقابلها أبدا.

فسألتها شنغ:

يا جدتي! لماذا جئت في هذه الساعة المتأخرة جدا في الليل؟ لماذا لم تأتِ أبكر من ذلك الوقت؟

فأجبت الذئبة:

الطريق طويلة، ولكن النهار قصير. فما أن وصلت إلى هنا حتى كان الظلام قد خيم.

وأحست شنغ بشيء من الريبة لدى سماعها صوتها، لذلك سألتها:

يا جدتي، يا جدتي! لماذا صوتك اليوم مختلف؟

فأجابت الذئبة:

لقد أصبت بالزكام، إن أنفي مسدود، فلا أستطيع التكلم على نحو جيد! يا أطفالي الأعزاء، إن الجو في الخارج مظلم عاصف. افتحوا الباب بسرعة ودعوا الجدة تدخل!

ظلت شنغ متشككة، فأرادت أن تسأل المزيد. ولكن دو وبوه جى فقدا صبرهما، فرفع أحدهما المزلاج، وفتح الآخر الباب على اتساعه. ثم صاحا:

أيتها الجدة! أيتها الجدة! ادخلي!

وما أن خطت الذئبة إلى داخل البيت حتى أطفأت الضوء.

فسألتها شنغ:

يا جدتي، إننا نحتاج إلى الضوء في الغرفة! فلماذا أطفأته؟

فأجابت الذئبة:

إنني مصاب بالتهابة العين، فأخاف الضوء.

وأخذت شنغ تتحسس في العتمة محاولة أن تجد مقعدا لتجلس عليه الجدة.

وعندما ألقت الذئبة بنفسها على المقعد الصغير، آذت ذيلها، فصاحت صيحة ألم. فسألتها شنغ:

ماذا حدث يا جدتي؟

فأجابت الذئبة، وهي تحاول الجلوس ثانية:

لقد أصبت إصابة مؤلمة. أظن أن من الأفضل أن أجلس على هذه السلة.

ودخل ذيلها في السلة وأخذ يضرب جوانبها.

فسألتها شنغ:

يا جدتي! ما هذه الضجة في السلة؟

فجاء الجواب:

هذه دجاجة جلبتها لكم.

ومدت شنغ ذراعها لتمسك الدجاجة، ولكن الذئبة العجوز اعترضتها بسرعة قائلة:

لا تلمسيها، وإلا فستطير عبر النهر.

وجاء دو وبوه جى إلى الذئبة وطلبا منها أن تحملهما. فقالت الذئبة العجوز ملاطفة دو:

يا لك من طفل جميل ممتلئ الجسم وقوي! وأنت يا بوه جى، يا لك من طفلة عذبة جميلة ومعافاة.

ووضعت كفيها الأماميتين حول بوه جى وقالت:

يا طفلتي العزيزة! أنا أحبك، سآخذك إلى فراشي هذه الليلة!

وتظاهرت بأنها تتثاءب وقالت:

جميع الفراخ قد أوت إلى الكن، والنوم قد دب في رأسي. تعالوا يا أطفالي الأحباء، لقد حان موعد النوم!

وأخذت الذئبة بوه جى معها، أما شنغ فأخذت دو. ونامت الذئبة وبوه جى في ناحية من السرير، ونامت شنغ ودو في الناحية الأخرى.

ومدت شنغ ساقيها، فأحست قدميها بأن هناك ذيلا كبيرا مملوءا بالزغب، فصاحت:

يا جدتي! يا جدتي! ما هذا الشيء ذو الزغب عليك؟

فأجابت الذئبة:

إن جدتكم تصنع حبلا من القنب، ولقد جلبت معي حزمة منه.

وعندما مدت شنغ ذراعها لمست مخالب حادة في قدمي الجدة، فسألت:

يا جدتي! يا جدتي! ما الشيء الذي يجعل قدميك وخازتين بهذا الشكل؟

إن جدتكم تخيط أحذية، فدائما تحمل معها مخرزا.

أشعلت شنغ الضوء فرأت للجدة شعرا حول رأسها كله ووجهها. وخافت الذئبة لدى اشتعال الضوء فأسرعت لإطفائه. وفكرت شنغ في طريقة للنجاة، وانتصبت جالسة في السرير بسرعة، وأمسكت بوه جى وقالت:

آه، إن بوه جى تريد أن تبول!

فقال الذئبة:

دعيها تفعل ذلك تحت السرير.

فقالت شنغ:

لا يمكن ذلك! إن إله السرير هناك.

قالت الذئبة:

لتفعل ذلك عند النافذة إذن.

فأجابت شنغ:

إن إله النافذة هناك.

قالت الذئبة:

خلف الباب إذن.

فأجابت شنغ:

إن إله الباب هناك.

قالت الذئبة:

أخرجيها إلى المطبخ!

قالت شنغ:

هناك إله المطبخ.

قالت الذئبة:

اذهبي بها إلى خارج البيت إذن.

فصاحت شنغ:

يا دو، يا دو! خذ بوه جى إلى الخارج! إنها تريد أن تبول.

فأخذ دو أخته بوه جى إلى الخارج.

وقالت شنغ:

يا جدتي، يا جدتي! هل سبق لك أن أكلت جوز الجنكة؟

ما جوز الجنكة هذا؟

أوه، إنه رائع! إنه طري رقيق كجلد الطفل. وإذا أنت أكلت قطعة واحدة منه، فستصبحين حورية وتعيشين إلى الأبد.

فسألتها الذئبة:

هل طعمه أفضل من طعم لحم الإنسان؟

نعم، أفضل بكثير.

فسألت الذئبة:

هل تعرفين إذن أين الحصول عليه؟

فقالت شنغ:

أوه، أنه ينمو على الأشجار.

فقالت الذئبة متنهدة:

أوه يا عزيزتي! إن جدتك مسنة، وعظامها متصلبة! إنها لا تستطيع تسلق الأشجار.

يا جدتي العزيزة، إنما سأقطف شيئا من هذا الجوز.

فقالت الذئبة شاعرة بسرور عظيم:

إنك طفلتي الرائعة! احضري لي شيئا منه بأسرع ما تستطيعين!

وقفزت شنغ من السرير وانطلقت إلى الخارج بسرعة تبحث عن دو وبوه جى. وأخبرتهما بخطتها، فتسلق ثلاثتهم شجرة كبيرة.

وانتظرت الذئبة في السرير وقتا طويلا، ولكن بوه جى لم تعد، وكذلك لم تعد شنغ ولا دو. ولم يجلب لها أي منهم شيئا من هذا الجوز.

وأخيرا فقدت الذئبة صبرها، فنهضت وخرجت مسرعة تصيح:

يا شنغ، يا دو، يا بوه جى! أين أنتم؟

قالت شنغ:

إننا هنا فوق الشجرة، نأكل جوز الجنكة يا جدتي!

فقالت لهم الذئبة:

هاتوا لي شيئا منه يا أطفالي الأعزاء!

فقالت شنغ:

إن الجنكة فاكهة إلهية. إنها تتغير عندما تغادر الشجرة. عليك أن تصعدي إلى هنا، وإلا فتخلي عن أي تفكير في أكل هذا الجوز.

وصاح دو:

يا جدتي، هذه الجنكة حلوة!

أخذت الذئبة تخطو تحت الشجرة جيئة وذهابا، ولعابها يسيل. وبعد لحظة صمت قالت شنغ:

يا جدتي، يا جدتي! إن لدى فكرة. هناك سلة مجدولة من الأغصان عند الباب، وخلفه حبل. أربطي السلة بالحبل وأجليبها إلى هنا، ثم اجلسي فيها وارمي طرف الحبل إلى. ونحن سنسحبك إلى ما فوق الشجرة.

قالت الذئبة مبتهجة:

أنت جيدة يا طفلتي! إنها لفكرة رائعة!

وذهبت نحو السلة والحبل، ثم ألقت طرف الحبل إلى شنغ. وبدأت شنغ تسحبها. وفي منتصف المسافة أفلتت الحبل، فسقطت الذئبة مصطدمة بالأرض اصطداما شديدا. فصاحت شنغ متظاهرة بالأسف:

أوه! إنني لست كبيرة جدا ولا قوية جدا. يا جدتي المسكينة! لا بد أنك أوذيت إيذاءً شديدا.

وقال دو:

يا جدتي! لنحاول ثانية. هذه المرة أنا سأساعد شقيقتي.

لم تكن في ذهن الذئبة إلا فكرة واحدة: أكل جوز الجنكة. لذلك عادت إلى السلة ثانية، وبدأت شنغ ودو في سحب الحبل سويا. وسحبا السلة إلى مسافة أعلى من المرة السابقة، ثم أفلتا الحبل، فسقطت الذئبة ثانية مرتطمة بالأرض بشدة. وفي هذه المرة كسرت إحدى ساقيها وجرح رأسها. فغضبت غضبا شديدا، وبدأت تشتم وتسب. فرجتها شنغ قائلة:

لا تنزعجي كثيرا يا جدتي!

وقال دو:

إن جوزة واحدة ستجعلك في صحة جيدة.

وتدخلت بوه جى قائلة:

أنا سأساعدهما في السحب!

وقالت شنغ:

من المؤكد أننا لن نخفق هذه المرة.

ألقت الذئبة نفسها في السلة مطلقة شتيمة مخيفة، وعوت قائلة:

كونوا حذرين! كونوا حذرين! وإلا فسأقضم رؤوسكم واحدًا بعد الآخر. وأمسك الأطفال الثلاثة بالحبل، وأخذوا يسحبون بأقصى ما يستطيعون. ثم راحوا يصيحون وهم يشدون الحبل: (هايوه! هايوه!) وارتفعت السلة ارتفاعا أعلى من المرة الأولى والثانية، وظلت تعلو إلى أن أصبحت على ارتفاع ثلاثين قدما عن الأرض. ومدت الذئبة كفيها الأماميتين فكادتا تلامسان أغصان الشجرة. وعندها تماما سعلت شنغ، فأفلت الثلاثة الحبل سويا، فهوت السلة

وتحطمت على الأرض، وكسرت جمجمة الذئبة ومزق بطنها. فصاحت شنغ:

يا جدتي!

ولكن لم يأتها جواب. وصاح دو:

يا جدتي!

ولكن لم يأته جواب أيضا. فصاحت بوهجى:

يا جدتي!

ولكنها لم تسمع جوابا. فانحنى الثلاثة من على الشجرة ليتمعنوا برؤية الذئبة، فوجدوها قد ماتت نهائيا.

فهبطوا من الشجرة مسرورين، ودخلوا إلى البيت وأغلقوا الباب، ثم أحكموا إغلاقه بالمزلاج وذهبوا إلى النوم مطمئنين.

وفي اليوم التالي عادت الأم، وجلبت لهم معها كثيرا من المأكولات اللذيذة من عند جدتهم الحقيقية.

وبينما جلسوا يستمتعون بالحلوى، أخبروا أمهم بكل ما جرى لهم من مغامرتهم.

***

4ـ النمر يجد معلمة

كان هناك نمر يعيش وسط سلسلة جبلية. ومع أنه قوي جدا إلا أنه بسبب عدم مهارته لم يكن قادرا على اصطياد أي حيوان.

وذات يوم خرج من كهفه يبحث عن طعام. وفيما هو يمشي رأى قطة تعدو في اتجاهه، منحدرة على جانب الجبل. كانت سرعة القطة ومرونة حركاتها موضع حسد من النمر. فقال في نفسه: أليس جيدا أن أكون ماهرا كهذه القطة!

ثم قصد القطة وقال متوسلا:

أيتها المعلمة الموقرة، هل لك أن تعلميني كيف أتسلق الجبل كما تفعلين أنت؟

فخشيت القطة التي تعرف أن النمور سيئة الطباع أن تصبح حياتها عرضة للخطر إذا هي علمته كل ما تعرفه. لذلك هزت رأسها وقالت في شيء من التردد:

لا بأس أن أعلمك، ولكن أخشى أن تستخدم معرفتك ضدي إذا أنا علمتك.

فتودد إليها النمر وركع قائلاً:

أيتها المعلمة الموقرة! إذا كنت كريمة معي وعلمتني، فلن أنكر جميلك. وإذا حاول بعد ذلك أي واحد أن يعتدي عليك، فإنني سأهشمه.

خُدعت القطة بهذه الكلمات المعسولة وبدأت تلين، وأدارت رأسها جانبا، وقالت:

حسنا. إذا وعدتني بذلك حقا وأكدت لي أنك لن تتنكر لجميلي، فسأعلمك.

طار النمر فرحا، وهز ذيله وركع أمامها قائلا:

عندما أجيد جميع طرائق التسلق واصطياد الحيوانات. لن أنساك أبدا في المستقبل يا معلمتي. ولعلني أقع في أعمق هاوية وأتهشم إذا كنت لئيما معك!

وظل عند وعده فترة من الوقت، وتصرف إزاء القطة كما يجب أن يتصرف المرء تجاه معلمه. وأخذت القطة تبذل كل ما في وسعها لتعليم تلميذها كل يوم من الفجر إلى الغروب. في وقت قصير علمته جميع طرائقها ما عدا طريقة واحدة. فسر النمر سرورا عظيما، وظن أنه قد تعلم الكفاية من القطة المعلمة، فرضى عنها غاية الرضا.

وذات يوم جاء إلى معلمته طلبا للمزيد من الإرشاد، فنظر إلى جسمها الممتلئ وبدأ لعابه يسيل. يا لها من وجبة رائعة ستشكلها هذه القطة! ولكن القطة أدركت نواياه السيئة تمام الإدراك، فقررت أن تجرى له اختبارا . وقالت

لقد علمتك كل ما عندي، فلم تعد الآن بحاجة إلى مزيد من الدروس.

فظن النمر أن فرصته قد حانت، فقال في نفسه: آه! هذه القطة الصغيرة السمينة لن تنجو من مخالبي الآن!

ولكنه رأى أن عليه أن يتأكد من أنه لم يسئ فهمه لكلامها، لذلك سألها ثانية:

أيتها المعلمة الموقرة! أمتأكدة أنت من أنك قد علمتني كل شيء؟

فقالت القطة المراوغة:

نعم، كل شيء!

فومضت في ذهن النمر فكرة، فالتمعت عيناه وقال:

أيتها المعلمة! ما ذلك الذي فوق الشجرة؟

وعندما أدارت القطة رأسها لتنظر انقض النمر عليها فاتحا فكيه مادا

مخالبه، ولكن القطة اندفعت بأقصى ما تستطيع متسلقة الشجرة. وجلست عليها قائلة في سخط شديد:

حسنا! أيها المخلوق الكريه! إن وعدك لا قيمة له، لقد كنت في منتهى التعقل إذ لم أعلمك طريقة تسلق الأشجار. فلو علمتك ذلك، لكنت التهمتني الآن.

فاستشاط النمر غاضبا، وألقى بنفسه على الشجرة عدة مرات، ولكنه لم يعرف كيف يتسلقها. وحاول أن يقضمها من الأسفل، إلا أن الجذع كان غليظا جدا بحيث لم يستطع أن يترك فيه أدنى أثر. وأخذت القطة تثب من غصن إلى آخر، وتجلس في بعض الأحيان لتمسح شاربها أو لتنظر إلى النمر. وأخذ الغضب يشتد بالنمر شيئا فشيئا، وراح يتخبط، ولكن لم يجد ما يمكن فعله، وأخير قفزت القطة إلى شجرة أخرى بكل سهولة، ومنها إلى أخرى، وهكذا إلى أن اختفت.

وذهبت كل خطط النمر السيئة عبثا، فكل ما استطاع أن يفعله هو أنه شق طريقه صاعدا الجبل ثانية.

***

5. الثعلب والقرد والأرنب والحصان

كان هناك ثعلب من أسوأ الحيوانات في الغابة، وكان مكروها من الجميع، لأنه يخدعهم دائما ويحتال على كل واحد. ولم يبق هناك حيوان في المكان كله لم ينخدع به، ولكن منذ وقت طويل لم يفلح أحد في إيجاد طريقة للانتقام منه.

وذات يوم جلس قرد في الغابة على شجرة وشرع يفكر. وظل يعصر ذهنه إلى أن أصبح جبينه كتلة من التجعدات. وأخيرا توصل إلى خطة، فاندفع يتشقلب على الأرض ليخبر بها الأرنب الذي يسكن في جحر تحت الشجرة. وأخبره بفكرته، ولكن الأرنب لم يزد على أن طرف بعينيه في ارتياب. فقال القرد:

تعال معي، سأريك خطتي. سأذهب إلى الثعلب، أما أنت فاذهب إلى ذلك المرتفع وراقب.

وعندما وجد القرد الثعلب دخل في المحادثة معه. فقال القرد:

يا أخي الثعلب! هل تعرف أفضل طعام في العالم؟

فرفع الثعلب أذنيه لسماعه ذكر الطعام وقال في لهفة:

ماذا يكون؟ أفضل طعام في العالم! إن هذا السؤال مهم جدا، قل لي!

فأجاب القرد:

لم أعلم بذلك إلا اليوم. إنه لحم الكفل في الحصان، ولكن الحصول عليه صعب جدا. فلكي تحصل عليه يجب أن تربط ذيلك بذيل الحصان ربطا محكما.

فقال الثعلب في شيء من لهفة:

لماذا يجب فعل ذلك؟

فأجاب القرد:

لابد لك من أن تفعل ذلك، وأن تربطه بشدة، وإلا فإنك لن تستطيع اللحاق بالحصان عندما يبدأ في الجري!

وخفض القرد صوته قائلاً:

إنني رأيت الحصان، وأنا في طريقي إليك، مستلقيا يغط في نوم عميق.

أصغى الثعلب باهتمام بالغ إلى ما قاله القرد، ولكن لم يظهر تحمسا. وقال بهدوء:

سأفكر في ذلك، إن مسألة أفضل طعام في العالم تحتاج إلى قدر كبير من التدبير. يجب أن نلتقي ثانية ونتحادث مرة أخرى. ويحسن بك أن لا تخبر أحدا بذلك.

وحرك ذيله الطويل وانطلق يتبختر. وقفل القرد عائدا كذلك. ولم يكد الثعلب يقطع مسافة قصيرة حتى اختفى القرد، فعاد الثعلب بهدوء ليبحث عن الحصان الذي ذكره القرد.

ولم يستغرق وقتا طويلا في العثور على الحصان الذي ظل مستلقيا على جنبه ومستغرقا في النوم بعد عمل اليوم، تماما كما قال القرد، فزحف الثعلب نحوه وربط ذيله بذيله خلسة، ثم قضم من كفل الحصان قضمة كبيرة. فنهض الحصان مرعوبا، ووثب وهو لا يدري ما حدث، وانطلق يعدو دون أن ينظر حوله.

وبالطبع أرخى الثعلب فكه، وبما أن ذيله ما يزال مشدودا إلى ذيل الحصان بإحكام أصبح يجرجر على الأرض. وأخذ يصرخ.

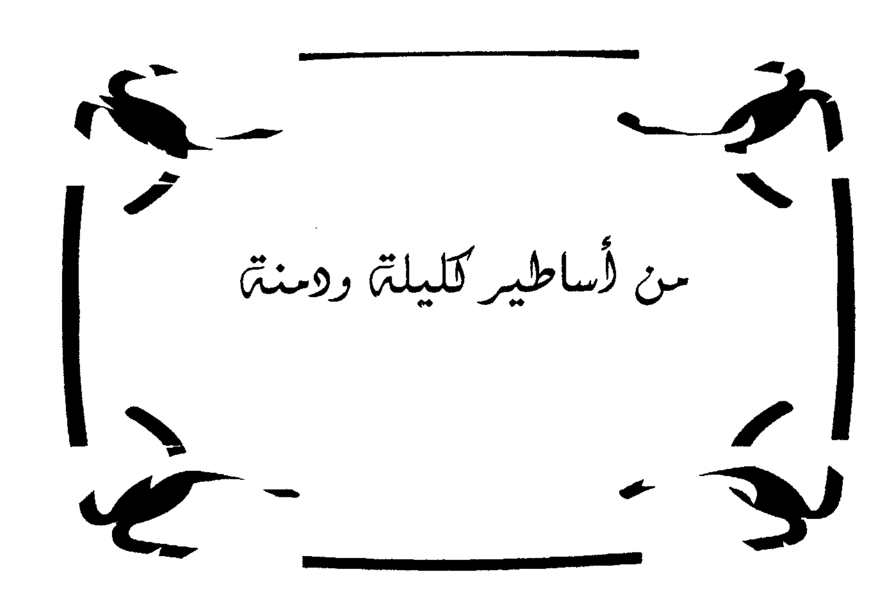
أوه! ما أشد هذا الألم!

وكان في حالة بائسة، فلم يعرف أي جزء من جسمه يجب أن يحميه أولا، لحمه أم جلده أم ذيله الجميل.

ولم يكن القرد قد مضى بعيدا، فقد تسلق شجرة ليراقب. فاستمتع ملء العين بهذا المشهد المضحك حيث الثعلب مسحوب خلف الحصان، ثم صفق بيديه وقفز، فزلت به قدمه ووقع على مؤخرته، فاصطبغت كلها باللون الأحمر. وانفجر الأرنب الذي كان يراقب من المرتفع في ضحك مجلجل حتى انشقت شفته العليا.

ولهذا السبب فإن مؤخرة القرد ما تزال إلى الوقت الحاضر حمراء؛ وشفة الأرنب العليا مشقوقة؛ والحصان يخشى أن يستلقي لينام، بل يتمدد ويتقلب على الأرض وقتا قصيرا عندما يكون في غاية التعب، وظهر الثعلب موسوما دائما ببقع وقروح.

***



من أساطير كليلة ودمنة

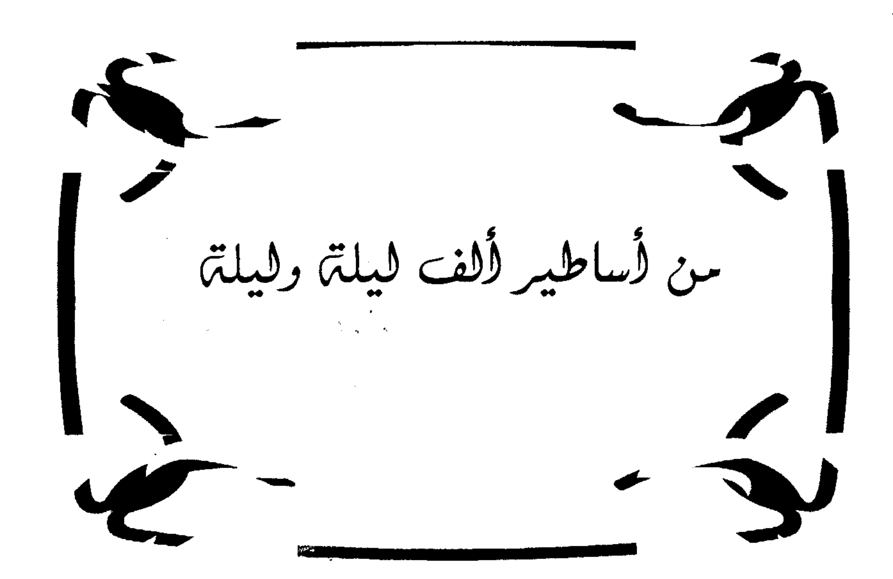
الرجل والتنين

زعموا ان رجلاً تبعه فيل هائج فنجا من خوفه إلى بئر فتدلى فيه وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر فإذا حيات أربع قد أخرجن رؤوسهن من أجحارهن.

ثم نظر فإذا في قاع البئر تنين فاتح فاه منتظراً له ليقع فيأخذه، فرفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصلهما جرذان: أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران.

فبينما هو في النظر لأمره والاهتمام لنفسه إذ أبصر قريباً منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصن ومتى انقطعا وقع على التنين.

فلم يزل هذا الرجل لاهياً غافلاً مشغوفاً بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك.



من أساطير ألف ليلة وليلة

1. حكاية التاجر مع العفريت

(1) في الليلة الأولى:

قالت بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان تاجر من التجار، كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوما وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه واكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف، فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي، فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت إني على دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب إلي بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود إليك ولك على عهد وميثاق أني أعود إليك فتفعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع إلى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق إلى أهلها واعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساؤه وأولاده وأوصى وقعد عندهم إلى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت إبطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغما عن أنفه وأقيم عليه العياط والصراخ فمشى إلى أن وصل إلى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له وإذا بشيخ كبير قد اقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على هذا التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخي ما دينك إلا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالإبر على آفاق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم إنه جلس

بجانبه وقال والله أي أخي لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم إنه جلس عنده يتحدث معه فغشي على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه فإذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود.

فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها إلى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها إلى آخرها وبينما كذلك إذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشف الغبرة وإذا بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الأول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له:

يا أيها الجني وتاج ملوك الجان إذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة أتهب لي بثلث دم هذا التاجر قال نعم.

يا أيها الشيخ إذا أنت حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الأول اعلم يا أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي ومن دمي ولحمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لي سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر إذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيئا فشيئا إلى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لي سفرة إلى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه

بقرة وسلمتهما إلى الراعي ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وعن أمه فقالت لي جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكي العين إلى أن جاء عيد الضحية فأرسلت إلى الراعي أن يخصني ببقرة سمينة وهي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابي وأخذت السكين بيدي وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديدا فقمعت عنها وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم وأعطيتها للراعي وقلت له:

ائتني بعجل سمين فأتاني بولدي المسحور عجلا فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ علي وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليه وقلت للراعي ائتني ببقرة ودع هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما حكت شهرزاد هذه الحكاية فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم إنهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح متعانقين فخرج الملك إلى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت إبطه ثم حكم الملك وولى وعزل إلى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم أنفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره.

(2) الليلة الثانية:

وقالت دنيا زاد لأختها شهر زاد يا أختي أتممي حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حبا وكرامة ان إذن لي الملك، في ذلك، فقال لها الملك: احكي، فقالت: بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه إليه وقال للراعي ابق هذا العجل جين البهائم كل

ذلك والجني يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى أن يأخذه وتوجه به ففي ثاني يوم وأنا جالس وإذا بالراعي أقبل علي وقال:

يا سيدي إني أقول شيئا تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر إن لي بنتا كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالأمس وأعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت إليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم إنها ضحكت وقالت يا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل على الرجال الأجانب فقلت لها وأين الرجال الأجانب ولماذا بكيت وضحكت؟

فقالت لي إن هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور وسحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكاي فمن أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت إليك لأعلمك فلما سمعت أيها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور والذي حصل لي إلى ان أتيت إلى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم إن العجل جاء إلي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي أحق ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم يا سيدي إنه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيها الصبية إن أنت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد أبيك من المواشي والأموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال إلا بشرطين: الأول ان تزوجني له والثاني أن أسحر من سحرته وأحبسها وإلا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جميع ما تحت يد أبيك من الأموال زيادة وأما بنت عمي فدمها لك مباح.

فلما سمعت كلامي أخذت طاسة وملأتها ماء ثم إنها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت:

إن كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وإن كنت مسحورا

فعد إلى خلقتك الأولى بإذن الله تعالى وإذا به انتفض ثم صار إنسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك لي جميع ما صنعت بك وبأمك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد قيض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم إني أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم إنها سحرت بنت عمي هذه الغزالة وجئت إلى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر ما يكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم يا سيد ملوك الجان أن هاتين الكلبتين إخوتي وأنا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت دكانا أبيع فيه واشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى وما معه شيء فقلت له يا أخي أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا أخي قدر الله عز وجل علي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيئا فأخذته وطلعت به إلى الدكان ثم ذهبت به إلى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا وإياه وقلت له يا أخي إني أحسب ربح دكاني من السنة إلى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم إني عملت حساب الدكان من ربح مالي فوجدته ألفي دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياما ثم إن أخوتي طلبوا السفر أيضا وأرادوا ان أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أي شيء كسبتم في سفركم حتى أكسب أنا فألحوا علي ولم أطعهم بل أقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم يعرضون علي السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل.

ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا إخوتي إننا نحسب ما عندنا من المال فحسبناه فإذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الأرض

لينفعنا إذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا، ألف دينار وإما الثلاثة آلاف دينار الأخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل إلى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت يا سيدي هل عندك إحسان ومعروف أجازيك عليهما قلت نعم إن عندي الإحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوجني وخذني إلى بلادك فإني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفا لأني ممن يصنع معه المعروف والإحسان ويجازي عليهما ولا يغرنك حالي فلما سمعت كلامها حن قلبي إليها لأمر يريده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشا حسنا وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلا ولا نهارا حتى اشتغلت بها عن إخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرت بضاعتي وطمحت عيونهم في المال جميعه وتحدثوا بقتلي وأخذوا مالي وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤوني وأنا نايم بجانب زوجتي ورموني في البحر فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريته وحملتني وأطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلا وعادت إلى عند الصباح وقالت لي أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل بإذن الله تعالى واعلم أني جنية رأيتك فحبك قلبي وأنا مؤمنة بالله ورسوله ﷺ فجئتك بالحال الذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على أخوتك ولابد أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك إخوتي فلا ينبغي ثم حكيت لها ما جرى لي معهم من أول الزمان إلى آخره.

فلما سمعتِ كلامي قالت أنا في هذه الليلة أطير إليهم وأغرق مراكبهم

وأهلكهم فقلت لها بالله لا تفعلي فإن صاحب المثل يقول: (يا محسنا لمن أساء كفي المسيء فعله) وهم إخوتي على كل حال، قالت لابد من قتلهم، فاستعطفتها ثم إنها حملتني وطارت، فوضعتني على سطح داري ففتحت الأبواب وأخرجت الذي خبأته تحت الأرض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع، فما كان الليل، دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها، فلما رأياني قاما إلى وبكيا وتعلقا بي، فلم أشعر إلى وزوجتي قالت هؤلاء إخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت إلى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون إلا بعد عشر سنوات، فجئت وأنا سائر إليهم تخلصهم بعد إقامتهم عشر سنوات، في هذا الحال، فرأيت هذا الفتى فأخبرني بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي.

قال الجني: إنها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة، وقال للجني أنا أحكي لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين، وتهب لي باقي دمه وجنايته، فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان إن هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة، ثم قضيت سفري وجئت إليها في الليل فرأيت عبدًا أسود راقدًا معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت إلى بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني، وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصرت في الحال كلبا فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائرا، حتى وصلت إلى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام.

فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني فقالت أتجئ لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت إن هذا الكلب سحرته امرأة وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع

أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فأخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فصرت إلى صورتي الأولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قليلا من الماء، وقالت إذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فإنها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء، وقلت اخرجي من هذه الصورة إلى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان، ثم التفت إليها وقال: أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالإشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له باقي دمه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين إلى الصباح فخرج الملك إلى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر إلى آخر النهار ثم انفض الديوان. ودخل الملك شهريار إلى قصره.

(3) وفي الليلة الثالثة:

قالت: لها أختها دنيا زاد يا أختي أتمي لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغني أيها الملك السعيد ان التاجر اقبل على الشيوخ وشكرهم وهنؤه بالسلامة ورجع كل واحد إلى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد.

***

2. حكاية الصياد مع العفريت

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعنا في السن وله زوجه وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم إنه خرج يوما من الأيام في وقت الظهر إلى شاطئ البحر وحط معطفه وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت في الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف إلى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى أطلعها ولبس ثيابه وأتى إلى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وأنشد يقول:

يا خائضا في ظلام الليل والهلكه اقصر عناك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الأول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج إلى أن خلصها وأطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا، وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وانشد قول الشاعر:

يا حرقة الدهر كفي ان لم تكن فعفي
فلا يحظى ما أعطي ولا يصنعه كفي
خرجت اطلب رزقي وجدت رزقي توفي
كم جاهل في ظهور وعالم متخفي

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد إلى البحر ثالث مرة ورمى شبكته وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فأشد قول الشاعر:

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط ولا قلم يجدي عليك ولا خط

ثم إنه رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنك تعلم أني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر إلى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها وإذا بها اشتبكت في الأرض فقال لا حول ولا قوة إلا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها إلى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان.

فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهبا ثم ان حركه فوجده ثقيلا فقال لابد إني أفتحه وأنظر ما فيه وأدخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم إنه أخرج سكينا، وعالج في الرصاص إلى أن فكه من القمقم وحطه على الأرض وهزه لينكت ما فيه فلم ينزل منه شيء ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد إلى عنان السماء ومشى على وجه الأرض، فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان، واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وأيد كالمداري ورجلين كالصواري، وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومناخير كالإبريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر.

فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه، ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا إله إلا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فإني لا عدت أخالف لك قولا وأعصي

لك أمرا فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة، ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم.

فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله إلا الله أبشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لأي شيء تقتلني وأي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر، وأطلعتك إلى البر فقال العفريت: تمن علي أي موته تموتها وأي قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك.

قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد: قال قل وأوجز في الكلام فان روحي وصلت إلى قدمي. قال اعلم أني من الجن المارقين، وقد عصيت سليمان ابن داود وأنا صخر الجني فأرسل لي وزيره آصف بن برخيا فأتى بي مكرها وقادني إليه وأنا ذليل على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الإيمان والدخول تحت طاعته فأبيت فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الأعظم، وأمر الجن فاحتملوني وألقوني في وسط البحر فأقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من خلصني أغنيته إلى الأبد فمرت المائة عام ولم يخلصني أحد، ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الأرض، فلم يخلصني أحد فمرت على أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصني أقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحد فغضبت غضبا شديد وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنك قد خلصتني ومنيتك كيف تموت.

فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لله العجب أنا ما جئت أخلصك إلا في هذه الأيام ثم قال الصياد للعفريت، اعف عن قتلي يعف الله عنك، ولا تهلكني، يسلط الله عليك، من يهلكك. فقال لابد من قتلك، فتمن علي أي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني إكراما لما أعتقتك، فقال العفريت: وأنا ما أقتلك إلا لأجل ما خلصتني، فقال له الصياد: يا شيخ العفاريت هل أصنع معك مليحا، فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال:

فعلنا جميلا قابلونا بضده ... وهذا لعمري من فعال الفواجر

ومن يفعل المعروف من غير أهله ... يجازي كما جوزي مجير أم عامر

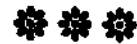
فلما سمع العفريت كلامه قال لا تطمع فلابد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا انسي وقد أعطاني الله عقلا كاملا وها أنا أدبر أمرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم، فقال له بالاسم الأعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم إن العفريت لما سمع ذكر الاسم الأعظم اضطرب واهتز وقال: اسأل وأوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم، والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك، فقال له العفريت: وهل أنت لا تصدق إنني كنت فيه فقال الصياد لا أصدق أبدا حتى أنظرك فيه بعيني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(4) وفي الليلة الرابعة:

قالت بلغني أيها الملك السعيد لما قال للعفريت لا أصدقك أبدا حتى أنظرك بعيني في القمقم فانتفض العفريت وصار دخانا صاعدا إلى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا، حتى استكمل الدخان داخل القمقم

وإذا بالصياد أسرع واخذ سدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن على أي موتة تموتها لأرميك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتا وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت ويخيره بينها.

فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه وسجن أحقر العفاريت وأقذرها وأصغرها، ثم إن الصياد ذهب بالقمقم إلى جهة البحر، فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لابد لابد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بي يا صياد، قال: ألقيتك في البحر ان كنت أقمت فيه الفاً وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث إلى أن تقوم الساعة، إما قلت لك أبقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله فأبيت قولي وما أردت إلا غدري فألقاك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن إليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون، أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما.



3. حكاية في شأن الجن والشياطين المسجونين في القماقم من عهد سليمان عليه الصلاة والسلام

بلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان، وكان جالساً يوماً من الأيام وعنده أكابر دولته من الملوك والسلاطين، فوقعت بينهم مباحثة في حديث الأمم السالفة، وتذكروا أخبار سيدنا سليمان بن داود عليه السلام وما أعطاه الله تعالى من الملك والحكم في الإنس والجن والطير والوحش وغير ذلك وقالوا قد سمعنا ممن كان قبلنا أن الله سبحانه وتعالى، لم يعط أحدًا مثل ما أعطى سيدنا سليمان وإن وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى إنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(559) وفي الليلة التاسعة والخمسين بعد الخمسمائة:

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة عبد الملك بن مروان لما تحدث مع أعوانه وأكابر دولته وتذكروا سيدنا سليمان وما أعطاه الله من الملك قال إنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى إنه كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه، وأخبر طالب أن رجلاً نزل في مركب مع جماعة وانحدروا إلى بلاد الهند ولم يزالوا سائرين حتى طلع عليهم ريح فوجههم ذلك الريح إلى أرض من أراضي الله تعالى وكان ذلك في سواد الليل.

فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارات تلك الأرض أقوام سود الألوان عراة الأجساد كأنهم وحوش، لا يفقهون خطاباً لهم ملك من جنسهم وليس

منهم أحد يعرف العربية غير ملكهم فلما رأوا المركب ومن فيها خرج إليهم في جماعة من أصحابه فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم، فأخبروه بحالهم فقال لهم لا بأس عليكم، وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم على دين من الأديان وسألهم عن دين الإسلام وعن بعثة سيدنا محمد ﷺ.

فقال أهل المركب نحن لا نعرف ما تقول ولا نعرف شيئاً من هذا الدين فقال لهم الملك إنه لم يصل إلينا أحد من بني آدم قبلكم ثم إنه ضيفهم بلحم الطيور والوحوش والسمك لأنه ليس لهم طعام غير ذلك ثم إن أهل المركب نزلوا يتفرجون في تلك المدينة، فوجدوا بعض الصيادين ارخى شبكته في البحر ليصطاد سمكاً ثم رفعها فإذا فيها قمقم من نحاس مرصص مختوم عليه بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام فخرج به الصياد وكسره فخرج منه دخان أزرق التحق بعنان السماء فسمعنا صوتاً منكراً يقول التوبة التوبة يا نبي الله ثم صار من ذلك الدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة تلحق رأسه الجبل ثم غاب عن أعينهم.

فأما أهل المركب فكادت تنخلع قلوبهم، وأما السودان فلم يفكروا في ذلك، فرجع رجل إلى الملك وسأله عن ذلك فقال له أعلم أن هذا من الجن الذي كان سليمان بن داود إذا غضب عليهم سجنهم في هذه القماقم، ورصص عليهم ورماهم في البحر فإذا رمى الصياد الشبكة يطلع بهذه القماقم في غالب الأوقات، فإذا كسرت يخرج منها جني ويخطر بباله أن سليمان حي فيتوب ويقول التوبة يا نبي الله، فتعجب أمير المؤمنين عبد الله بن مروان من هذا الكلام وقال سبحان الله لقد أوتي سليمان ملكا عظيما وكان ممن حضر في ذلك المجلس النابغة الذبياني فقال صدق طالب فيما أخبرته والدليل على صدقه قول الحكيم الأول:

وفي سليمان إذ قال الإله له قم بالخلافة واحكم حكم مجتهد
فمن أطاعك فأكرمه بطاعتي ومن أبى عليك فاحبسه إلى الأبد

وكان يجعلهم في قماقم من النحاس ويرميهم في البحر فاستحسن أمير المؤمنين هذا الكلام وقال والله إني لأشتهي أن أرى شيئا من هذه القماقم فقال له طالب بن سهل، يا أمير المؤمنين إنك قادر على ذلك وأنت مقيم في بلادك فأرسل إلى أخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بها من بلاد الغرب بأن يكتب إلى موسى أن يركب من بلاد الغرب إلى هذا الجبل الذي ذكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل.

فاستصوب أمير المؤمنين رأيه وقال يا طالب صدقت فيما قلته وأريد ان تكون أنت رسولي إلى موسى بن نصير في هذا الأمر ولك الراية البيضاء وكل ما تريده من مال أو جاه أو غير ذلك وأنا خليفتك في أهلك قال حبّاً وكرامة يا أمير المؤمنين فقال له سِر على بركة الله تعالى وعونه.

ثم أمر أن يكتبوا له كتاباً لأخيه عبد العزيز نائبه في مصر وكتاباً آخر إلى موسى نائبه في بلاد الغرب يأمره بالسير في طلب القماقم السليمانية بنفسه ويستخلف ولده على البلاد ويأخذ معه الأدلة وينفق المال، وليستكثر من الرجال ولا يلحقه في ذلك فترة ولا يحتج بحجة.

ثم ختم الكتابين وسلمهما إلى طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات على رأسه ثم إن الخليفة أعطاه الأموال والركائب والرجال ليكونوا أعوانا له في طريقه وأمر بإجراء النفقة على بيته من كل ما يحتاج إليه وتوجه طالب يطلب مصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(560) وفي الليلة الستين بعد الخمسمائة:

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن طالب بن سهل سار هو وأصحابه يقطعون البلاد من الشام إلى أن دخلوا مصر، فتلقاه أمير مصر وأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام في مدة إقامته عنده، ثم بعث معه دليلا إلى الصعيد الأعلى حتى وصلوا إلى الأمير موسى بن نصير.

فلما علم به خرج إليه وتلقاه وفرح به فناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم معناه ووضعه على رأسه وقال سمعا وطاعة لأمير المؤمنين، ثم إنه اتفق رأيه على أن يحضر أرباب دولته فحضروا فسألهم عما بدا لهم من الكتاب، فقالوا أيها الأمير إن أردت من يدلك على طريق ذلك المكان، فعليك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودي، فإنه رجل عارف وقد سافر كثيرا وهو خبير بالبراري والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والأرضين وأقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلى ما تريده.

فأمر بإحضاره فحضر بين يديه فإذا هو شيخ كبير قد أهرمه تداول السنين والأعوام فسلم عليه الأمير موسى وقال له يا شيخ عبد الصمد إن مولانا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أمرنا بكذا وكذا، وأنا قليل المعرفة بتلك الأرض وقد قيل لي إنك عارف بتلك البلاد والطرقات، فهل لك رغبة في قضاء حاجة أمير المؤمنين.

فقال الشيخ أعلم أيها الأمير أن هذه الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك فقال له الأمير كم مسيرة مسافتها فقال مسيرة سنتين وأشهر ذهاباً ومثلها إياباً، وفيها شدائد وأهوال وغرائب وعجائب وأنت رجل مجاهد وبلادنا بالقرب من العدو فربما تخرج النصارى في غيبتك والواجب أن

تستخلف في مملكتك من يدبرها قال نعم فاستخلف ولده هارون عوضاً عنه في مملكته واخذ عليه عهداً وأمر الجنود أن لا يخالفوه بل يطاوعوه في جميع ما يأمرهم به فسمعوا كلامه وأطاعوه وكان ولده هارون شديد البأس هماماً جليلاً وبطلاً كميناً. وأظهر لك الشيخ عبد الصمد أن الموضع الذي فيه حاجة أمير المؤمنين مسيرة أربعة أشهر وهو على ساحل البحر، وكله منازل تتصل ببعضها وفيها عشب وعيون فقال قد يهون الله علينا ذلك ببركتك يا نائب أمير المؤمنين.

فقال الأمير موسى هل تعلم أن أحداً من الملوك وطئ هذه الأرض قبلنا قال له نعم يا أمير المؤمنين هذه الأرض لملك الإسكندرية داران الرومي، ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قصر فقال تقدم بنا إلى هذا القصر الذي هو عبرة لمن اعتبر، فتقدم الأمير موسى إلى القصر ومعه الشيخ عبد الصمد وخواص أصحابه حتى وصلوا إلى بابه، فوجدوه مفتوحاً وله أركان طويلة ودرجات وفي تلك الدرجات درجتان ممتدتان وهما من الرخام الملون الذي لم ير مثله والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن، وعلى الباب لوح مكتوب فيه باليوناني، فقال الشيخ عبد الصمد هل أقرأه يا أمير المؤمنين فقال له تقدم واقرأ بارك الله فيك، فما حصل لنا في هذا السفر إلا بركتك فقرأه فإذا فيه شعر هو:

قوم تراهم بعد ما صنعوا ... يبكي على الملك الذي نزعوا

فالقصر فيه منتهى خبر ... عن سادة في الترب قد جمعوا

أبادهم موت وفرقهم ... وضيعوا في التراب ما جمعوا

كأنما حطوا رحالهم ... ليستريحوا سرعة رجعوا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(561) وفي الليلة الواحدة والستين بعد الخمسمائة:

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد الصمد لما قرأ هذه الأبيات بكى الأمير موسى حتى غشي عليه وقال لا اله إلا الله لا إله إلا الله الحي الباقي بلا زوال ثم إنه دخل القصر فتحير من حسنه وبنائه، ونظر إلى ما فيه من الصور والتماثيل وإذا على الباب الثاني أبيات مكتوبة، فقال الأمير موسى تقدم أيها الشيخ واقرأ فتقدم وقرأ فإذا هي:

كم معشر في قبابها نزلوا ... على نديم الزمان وارتحلوا

فانظر إلى ما بغيرهم صنعت ... حوادث الدهر إذ بهم نزلوا

تقاسموا كل ما لهم جمعوا ... وخلفوا حظ ذات وارتحلوا

كم لابسوا نعمة وكم أَكلوا ... فأصبحوا في التراب قد أُكلوا

فبكي الأمير موسى بكاء شديداً، واصفرت الدنيا في وجهه ثم قال لقد خلقنا لأمر عظيم ثم تأملوا القصر فإذا هو خلا من السكان، وعدم الأهل والفطان دوره موحشات، وجهاته مقفرات، وفي وسطه قبه عالية شاهقة في الهواء وحواليها أربعمائة قبر فبكى الأمير موسى ومن معه، ثم دنا من القمة فإذا لها ثمانية أبواب من خشب الصندل بمسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصعة بالمعادن من أنواع الجوهر مكتوب على الباب الأول هذه الأبيات:

ما قد تركت فما خلفته كرماً ... بل بالقضاء وحكم في الوري جاري

فطالما كنت مسروراً ومغتبطاً ... أحمي حماي كمثل الضيغم الضاري

لا أستقر ولا أسخى بخردلة ... شحّاً عليه ولو ألقيت في النار

حتى رميت بأقدار مقدرة   من الإله العظيم الخالق الباري
إن كان موتي محتوما على عجل   فلم أطق دفعه عني بإكثاري

فلما سمع الأمير هذه الأبيات بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه، فلما أفاق دخل القبة، فرأى فيها قبرا طويلا هائل المنظر، وعليه لوح من الحديد الصيني، فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقرأ فإذا فيه مكتوب بسم الله الدائم الأبدي الأبد بسم الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد بسم ذي العزة والجبروت باسم الحي الذي لا يموت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(562) وفي الليلة الثانية والستين بعد الخمسمائة:

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الشيخ عبد الصمد لما قرأ ما ذكرناه رأى بعده مكتوبا في اللوح، أما بعد أيها الواصل إلى هذا المكان اعتبر بما نرى من حوادث الزمان وطوارق الحدثان، ولا تغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فمنها ملاقاة مكارة غدارة أمورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير فهي كأضغاث النائم وحلم الحاكم كأنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء يزخرفها الشيطان للإنسان إلى الممات، فهذه صفات الدنيا فلا تثق بها ولا تمل إليها فإنها تخون من استند إليها وعول في أموره عليها لا تقع في حبالها ولا تتعلق بأذيالها فإني ملكت أربعة آلاف حصان احمر في دار وتزوجت ألف بنت من بنات الملوك نواهد أبكار كأنهن الأقمار، ورزقت ألف ولد كأنهن الليوث العوابس، وعشت من العمر ألف سنة منعم البال والأسرار، وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الأقطار، وكان ظني في النعيم يدوم لي بلا زوال، فلم أشعر حتى نزل بنا هازم اللذات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات، وان سألت عن اسمي

فاني كوش بن شداد بن عاد الأكبر وفي ذلك اللوح مكتوب أيضاً هذه الأبيات:

إن تذكروني بعد طول زماني ... وتقلب الأيام والحدثان

فأنا ابن شداد الذي ملك الورى ... والأرض أجمعها بكل مكان

دانت لي الأمم الصعاب بأسرها ... والشام من مصر إلى عدنان

قد كنت في عز أذل ملوكها ... وتخاف أهل الأرض من سلطاني

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه لما رأى من مصارع القوم قال فبينما هم يطوفون بنواحي القصر ويتأملون في مجالسه ومنتزهاته، وإذا بمائدة على أربعة قوائم من المرمر مكتوب عليها، قد أكل على هذه المائدة ألف ملك أعور وألف ملك سليم العينين كلهم فارقوا الدنيا، وسكنوا الأرماس والقبور فكتب الأمير موسى ذلك كله، ثم خرج ولم يأخذ معه من القصر غير المائدة وسار العسكر والشيخ عبد الصمد أمامهم يدلهم على الطريق حتى مضى ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه وإذا هم برابية عالية فنظروا إليها فإذا عليها فارس من نحاس وفي رأس رمحه سنان عريض براق يكاد يخطف البصر مكتوب عليه أيها الواصل إليَّ إن كنت لا تعرف الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس فافرك كف الفارس فانه يدور ثم يقف فأي جهة وقف إليها فاسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فإنها توصلك إلى مدينة النحاس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(563) وفي الليلة الثالثة والستين بعد الخمسمائة:

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمير موسى فرك كف الفارس فدار كأنه البرق الخاطف وتوجه إلى غير الجهة التي كانوا فيها فتوجه القوم فيها وساروا فإذا هي طريق حقيقية فسلكوها، ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم

حتى قطعوا بلاداً بعيدة.

فبينما هم سائرون يوماً من الأيام وإذا هم بعمود الحجر الأسود وفيه شخص غائص في الأرض إلى إبطيه وله جناحان عظيمان وأربع أيادي يدان منها كأيدي الآدميين ويدان كأيدي السباع فيهما مخالب وله شعر في رأسه كأنه أذناب الخيل وله عينان كأنهما جمرتان وله عين ثالثة في جبهته كعين الفهد يلوح منها شرار النار وهو أسود طويل وينادي سبحان رب حكم علي بهذا البلاء العظيم والعذاب الأليم إلى يوم القيامة.

فلما عاينه القوم طارت عقولهم واندهشوا لما رأوا من صفته وولوا هاربين فقال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد ما هذا قال لا أدري ما هو فقال ادن منه وابحث في أمره فلعله يكشف عن أمره ولعلك تطلع على خبره فقال الشيخ عبد الصمد أصلح الله الأمير إننا نخاف منه قال لا تخافوا فإنه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقال له أيها الشخص ما اسمك وما شأنك وما الذي جعلك في هذا المكان على هذه الصورة فقال له أما أنا فإني عفريت من الجن واسمي داهش بن الأعمش وأنا مكفوف ههنا بالعظمة محبوس بالقدرة معذب إلى ما شاء الله عز وجل.

قال الأمير موسى يا شيخ عبد الصمد اسأله ما سبب سجنه في هذا العمود فسأله عن ذلك فقال له العفريت إن حديثي عجيب وذلك انه كان لبعض أولاد إبليس صنم من العقيق الأحمر وكنت موكلاً به وكان يعبده ملك من ملوك البحر جليل القدر عظيم الخطر يقود من عساكر الجان ألف ألف يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته في الشدائد وكان الجان الذي يطيعونه تحت أمري وطاعتي يتبعون قولي إذا أمرتهم وكانوا كلهم عصاة عن سليمان بن داود عليهما السلام وكنت أدخل في جوف الصنم فآمرهم وأنهاهم

وكانت ابنة ذلك الملك تحب ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته وكانت أحسن أهل زمانها ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فوصفتها لسليمان عليه السلام فأرسل إلى أبيها يقول له زوجني ابنتك واكسر صنمك العقيق واشهد أن لا اله إلا الله وأن سليمان نبي الله فإن أنت فعلت ذلك كان لك ما لنا وعليك ما علينا وان أنت أبيت أتيتك بجنود لا طاقة لك بها، فاستعد للسؤال جواباً والبس للموت جلباباً فسوف أسير لك بجنود تملأ الفضا وتدرك كالأمس الذي مضى، فلما جاءه رسول سليمان عليه السلام طغى وتجبر وتعاظم في نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(564) وفي الليلة الرابعة والستين بعد الخمسمائة:

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الملك تجبر وتعاظم في نفسه وتكبر ثم قال لوزرائه ماذا تقولون في أمر سليمان بن داود فإنه أرسل يطلب ابنتي وأن أكسر صنم العقيق، وأن أدخل في دينه فقالوا أيها الملك العظيم هل يقدر سليمان أن يفعل بك وأنت في وسط هذا البحر العظيم فإن هو سار إليك لا يقدر عليك فإن مردة للجن يقاتلون معك وتستعين عليه بصنمك الذي تعبده فإنه يعينك عليه وينصرك والصواب أن تشاور ربك في ذلك يعنون به الصنم العقيق الأحمر وتسمع ما يكون جوابه فإن أشار عليك أن تقاتله، فقاتله وإلا فلا، فعند ذلك سار الملك من وقته وساعته ودخل على صنمه بعد أن قرب القربان وذبح الذبائح وخر له ساجدا وجعل يبكي ويقول شعرا:

يا رب إني عارف بقدركا	وها سليمان يروم كسركا
يا ربي إني طالب لنصركا	فأمر فإني طائع لأمركا

ثم قال ذلك العفريت الذي نصفه في العمود للشيخ عبد الصمد ومن

حوله يسمع فدخلت أنا في جوف الصنم من جهلي وقلة عقلي وعدم اهتمامي بأمر سليمان وجعلت أقول شعراً:

أما أنا فلست منه خائف ... لأني بكل أمر عارف

وإن يرد حربي فإني زاحف ... وإنني للروح منه خاطف

فلما سمع الملك جوابي له قوي قلبه وعزم على حرب سليمان نبي الله عليه الصلاة والسلام وعلى مقاتلته، فلما حضر رسول سليمان ضربه ضرباً وجيعاً ورد عليه ردّاً شنيعاً وأرسل يهدده ويقول له مع الرسول لقد حدثتك نفسك بالأماني أتوعدني بزور الأقوال، فإما أن تسير إلي وإما أن أسير إليك ثم رجع الرسول إلى سليمان وأعلمه بجميع ما كان من أمره وما حصل له.

فلما سمع نبي الله سليمان ذلك قامت قيامته وثارت عزيمته وجهز عساكره من الجن والإنس والوحوش والطير والهوام وأمر وزيره الدمرياط ملك الجن أن يجمع مردة الجن من كل مكان، فجمع له من الشياطين ستمائة ألف وأمر آصف بن برخيا أن يجمع عساكره من الإنس فكانت عدتهم ألف ألف أو يزيدون وأعدة العدة والسلاح، وركب هو وجنوده من الجن والإنس على البساط والطير فوق رأسه طائرة والوحوش من تحت البساط سائرة حتى نزل بساحته وأحاط بجزيرته وقد ملأ الأرض بالجنود. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(565) وفي الليلة الخامسة والستين بعد الخمسمائة:

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العفريت قال لما نزل نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام بجيوشه حول الجزيرة أرسل إلى ملكنا يقول له ها أنا قد أتيت فاردد عن نفسك ما نزل، وإلا فادخل تحت طاعتي وأقر

برسالتي وكسّر صنمك واعبد الواحد المعبود وزوجني بنتك بالحلال وقل أنت ومن معك أشهد ان لا اله إلا الله وأشهد أن سليمان نبي الله فإن قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة وإن أبيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة فإن الله تبارك وتعالى آمر الريح بطاعتي فآمرها أن تحملني إليك بالبساط وأجعلك عبرة ونكالاً لغيرك.

فجاء الرسول وبلغه رسالة نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، فقال له ليس لهذا الأمر الذي طلبه مني سبيل فأعلمه أني خارج إليه فعاد الرسول إلى سليمان ورد عليه الجواب، ثم إن الملك أرسل إلى أرضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده ألف ألف، وضم إليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين في جزائر البحار ورؤوس الجبال ثم جهز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرقها عليهم.

وإما نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام فإنه رتب جنوده وأمر الوحوش أن تنقسم شطرين على يمين القوم وعلى شمالهم وأمر الطيور أن تكون في الجزائر وأمرها عند الحملة أن تختطف أعينهم بمناقيرها، وان تضرب وجوههم بأجنحتها وأمر الوحوش ان تفترس خيولهم فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا نبي الله.

ثم إن سليمان نصب له سريراً من المرمر مرصعاً بالجوهر مصفحاً بصفائح الذهب الأحمر وجعل وزيره آصف بن برخيا على الجانب الأيمن ووزيره الدمرياط على الجانب الأيسر وملوك الإنس على يمينه وملوك الجن على يساره والوحوش والأفاعي والحيات أمامه، ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتحاربنا معه في أرض واسعة مدة يومين ووقع بنا البلاء في الثالث فنفذ فينا قضاء الله تعالى وكان أول من حمل على سليمان أنا وجنودي، وقلت

لأصحابي الزموا مواطنكم حتى أبرز إليهم وأطلب قتال الدمرياط، وإذا به قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع فأقبل ورماني بشهاب من نار فغلب سهمه على ناري وصرخ عليّ صرخة عظيمة تخيلت منها أن السماء انطبقت عليّ واهتزّت لصوته الجبال.

ثم أمر أصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب أن تنفطر وقامت الحرب على ساق، وصارت الطيور تقاتل في الهواء والوحوش تقاتل في الثرى، وأنا أقاتل الدمرياط حتى أعياني وأعييته.

ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت أصحابي وجنودي وانهزمت عشائري وصاح نبي الله سليمان خذوا هذا الجبار العظيم النحس الذميم، فحملت الأنس على الإنس والجن على الجن ووقعت بملكنا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة، وحملت العساكر على جيوشنا والوحوش حولهم يميناً وشمالاً، والطيور فوق رؤوسنا تخطف أبصار القوم تارة بمخالبها، وتارة بمناقيرها، وتارة تضرب بأجنحتها في وجوه القوم والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال، حتى أكثر القوم على وجه الأرض كجذوع النخل وأما أنا فطرت من بين أيدي الدمرياط فتبعني مسيرة ثلاثة أشهر حتى لحقني وقد وقعت كما ترون، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

***



من الأساطير العربية

1ـ القنفذ والورشان

يحكى أن قنفذاً اتخذ مسكناً بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا في النخلة وعاشا فوقها عيشاً رغيداً فقال القنفذ في نفسه: إن الورشان يأكل من ثمر النخل وأنا لا أجد إلى ذلك سبيلاً ولكن لابد من استعمال الحيلة.

ثم حفر في أسفل النخلة بيتاً واتخذه سكناً له ولزوجته وإلى جانبه مسجداً وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان متعبداً مصلياً فرق له من شدة زهده وقال:

كم سنة وأنت هكذا؟

قال:

مدة ثلاثين سنة.

قال:

ما طعامك؟

قال:

ما يسقط من النخلة.

قال:

ما لباسك؟

قال:

شوك أنتفع بخشونته

فقال:

وكيف اخترت مكانك هذا على غيره؟

قال:

اخترته على غير طريق لأجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل.

فقال له الورشان:

كنت أظهر على أنك غير هذه الحالة ولكنني رغبت فيما عندك.

فقال القنفذ:

إني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال: إني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره ومن تخلفه ومات أسفاً، فقال الورشان للقنفذ:

وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وأنقطع إلى عبادة ربي؟

قال له القنفذ:

خذ في الاستعداد للميعاد والقناعة بالكفاية في الزاد.

فقال الورشان:

كيف لي بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التي فيها قوتي؟ ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعاً أستقر فيه.

فقال القنفذ:

يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤونة عام أنت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن إرشادك ثم مل إلى ما نثرته من الثمر فانقله جميعاً وادخره قوتاً للعدم وإذا فرغت الثمار وطال عليك المطال سر إلى كفاف العيش.

فقال له: جزاك الله خيراً حيث ذكرتني بالميعاد وهديتني إلى الرشاد.

ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته وقال في نفسه: إن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤونتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا إلى تزهدي وورعي.

فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له:

أين الليلة من البارحة فما تعلم أن للمظلومين ناصراً فإياك والمكر والخديعة، لئلا يصنيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر.

فقال القنفذ وكيف ذلك؟

قال:

بلغني أن تاجراً من مدينة يقال لها سندة كان ذا مال واسع فشد جمالاً وجهز متاعاً وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيئا من مال ومتاع وأظهرا للتاجر أنهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه.

ثم إن كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه وقال في نفسه: لو مكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر لصفا لي الوقت وأخذت جميع المال، ثم أضمر لبعضهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاماً وجعل فيه سمّاً وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطأوا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم أنهما كانا محتالين وأرادا المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر والمال.

***

2- السلحفاء والطير

زعموا أن طيراً طار وعلا إلى الجو ثم انقض على صخرة في وسط الماء وكان الماء جارياً فبينما الطائر واقف على الصخرة وإذا برمة إنسان جرها الماء حتى أسندها إلى الصخرة ووقفت تلك الجيفة في جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا الطير وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال في نفسه:

إن هذا المقتول كان شريراً فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره.

ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسوراً وعقباناً أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها، فلما رأى طير الماء جزع جزعاً شديداً وقال:

لا صبر لي على الإقامة في هذا المكان.

ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين تقاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهراً في وسطه شجرة فنزل عليها كئيباً حزيناً على بعده عن وطنه وقال في نفسه:

لم تزل الأحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحاً شديداً وقلت: هذا رزق ساقه الله إلى فصار فرحي غمّاً وسروري حزناً وهمّاً وافترستها سباع الطير مني وحال بينها وبيني فكيف أرجو أن أكون سالماً في هذه الدنيا وأطمئن إليها.

وقد قيل في المثل: الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا إليها يختال

فوق الأرض حتى يصير تحتها ويحثو عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم إليه وما للفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهاً لفرقة إخواني وأصحابي.

فبينما هو في فكرته وإذا بذكر من السلاحف أقبل إلى منحدر في الماء دنا من طير الماء وسلم عليه وقال:

يا سيدي ما الذي أبعدك عن موضعك؟

قال:

حلول الأعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه، وما أحسن قول بعض الشعراء:

إذا حل الثقيل بـأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف:

إذا كان الأمر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يديك ولا أفارقك لأقضى حاجتك وأفي بخدمتك، فإنه يقال: لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه، وقد قيل: إن فرقة الصالحين لا يعدلها شيء من المصائب ومما يصبر العاقل نفسه الاستئناس في الغربة والصبر على الرزية والكربة وأرجو أن تحمد صحبتي لك وأكون لك خادماً ومعيناً.

فلما سمع طير الماء مقالة: السلحف قال له:

لقد صدقت في قولك ولعمري إني وجدت للفراق ألماً وهمّاً مدة بعدى عن مكاني وفراقي لإخواتي وخلاني لأن في الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب ينقطع عنه الخير ويثبت له الشر سرمداً، وليس للعاقل إلا التسلي بالإخوان عن الهموم في

جميع الأحوال وملازمة الصبر والتجلد فإنهما خصلتان محمودتان يعينان نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع من كل أمر.

فقال له السلحف:

إياك والجزع فإنه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك.

ومازالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للسلحف:

أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان.

فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له:

لم تزل جماعة الطير تعرف مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير.

ولم يسكن روع طير الماء حتى اطمأن، ثم إن طير الماء طار إلى مكان الجيفة فلما وصل إليه لم ير من سباع الطير شيئاً ولا من تلك الجيفة إلا عظماً فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل إلى السلحف أخبره بما رأى وقال:

إني أحب الرجوع إلى مكاني وأتملى بخلاني لأنه لا صبر للعاقل عن وطنه.

فذهب معه إلى ذلك المكان فلم يجد شيئاً مما يخاف منه فصار طير الماء قرير العين ثم سكنا الجزيرة، فبينما طير الماء في أمن وسرور وفرح وحبور إذ ساق إليه بازاً جائعاً فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغنه الحذر عند فراغ الأجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل إنه كان يقول في تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر، سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر.

3ـ الطير الأخضر (أسطورة لبنان)

توفيت امرأة تاركة لزوجها صبياً وفتاة صغيرين، فتزوج هذا الرجل من امرأة ظالمة فاضطهدت الطفلين. وذات يوم ذبحت الطفل أثناء غياب أبيه وطبخته وقدمته طعاماً للأب عندما عاد.

يرى الأب في الطعام يداً بشرية صغيرة يعرف فيها يد ابنه ويسأل زوجته، فتنهره وتزجره عن مثل هذا القول، فيتابع طعامه.

وتعرف الفتاة الحقيقة إلا إنها لا تجرؤ على الكلام، فتأخذ بجمع العظام التي يرميها الأب، وتضعها في كيس، ثم تذهب بها جميعاً وترميها في مرج أخضر قريب. ولا تلبث هذه العظام أن تحيا من جديد، ولكن في شكل طائر أخضر، يطير إلى أن يحط بالقرب من بائع للإبر، فيردد أمامه هذه الأغنية:

أنــــا الـــطـــير الأخـــضر يـــمـــشي ويـتــمـخـطـر
خـــالــتـــي ذبـحـتـنـي وأبـــــوي أكــلــنــي
وأخــــتـــي الحـــنــون جمـــعـــت عــظــامـــي

ورمتني بالمرج الأخضر

وحين يرجوه البائع ان يعيد على أسماعه هذه الأغنية، يشترط عليه أن يعطيه بعض الإبر:

أنــــا الـــطـــير الأخـــضر يـــمـــشي ويـتــمـخـطـر
خـــالــتـــي ذبـحـتـنـي وأبـــــوي أكــلــنــي
وأخــــتـــي الحـــنــون جمـــعـــت عــظــامـــي

ورمتني بالمرج الأخضر

فيقدم له البائع كمية من الإبر. ولا يلبث الطائر أن يأخذها ويطير بها

ثم يحط عند جوهري، فيردد الأغنية أمامه:

أنـــا الـــطـــير الأخـــضر يـــمـــشي ويـتـمـخـطـر
خـــالـــتـــي ذبـحـتـنـي وأبـــــوي أكـــلـــنـــي
وأخـــتـــي الحـــنـــون جـمـــعـــت عـــظـــامـــي
ورمتني بالمرج الأخضر

وحالما يسمعها الجوهري يطلب منه أن يعيدها، فيشترط عليه أن يعطيه جوهرة ثمينة:

أنـــا الـــطـــير الأخـــضر يـــمـــشي ويـتـمـخـطـر
خـــالـــتـــي ذبـحـتـنـي وأبـــــوي أكـــلـــنـــي
وأخـــتـــي الحـــنـــون جـمـــعـــت عـــظـــامـــي
ورمتني بالمرج الأخضر

وحالما يسمعها الجوهري يعطيه أحسن جوهرة عنده، فيأخذها الطائر ويطير إلى بيته القديم، وحين يصل إليه يرى خالته، فيقترب منها ويردد الأغنية على مسامعها:

أنـــا الـــطـــير الأخـــضر يـــمـــشي ويـتـمـخـطـر
خـــالـــتـــي ذبـحـتـنـي وأبـــــوي أكـــلـــنـــي
وأخـــتـــي الحـــنـــون جـمـــعـــت عـــظـــامـــي
ورمتني بالمرج الأخضر

وتناشده أن يعيد أغنيته، فيشترط عليها أن تفتح فمها أولاً، وعندما تفعل يرمي بالإبر في فمها فتموت في الحال. ثم يفعل ذلك مع أبيه، ويلحقه بزوجته، ثم يطير إلى شقيقته، ويردد أغنيته من جديد على مسامعها:

أنا الطير الأخضر يمشي ويتمخطر

خالتي ذبحتني وأبوي أكلني

وأختي الحنون جمعت عظامي

ورمتني بالمرج الأخضر

فتسأله بدورها ان يعيد ترديدها، ثم يطلب منها أن تفتح فمها أولاً، وعندما تفعل يرمي بالجوهرة في فمها، ثم يودعها ويحلّق بعيداً.

***

4- فرط رمان ذهب (أسطورة من فلسطين)

الله يمسيكو بالخير. هان هان يا صاحبين الحكي والكلام فيه هالأستاذ بيجي يصير يكري في هالبلد.

أستاذ هاذا غول. يأوم بيجي هالغول. بتيجي هالبنت بتصير (زي مابكوا) الأستاذية من زمان، عزمان بلادنا بكا بالدور مونه الواحد.

كاللها: يا فرط رمان ذهب؟

كالت: نعم يا سيدي

كلها: اليوم الدور عليك

كالتلة: نعم يا سيدي

راحت كالت يما

كالت: سوي إلي الجاجة والكماجة وبدي أروح أودي لسيدي اليوم الدور عليّ.

كالت: يي حاظر. سوت بيظ. سوت صحن بيظ وسوت صحن اللي قدّرها الله عليه سوته وحملت لبست بابوج الذهب وكالتلها يما سوّي جوز جاج لبست بابوج الذهب وحملت الجاجة والكماجة وبابوج الذهب وراحت تودي له. يوم صارت في باب الدار في باب المدرسة لكته معلّك - بعيد - عنكو - هالبغل وبوكل فيه! البنت عاودت تجري نست البابوج في باب المدرسة وحطت صحن البيظ والجاجة والكماجة وشردت.

لحكها الغول كالّها: فرط رمان وذهب؟

كالت: نعم سيدي.

كالها: شو اريتي من سيدك عجب، تنسيتي الجاجة والكماجة وبابوج

الذهب، باب العتب.

كالت له: شفته بصلّي ويصوم الرب الكيّوم ويكري في الولدلات لأجل التوبة والإحسانات.

كل يوم بيجي يكولّها: فرط ورمان وذهب.. (تكرار سؤاله وجوابها) كل يوم بيجي يكولها هيذ كانت هذا دين بكفّر العابدين، أنا بدي اطلع من المدرسة ـ بطلع العابدين ـ

طلعت من المدرسة راحت كعدت أصورها لهدم الحرير اللي سبحان اللي خالكه، كالوا هاذ لمين يصلح؟ للسلطان، بنت السلطان عادة هيه والله ودواله كبر هدم هالحرير وحطوه عنده في الليل، شدها (من بين) فيديها وسحبها من بين إخوتها (وكرر معها السؤال وردت عليه بنفس الجواب).

ثاني يوم أصور خروف كالو هالخروف ما يصلح غير للسلطان. رد عاود شدها فيدها ونتعها من بين اخوتها (وكالها السؤال وردت عليه الجواب). شو بدنا في الطويل زي ما كالت هذيكت الخطرة كالها. كالت والله لهج.

مكلتش تكول لبوها ولا لمّها ولا لمخلوك.

كالت والله لهج من هالبلاد اللي بعرفني فيها.

راحت تكول راحت مثل ما تروح من عمان على الكدس كطعت بلاد بعيدة والله لفت بلاد بعيدة. والله لفت لكت هالبدلة هالراعي إممعطة في هالطريق ولبستها عراسها طاقية كصكصت شعرها وصارت ـ بعيد عنكو ـ زي الشحاذ أي كرعة يكولونها يا أكرع لبست طاقية اكرع وراحت والله وكفت باب هالحاصل الحاصل مليان تنك سمن كله سمن وكفت باب هالدكان.

كال والله صاحب الدكان باع يوميتها بحوالي ثلاثين أربعين ليرة.

كاله والله منعول أبو كرعتك يا أكرع والله شفنا على وجهك الخير بطحش حذانا.

كلّه: بطيح. والله في هالليل كعدت في هالدكان. هُمّا حطّوه في الدكان وروحوا صاحبين الحواصل. وهو في هالحاصل في الليل اجا عليها (نفس السؤال ونفس الجواب) كام على تنك السمنة بعطه كلياتها ودشره وسحب حاله وراح.

اجو الصبحيات صاحب السمنة لكي كل هالسمنة مبعط بتع كتل.

كالّه: يا منعول ابو كرعتك خربت إدياري، راحوا شكوا عليه.

كالهم: انا لا معاي شبريه ولا معاي موس كمت إلا هوا مبعط مكلش يكول عاود راح قطع عثاني بلد.

كول كطع نواحي مادبا غاد ملحكش ظل صابر عليه تمنّه يعني ابعد.

عاود وكف باب هالدكان حاصل كماش من كل شيء فجواه من جمعين اللبس فيه والله لخرى الله فتح عليه باع له بخمسين ستين ليرة، كاله والله يا أكرع شفنا عوجهك الخير.

ابتكعدش عنا؟

كله: بكعد في الليل سكروا عليه ونام في هالحاصل. اجا عليه (كالها نفس السؤال وأجابت بنفس الجواب)

هد عها لكماش قرطه قرطه مخّلا منه ولا حاجة وسحب حاله وراح.

إجا صاحب الكماش الصبح حندل فيه كتل: منعول أبو كرعتك خربت دياري.

كله: شو بدي اسويلكو أنا ماكمت إلا هوا ممعط، سحب حاله وكالت:

أنا لوكتيش بدي أظل في هالدنيا.

ندت وراحت وين راحت؟ نواحي الشام يم ابعدت المشوار، راحت نواحي

الشام. والله هناك رمت بدلة الأكرع عنها ولبست صارت مهي بدلة. الثوب عليها وحوايجها عليها لابسة. هناك لفّت عدار هالسلطان كعدت في جنب هالدار. كعدت جمعة جمعتين عند الناس.

طلعت هالعبدة بتكول: يا ستي والله في بنت كاعدة ورا هالحيط بنت سلطان هيه، في الزين ما خلت وفي الحلاة ما خلت.

كالت: نادوا عليها.. نادوا عليها. كعدت عندهم جمعة جمعتين بتيجي شهر يعني هيذ.

كالها السلطان: يا بنت؟

كالت له: نعم

كالها: ابتتجوزي؟

كالت: بجوّز بالحلال لا عاش الحرام

اجوزت. يوم اجوزت دخل عليها جابت منه ولد. اجا عليها في الليل (يا فرط رمان.. الاّحسانات)!

كامت يوم كامت راحت كام اجا عليها خلع أسنانها ومغملها بدم، مغملها، مغملها واخد الولد جابت ثلاث أولاد والثلاثة اخذهم!

عاودت حبلت جابت أخرى بنت عاود عليها أخذها.

كال جوزها: هاذا دين بطلع العابدين! انا بدي لوكتيش أظل صابر. ثلث اولاد وبنت مررين وين دارت فيهم طيحتهم في الأرظ أكلتهم، ذبحتهم أنا بدي أحطها في سوك الهجرة حطها في سوك الهجرة كعدت سنة وسنتين مرمية في هالسكيفة في سوك الهجرة.

راح يطل بيجي عليها هو. أخذ أولادها ويطل عليها.

يوم من الايام بدا يروح يحج بكلها يما أنا بدي أروح أحج

كلتله: يمه الله يرظى عليك الله يوفقك. الله ينجحك. الله يريحك، تروح يما على هالقطيعة اللي غريبة بلاد مالها غرية مسلم اتكلها شو بدك؟ تجبر بخاطرها يجبر خاطرك. راح (كالها شو بدك يا فلانه؟ أنا بدي أروح أحج) ودا كلها أنا برحش ودا امه كلها إنتي روحي كوليلها، كالتلها يمه يرضى عليك أبو فلان بدّا يروح يحج، شو بدّا يجيب لك؟

كالت يجيب لي مجرية الحنا وعلبة الصبر كان بدّش يجيبيهن ريت احماله يُشخين دم، هناك بعدما حج وخلص وركب عالجمل وبدا يمشي (بكو من زمان يروحوا ع الجمال يحجوا) ركبوا على الجمل ومشى يوم مشى انهظ في الجمل صار الجمل يشخ دم!

كال: آ والله انسيت علبة الحنا ومجرية الصبر اللّي وصتني عايه أم محمّد.

أخذهن يوم أخذهن أعطاها إياهن. أتكون يا مجرية الحِنّا يا علبة الصبر اصبري زي ما صبرت.

مكلتش تصبر طقت مجرية الحنا مجرية الصبر وفكعت والله بعد يوم يومين بعد ما كعدوا وكاموا هالأفراح والليالي الملاح بعد ما روح من الحجاز كال يما أنا بدي أجّوز! راح صار يفر لكي بنت هالحلال.

حط عليها ودخل عليها. وليلة ما بدا يدخل يم ليلة دخلته وسووا هالسفرة وكدموها إلا الغول جاي جايب (الأربع) الثلث أولاد والبنت.

كالها: خذي هاي هذي أول أولادك وهذولة ثلث شعرات من شعراتي وكل مذايكتي ادعكي منهن شعرة.

كالتله: يما هي أبوكو الليلة بدا يدخل. روحوا عليه خشوا عليه هي

السفرة محطوطة من كل صحن خذوا من لكمة هيما بكولولكو اطلعو برّه بصيروا يرحموا عليكوا.

هو الدار دار أبونا واجو الغرب يطحونا خشوا هالأولاد سبحان اللي خالكهم ولأولاد اولد أملوك زي أولاد أملكوه خشوا الأربعة ورا بعضهم البعض كلهم مشوا عالسفرة طوالي من الصحن هاذ لكمه ومن الصحن هاذا لكمه صارن النسوان يرحمن عليهم وكالوا:

هي: الدار دار ابونا واجو الغرب يطحونا؟ والله البنت أجنت كعدت تركص كدام أبوها، الأولاد كعدوا كدام أبوهم الزلمة ماح لولاده كال: يا نسوان استنين شوية صاروا الأولاد على دمه ماح لهم كلبه بحر على أولاده لكيهم أولاده. كال: هالذي الفرحة التامة. كاموا صاروا يركضوا ويغنوا ويطبخوا لمين للأولاد وعاودوا العروس لهلها وصار العرس للأولاد.

كالها: يمة؟

كالتله: نعم

كالها: الصبحيات طيحي أم محمد على سوك الحمّام واقطعي لها من اعلى جنس من أعلى بدلات. راحت عالحمام طلعن الجاريات معها حممنها وعطرنها ولبسنها وشو صارت لك عروس جديدة، عاود عليها وصار العرس الها.

وطار الطير الله يمسيكو بالخير.

***

5ـ العنزة العنيزية (أسطورة من الأردن)

يحكى أن هناك عنزة لها أربعة اولاد وضعتهم في مغارة، وكانت عندما تخرج تغلق باب المغارة عليهم وتذهب لتحضر لهم العشب وتأكل من العشب الأخضر حتى يمتلئ ثدياها بالحليب.

كانت هذه العنزة عندما تعود تنادي على اولادها:

أنــا الـعـنـزة الـعـنـيـزيه أم الـقـرون الـدلآلـيـه

حاملة الكم بقروني عشب وفي ثـديـي الحـلـيـب

افـتـحـوا لي يـا ولـيـداتي

وعندما يسمع أولادها الأربعة نداء أمهم يفتحوا الباب وتدخل وتطعمهم مما جلبته لهم من عشب.

واستمرت هذه العنزة كل يوم على هذا المنوال تخرج بعد أن تغلق باب المغارة وعندما تعود تنادي على أولادها:

أنــا الـعـنـزة الـعـنـيـزيه أم الـقـرون الـدلآلـيـه

حاملة الكم بقروني عشب وفي ثـديـي الحـلـيـب

افـتـحـوا لي يـا ولـيـداتي

وذات يوم مر بها ضبع وطمع في أن يأكل اولادها.

وحاول أن يقلد العنزة في صوتها ويردد أغنيتها فلم يفلح إذ لم يفتح له الأولاد باب المغارة لأنهم عرفوا أنه ليس صوت أمهم.

وقد فكر الضبع في حيلة يقضي بها على العنزة فذهب إلى الحداد ليركب له رقوناً من العظم وذهب إلى العنزة وتقاتل معها ولكنه خسر المعركة. ذهب الضبع إلى الحداد ليركب له قروناً من النحاس وذهب إلى العنزة وتقاتل

معها ولكنه خسر المعركة.

ذهب الضبع إلى الحداد ليركب له قروناً من الحديد ولكن العنزة انتصرت عليه أيضاً.

فكر الضبع في حيلة أخرى فانتظر بجانب المغارة ولما وصلت العنزة ونطقت بندائها:

انـــا الـــعـــنـــزة الـعـنـيـزيـه أم الـــقـــرون الـــدلآلـــيـــه

حاملة الكم بقروني عشب وفي ثـــديـــي الحـــلـــيـــب

افـــتـــحـــوا لي يـــا ولـــيـــداتي

ففتح الاولاد باب المغارة فأطعمتهم وخرجت.

حاول الضبع ان يقلدها ولكنه خاب لكون صوته ضخما. ولم تنجح حيلته ولما عاد إلى المغارة انتظر حتى كانت العنزة في الخارج قلد صوت العنزة ففتحوا له الباب فأكل الاولاد الاربعة.

ولما عادت العنزة افتقدت أولادها ووجدت الضبع قريبا من المغارة فهاجمته وضربته بقرونها وقضت عليه بأن أردته قتيلا وفتحت بطنه وأخرجت أولادها وعادت بهم إلى المغارة.

***

6- لعيبة الصبر (أسطورة من قطر)

صلوا على النبي.

ما ياتكم إلا ذيك البنية اللي ابوها ملك من كل مال وجاه.

كانت البنت فاطمة مدللة ومحبوبة وعايشة في غرفتها فوك في قصر أبوها.

يوم من الأيام سمعت فاطمة صوت طرار وسمعت الخدم يطردونه ويقولون له:

روح سياقة الله عليك.

قامت فاطمة ونادت عليه وأعطته المقسوم.

فقال لها: روحي يعل الله يكافيك شر البلا والبلوى.

قالت له: ويش يكون البلا والبلوى؟

قال لها: اشتبين به؟

قالت: والله ما تروح قبل ما تقول.

قام الطرار وعطاها قوطي صغير وقال لها:

هذي البلا والبلوى.

أخذت فاطمة القوطي وحطته في الروشنة ونسيته.

وفي اليل طلع من القوطي سرو وجاء حق فاطمة وقال لها:

يا فاطمة يا مآمنة اليوع.

قالت له: روح حوطة الإبل وكل يوم على هالحال لين قدر كل اللي في القصر حتى أهلها وأبوها.

وابتلت به فاطمة وقالت:

يا ربي شسوي فيك روح فكني.

لكن ما فكاك

وتركت المسكينة قصر أبوها وراحت تمشي إلا تشوف ذيك المرة (عبدة) جاءتها.

قالت فاطمة: يا فلانة ما تلاقين لي شغل في قصر عمك؟

قالت لها العبدة: امبلى والله أنا سمعت عمتي تقول إنها تبي خدامة حق ولدها الصغير تعالي إنت كود تبيك.

راحت فاطمة معها واشتغلت صبية حق الولد.

ويا نهار ثاني والا السرو ياها وقال:

يا فاطمة يا مآمنة اليوع.

قالت: روح الله يبلاك، خلني اشتبي مني بعد؟ ما عندي شيء اعطيك هذه لهوب قصري ولا قصر أبوي انخش عنها السرو وخلاها بروحها.

يوم يه الليل ظهر السرو واكل الولد ولغمص حلج فاطمة بالدم.

وفي الصباح يات العبدة حق فاطمة إلا تشوف منزه الصبي والدّمان على ثياب فاطمة وحلجها، وقامت تصرخ وتطق فاطمة ويا أهل القصر وطقوها وطقوها وطردوها من قصرهم.

فاسرت وبينما هي تمشي راحت بعيد.

وفي الطريج شافها ولد شيخ وأعجبته وخذها معه وقا حق امه.

أنا بعرس على هذه البنية

قالت له أمه: ما بك يا ولدي؟ هذي ما نعرفها ومن بنته الناس.

قال: أنا ما علي. أنا باخذها.

عرس على فاطمة وعقب كم شهر سافر عنها يقنص وفاطمة كانت حاملا وربت ولدا.

اياها السرو وقال:

يا فاطمة يا مآمنة اليوع.

طردته ولكنه انخشى وفي الليل اخذ ولدها وخرسها بالدم.

ويوم درت ام ريالها استكبرت هالشيء.

ويوم يه الولد علمته قال الولد: انا ما صدق في فاطمة شيء.

وبعد حملت فاطمة وراح الرجل يقنص. ويوم ربت وطردته لكن من غير فائدة أكل ولدها وسوى لها مثل قبل. وحلفت أم الرجل على ابنها إنه ما يدخل عليها عقب اليوم.

وقالت له: باطرد فاطمة.

قال لها ولدها: لا يا يمه. ما تطردين فاطمة. خلها مع الخدام.

ذلك اليوم قرر ولد الشيخ يروح الهند بتاجر ودار على أهل البيت ينشدهم اشيبون صوغة؟

ويوم نشد فاطمة قالت له:

ابي لعيبة الصبر.

سافر الريال وهناك تاجر وراح يشتري صوايغ أهله.

وعقب يوم طرت عليه صوغة فاطمة، راح ينشد عنها ودلوه على ريال يمكن يساعده راح حق الريال وكان شيبة.

قال له: يا يبه ما تقدر تقول لي وين القى لعيبة الصبر؟

قال له: اشتبيها؟

قال له: والله انا ما ابيها لكن زوجتي موصيتني عليها.

قال الشيبة: هذي اللي يبيها مبتلي ببلوى عودة والله بفكها منها، هاك يا ولدي لعيبة الصبر. والى عطيتها اياها لزوجتك انطرها الين تتكلم حتى إذا انفجرت اللعبة لحق هالشخص ببشتك ورد ولد الشيخ بلاده وأعطى كل واحد صوغته وأعطى فاطمة لعيبة الصبر. وفي الليل قعد يراقب فاطمة.

طلعت فاطمة بالليل بروحها في الخلاء وقامت تتكلم مع لعيبة الصبر وتذكر سالفتها كلها وانه ما حد صبر صبرها.

وكلما تكلمت كانت اللعبة تكبر وتكبر الين انفجرت.

ظهر من لعيبة الصبر كل حلال فاطمة وأهلها وقصر أبوها وإخوانها وولد الشيخ.

ورد عليها ولد الشيخ وتيوزها وياه منها عيال.

وخلصت وحملت في ذنيب الصغير دملت.

***

7- الفيل والسلحفاة (أسطورة من موريتانيا)

أصاب المرض ملك أحد البلاد فدعا إليه جميع أطباء الدولة لأجل الكشف عليه وبعد فحص الملك قرروا جميعا أنه ينبغي على الملك أن يأكل قلب فيل حتى يشفى. لم يكن من السهل الحصول على فيل لذا أرسل الملك رئيس ديوان بلاطه ليبحث عن شخص يمكنه إحضار قلب فيل.

ولكن لم يرغب أحد في إنجاز هذه المهمة

علمت السلحفاة بالخبر فذهبت إلى الملك ووعدته بإحضار قلب فيل إلى أطبائه من أجل علاج جلالته.

طلبت السلحفاة من الملك احد أثوابه التي يلبسها ووعاء مملوءا بطعام الملك المفضل وطلبت أن يجتمع الشعب عند قدوم الفيل ليحيوه تحية الملوك.

أخذت السلحفاة هذه الأشياء وذهبت إلى الغابة.

بذلت السلحفاة جهدا كبيرا في البحث عن فيل في الغابة.. وأخيرا استطاعت أن تلمح فيلا عن بعد.

سارت السلحفاة إلى الفيل على مهل وحينما وصلت إليه خرت راكعة ساجدة بالطريقة التي يحيون بها الملوك.

لم يفهم الفيل ما تقصده السلحفاة عندما ركعت إليه ساجدة وسألها:

ما الأمر أيتها السلحفاة الحكيمة؟ أراك ساجدة راكعة لي على غير عادتك.. ما الأمر؟

السلحفاة قالت للفيل: إن الملك قد مات وقد قرر الشعب أن يختار الفيل ملكا عليه .

لم يصدق الفيل قول السلحفاة وفهمت هي ذلك لكنها أضافت:

هاك هذا وعاء الطعام الملكي. إن الوزراء قد أرسلوا إليك هذا الطعام.. تفضل كل فهذا هو الطعام الملكي دائما.

تملكت الفيل الدهشة ولم يصدق ما يراه ويسمعه إلا أن السلحفاة لم تدع الشك يدخل إلى نفسه فقالت له:

هاك لباس الملك الذي أحضرته لك بناء على طلب مجلس شورى الدولة ورئاسة الوزراء والديوان الملكي..

والآن أيها الفيل العظيم عليك أن تذهب معي على الفور إلى المدينة حتى تصل في الوقت المناسب لتتويجك..

وكان يصادق الفيل طائرا صغيرا وكان هذا الطائر في مدينة الملك المريض وسمع بقصته وعلم أنهم يبحثون عن شخص ما لإحضار قلب فيل لعلاج الملك. وحينما علم بما فعلته السلحفاة نصحه بعدم الذهاب وقال له:

إن السلحفاة جاءت هنا لتخدعك.

لم يصدق الفيل كلام صديقه الطائر ورفض نصيحته رفضا باتا.

استمر الطائر الصغير بنصيحة صديقه الفيل الضخم.. غنى له انشودة تحذيرية فتسرب الشك إلى قلب الفيل من جهة السلحفاة.

وخشيت السلحفاة أن يخيب مسعاها ولا تحقق الغرض الذي جاءت من أجله فأخذت تغني أنشودة عن العظمة والمجد اللذين سينعم بهما الفيل بعد أن يصبح ملكا.

أكل الفيل من الطعام الملكي وشعر بطعمه اللذيذ، فانتابته قشعريرة العظمة.. فسار مع السلحفاة إلى المدينة.

وصل الفيل والسلحفاة إلى المدينة وكانت المدينة تمتلئ بأبناء الشعب الذين اصطفوا يحملون الأعلام الملونة واللافتات الترحيبية ويهتفون: أهلا بملكنا الجديد..

هناك في وسط المدينة أقيمت منصة كبيرة وقف عليها الشعراء يلقون قصائدهم الطنانة وتحت هذه المنصة تم حفر حفرة عميقة جدا.

طلب رئيس الديوان من الفيل الصعود إلى المنصة لتحية أبناء الشعب وإلقاء كلمة بالمناسبة وحينما صعد الفيل على المنصة أسقط ثقله المنصة فوقع في الحفرة العميقة ولم يستطع أن يخرج منها ثانية واخذ أفراد الشعب يضربون الفيل بالعصى والهراوات والحجارة حتى مات. واستطاع الأطباء أن يأخذوا قلب الفيل وعالجوا الملك.

وقد كرمت السلحفاة بأن أعطي لها المنصب الذي يليق بها تكريما لخدمتها وإنقاذ الملك من الموت.

***

8. السعلاة (أسطورة من العراق)

عاشت السعلاة (السعلوة) حيناً من الدهر تبث الرعب في حياتنا الشعبية، وتمسخ الليالي الجميلة جحيماً.

لقد تسنمت السعلاة تراثنا الشعبي أجيالاً بعد أن أتاح لها الظلام والجهل أسباب الجبروت والقهر.

وإننا حين نداعب ذكرى (السعلوة) ونفحص منزلتها المرموقة في الأساطير العراقية، فهذا لا يعني إننا نريد ان نبشر بها كواقع معقول ينبغي الإيمان به والتعصب له.. إنما هدفنا أن نتناول هذا الكائن الميتافيزيقي بالدرس بعد أن اندثرت معالمه أو كادت تندثر.

قديماً قال الجاحظ:

(وللناس في السعلاة ضروب من الدعوى، وعلماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها، وهو، هنا، إنما يشير إلى رجل معاصر له.. كان يروِّج حكايات السعالي.

وقد هاجمه بقوله:

(وهذا وأشباهه مأمونون على الناس، فما أقرب إفساده لهم من إفساد المتعمد لإفسادهم) والجاحظ لم يكن يوماً من الأيام عدواً للتراث العقائدي الشعبي.. وقد فاضت مؤلفاته بأوهام الناس وخرافاتهم، فهو لم يعب روايتها.. وإنما عاب الإيمان بها، والتوكيد لمعانيها..

فللخرافات ميدانها وعلماؤها وقد قال المؤرخ المعاصر ول ديورانت:

(لا تكاد توجد سخافة في الماضي إلا وهي منتشرة في مكان في الوقت الحاضر، وما من شك في أن تحت كل حضارة بحراً من السحر والتخريف والشعوذة.. ولعل هذه ستظل باقية بعد أن يزول من العالم نتاج عقولنا وتفكيرنا).

إن المدونات الحضارية تؤكد على أن تقديس الأنهار كان من العقائد الدينية القديمة التي اطمأن بها القلب الآسيوي وتؤكد أيضاً على أن الشعب العراقي ـ حين قامت دولته البابلية ـ كان له في خلق الآلهة خيال ملهم دفاق.

ولكن هذه الآلهة انقلبت عليه وبالاً حين استخدمها الكهنة وأولو الأمر أداة للتحكيم الوثني في حسم النزاع الأدبي والقانوني المعروض أمام القضاء.

فالآلهة كانت تشكل البوليس السري للدولة البابلية، وكان حمورابي نفسه يخشى سلطانها ولعنتها.

وإذا عبد المصريون النيل وأقام الإغريق الهياكل لإله النهر فإننا ـ قبلهما ـ قد اخترنا النهر ليقضي قضاءه بين الناس، فكان من يتهم بالسحر أو من يتعسف في استعمال حقوقه يرمَى به ـ طبقاً لشريعة حمورابي ـ في النهر المقدس.

وعلى ضوء هذا التحكيم الجائر نستطيع أن نقول إنه ليس على الجاني بمستنكر أن ينجو من الهلاك والغرق إذا كان يتحلى بشيء من الحذق وجودة التصرف..

إن البقاء ـ تحت مصباح التحكيم الوثني ـ إنما هو للأصيل.. لا للأصلح.

ومن هنا تفاقم خوف العراقيين القدامى من النهر الذي يلتقم ظالمهم ومظلومهم على السواء..

ومن الكائن المجهول المخيف الذي يتربض للضحايا في أعماق النهر.

ولذلك كان من نتاج هذا الرعب أن يعبدوا كما يقول عالم الآشوريات ل. ديلايورت ـ إلهة الماء (نين). وأن يرمزوا لها بسمكة في وسط حوض وأن يشيدوا لها هيكلاً في (لجش) وأن يكرسوا لها إحدى ضواحي هذه المدينة الخالدة.

وقد تشبث في العقل الشعبي العراقي أن (نيسابا) أخت (نينا) اعتادت أن تجلس فوق كومة من الأغصان، وكان يحلو لها أن ترسل شعرها متموجاً على كتفيها.

ومن ذلك انبثق مفهوم (السعلوة) بشكله البدائي الذي أبدع التحكيم

الوثني، ومن غمرة الخوف الذي قذفه النهر في القلوب، ومن العبودية التي فرضتها (نينا) على الناس ومن الخيال الذي حام حول (نيسابا).. ومن جمرة الطقوس المعقدة في هيكل آلهة النهر في مدينة لجش.

وبعد أن فقد العراق القديم استقلاله تحت ضربات الفرس الإخمينيين.. غاب مفهوم (السعلوة) تحت ركام هائل من العقائد الوافدة الجديدة.

وقد خضع لتفاعلات ميثولوجية أجنبية غذاها الإغريق السلوقيون والفرس الفرثيون فاستقام كائناً غيبيّاً في عهد الفرس الساسانيين الذين عززوا مواقعهم الاستعمارية في وادينا وعلى أنقاض المجد الفارسي الذي أدركه الموت بهدوء.

وفي هذه المرحلة التاريخية اعتاد عرب العراق أن يبثوا إخوانهم عرب الحجاز والشام واليمن شجونهم في الأسواق الموسمية التي آزرها العصر الجاهلي.. فلا عجب إذا تحدث العراقيون حديث السعالي في آذان إخوانهم الذين اجتمعوا للتبادل التجاري والثقافي ويخلع الخيال البدوي حينئذٍ التهاويل على السعلاة ينشرها في الآفاق.

وبعد أن حرر العرب المسلمون العراق من الساسانيين وعاش في ظل الإسلام وضع السعلاة ومهد لها لكي تغزو نوادي المؤانسة والامتاع في المدن العراقية والأمصار التي خضعت بعد ذلك للنفوذ العباسي.

فالسعلاة عندهم كالغول والعفريت.. ذات نسب وهمي يربطها بالجن. وأكد الدميري في كتابه (حياة الحيوان) على أن السعلاة من سحرة الجن وهي ما يتراءى للناس في النهار.

وذهب المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) إلى أن لها تلبيساً وتخييلاً.

أما المسعودي فيخبرنا في كتابه (أخبار الزمان) بأن السعلاة تظفر بالرجل

في الصحراء أو الخراب فتأخذ بيده وترقصه حتى يتحير ويسقط فتمص دمه.

ولكن القزويني في كتابه (عجائب المخلوقات) يقول بأن السعلاة أكثر ما توجد في الغياض وربما اصطادها الذئب - ليلا - فأكلها، فإذا افترسها ترفع صوتها قائلة:

أدركوني، فإن الذئب قد أكلني.

أو تقول:

من يخلصني ومعي ألف دينار يأخذها.

ولكن الناس يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد، فيأكلها الذئب.

وفرض الأدب العربي على السعلاة حياة زوجية قد تتمرد - أحياناً على العرف وقواعد الأحوال الشخصية، فالجاحظ في كتابه (الحيوان) يزعم أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم فلما رأت برقاً يلمع من بلاد السعالي حنّت وطارت إليهم.

ويزعم أن ابنها هو عمرو بن يربوع.

ونهج المسعودي في (أخبار الزمان) بنفس النهج فقال:

إن صنفاً من السعالي يتصورون في صور النساء الحسان وقد يتزوجن برجال الإنس.

وقد دعم المسعودي زعمه فقال:

إن سعيد بن جبير تزوج سعلاة وهو لا يدري فأقامت عنده وأنجبت له أولاداً.. لكنها فارقته بعد أن حنت لموطنها وأوصته بأولادها خيراً.

وشاعت بين العرب أنباء الزواج القاسم بين ابن آدم والسعلاة وأطلقوا على المتولد بينهما اسم (العملوق)، والثعالبي في كتابه (فقه اللغة) نص على

ما نصه المسعودي بالحرف. إلا أن اللغوي ابن سيده جعل للسعلاة زوجاً من الحيوان وهو (القطرب).

والقطرب عند الدميري طائر يجول الليل كله لا ينام وقيل إنه كلب صغير.

ووجد العلوجي عند ابن الوردي في كتابه (خريدة العجائب) أنه تكلم عن جزيرة السعالي ووصفها بأنها جزيرة عظيمة وبها خلق كالنساء إلا أن لهم أنياباً طوالاً بادية وعيونهم كالبرق الخاطف ووجوههم كالأخشاب المحترقة ولباسهم من ورق الشجر.

والمؤرخ العراقي عبد الرحمن السويدي في كتابه (حديقة الزوراء) يتحدث عن تمرد بعض القبائل العراقية على السلطة العثمانية سنة 1739 وتحصنهم في مكان قرب شفائه. ويخبرنا كيف عزم الوزير أحمد بن حسن باشا على تأديبهم.

وبعد أن وصف طبيعة المكان الذي دارت فوقه المعركة بالغ في مدح الباشا وفي قدرته على استسهال الصعب بقوله:

وأمامه الشهباء وهي البادية التي تفزع قلوب السعالي من المقام فيها:

لقد حفل العراق إبان الاحتلال العثماني بأقاصيص تناولت حياة السعلوة الخاصة والعامة ولكن هذا التراث لم يدون وإنما ظل حرّاً تصبه الأفواه في الآذان وينحدر من الأجداد إلى الأنجال إلى الأحفاد.. وانتشرت بين قرى وأرياف ومدن العراق.. وتناقل الموصليون والسوامرة والبغاددة مغامرة (الجلاج) حسين النمنم الذي تزوجته السعلوة.

الباحثة الإنكليزية ليدي دراور عندما كانت في بغداد في حينه اجتمعت بقاصة سامرائية عجوز تدعى فضيلة أحمد فرمان ساعدتها على تدوين جميع الحكايات الشفاهية التي دارت مع السعلوة وحسين النمنم وقد سجلتها

من بعد ذلك ـ في كتابها (حكايات شعبية من العراق) ومنه علم العلوجي أن السيد النمنم ورفاقه قد انحدروا بالكلك مع دجلة.. وعندما ابتعدوا عن تكريت هبت ريح جنوبية فاضطرب النهر ولم يعد الكلك قادراً على التقدم فأخذ ملاحوه يجرونه جرّاً.. وبعد أن نال منهم التعب جلسوا يتناولون الطعام وبينما هم كذلك إذا بالسعلوة تخرج من الماء وتنقض على حسين النمنم فهرب رفاقه بالكلك الذي انطلق مع التيار.

أخذت السعلوة بجمال حسين النمنم فقادته إلى عرينها في الشاطئ حيث بادلته الغرام ولحست ساقيه حتى أضحى هزيلاً، نحيفاً وفقدت عظامه صلابتها.

وفي اليوم الرابع شعر الزوجان بالجوع فمضت السعلوة إلى السوق لجلب الطعام.

وقد استطاع حسين النمنم الهرب من السعلوة أثناء غيابها في السوق..

إلا أن السعلوة بعد ان يئست من عودة الزوج الهارب منحته هدية خارقة تجعل بصاقه وبصاق جميع أحفاده من الذكور والإناث ذا قدره علاجيه في شفاء جميع الالتهابات التي تصيب عيون الناس.

وقد شاع الاعتقاد في جهات تكريت بأن للسعلوة على شاطئ دجلة غابة ومعروفة باسم (زور السعلوة) وهو الذي اعتقلت فيه زوجها البائس لقضاء شهر العسل معه.

وإنها أنجبت فيه طفلها الأول (دبيب الليل)

وكان للسعلوة على الجانب الآخر أخت لها خمسة أطفال هم: (صيدة وصميدة وسماد البحر ومكة ومدينة) وذات ليلة حالف المرض دبيب الليل فنادت السعلوة أختها تسألها الدواء بقولها:

داده... داده.. داده! عندج حوايج للوايج؟

دبيبت الليل طول الليل يعالج من أفّاده

فأجابتها أختها: وحياة صميدة وصميدة.. وسماد البحر ومكة ومدينة.. ما عندي غبارة.

وفي العدد (91) من جريدة (المفيد) البغدادية الصادرة صبيحة اليوم الأول من آب 1922 نشر هذا الخبر الطريف:

(روى لنا حضرة غريب أفندي مدير ناحية حديثة أنه رأى قرب ناعور السيد لطوفي الآلوسي حيواناً في نهر الفرات يشبه البعير بقوائمه وشكله والإنسان بوجهه وكفّيه له شعر أخضر اللون ورأس مستطيل أحمر اللون وله ذنب يشبه ذنب السمكة.

وقد قال الراوي إن كثيراً من الأهلين قد شاهدوه أيضاً وقد أطلقوا عليه الرصاص فلم يصيبوه وكان يبتسم عند إطلاق الرصاص عليه ويغوص في الماء على إثر الطلق. وأصبح هذا الحيوان حديث الخاص والعام في هاتيك الجهات).

وفي أزقة بغداد ذات الفوانيس الكئيبة.. هناك في أعماق محلة التكارية في كرخ بغداد وفي نهاية الدربونة المشهورة باسم (جوّه الطاق) كانت ديمة تقص على صويحباتها عن ذكرياتها من أيام الوالي العثماني محمد نامق باشا. عن كيف كانت السعلوة تقف لدى باب دارها لتستعير قدراً تطبخ فيه طعامها، وكيف فتح (محمود) ضيفهم تلك الليلة نيران بندقيته عليها وصرعها فتناثرت قلادتها على الأرض.

وعرضت (ريمة) قلادة السعلوة على الحاضرات المسمعات. فآمن بما قالت.

يقول العلوجي: وقد قيل لي إن حائكاً في محله سوق حمادة في بغداد يدعى (على المنصور) شاهد وفحص هذه القلادة وانتزع منها خرزتين

سوداوين تميلان إلى الزرقة وأتلفهما تخلصاً من وباله.

ويذكر الأديب أحمد حامد الصراف عن جدته وهي تصف السعلوة..

هي امرأة طويلة سوداء، ذات شعر كثيف وثديين عظيمين كل منهما اكبر من الزق وإنها تسكن تحت الماء وتجول حول الأجراف لتخطف رجلاً تتخذه لها زوجاً..

وفي حكاية أن السعلوة خرجت في (بروانة) وهي قرية على الفرات بأنحاء هيت، وقد اشتركت في اللطم والنواح على رجل من أهالي تلك القرية توفاه الله.

وهذا ما ذكره الأستاذ الصراف في مجلة لغة العرب

تقول الحاجة (نجيبة أحمد عباس) إن السعلوة مخلوق يألف الأنهار والبساتين القريبة من المياه الجارية ويغطي جسمها شعر طويل ولها ثديان بارزان يتدليان حتى الركبتين وعندما تريد أن ترضع أطفالها الذين تحملهم على ظهرها ترمي ثدييها فوق كتفيها.. فهي امرأة ولكن لها ذيل سمكة بدلاً من ساقيها وهي مولعة باللحم البشري ولكنها تتخذ أزواجها من بني آدم.

وقد اعتاد الناس ان يحذروا أطفالهم - ليلاً - بقولهم:

السعلوّة... السعلوة... جتك السعلوة.

ويخلط الموصليون بينها وبين (الدامية) فيقولون:

جت الدامية (أي جاءت) ويقصدون بالدامية السعلوة وطعامها دم بني آدم. وفي جنوب العراق عُرف الدامي وهو (أنثى الغول)

يقول الأستاذ عبد الحميد العلوجي إنه سمع العديد من الحكايات الطريفة عن السعلوة عندما كان معلماً.. سمعها من أفواه الأطفال..

السعلوة كذابة..

السعلوة يثيرها اللحم الإنساني.. وتقوي على نضال الأسد..

السعلوة تهيم بمطاردة الديك لتفترسه..

السعلوة تخشى ابن آوى والجرذي..

السعلوة سوداء اللون.. تشحذ أسنانها ليلاً وتمشط شعرها نهاراً وتربي الأطفال وتخدع الرعاة وتضيف الغرباء بكرم..

وإن المرأة البشرية تستطيع إن تلد سعلوة

وإن للسعلوة اخاً يدعى (محمداً) وأن لها ولدين هما (جنجل وجنيجل)

وآخرون يقولون إنها لم تلد إلا واحداً يسمى (الصلايج)

ويقولون إن السعلوة باستطاعتها أن تقتحم مساكن الجن وأن تمسخ نفسها (سخلة) وتسخر الطبيعة في جلب الرياح وأن لها قروناً من خشب وأن أي شخص يستطيع أن يرى السعلوة عندما يأكل سبع تمرات ثم يرمي نواها في (الشط) وان كلمة (الله أكبر) كفيلة بالقضاء عليها.

ومع هذا فإن السعلوة استطاعت أن تدخل الميثولوجيا العراقية بعد أن زرعت الإرهاب في أرجاء العراق ردحاً من الزمن.

***

9. الوحش (أسطورة من سوريا)

سافر أحد التجار في تجارة له، وعندما وصل إلى المدينة التي يقصدها نزل في احد خاناتها.

وبينما كان يهم بدخول الخان لفت نظره شحاذ عند الباب غريب المنظر، قد غطت جسده بقع حمراء شديدة الحمرة، وكثيرة، حتى لم يظهر لون جلده، فأعطاه التاجر ديناراً.

وفي سفرة ثانية إلى تلك المدينة، شاهد التاجر الشحاذ نفسه في الموضع نفسه، والبقع الحمراء ما زالت تغطي جسمه، كما رآه في المرة الأولى، فأعطاه ديناراً.

ثم سأله عن سر هذه البقع التي في جسمه، فما راعه إلا والشحاذ يرتعش بشدة ثم يغمى عليه. فاستغرب الأمر، ثم أتى الناس، يسعفونه حتى صحا من إغمائه.

سافر التاجر إلى بلده، وعاد بعد مدة من الزمن إلى تلك البلدة نفسها، فوجد الشحاذ حيث عهده وفي الحالة نفسها، فعاد وأعطاه ديناراً أيضاً. ثم سأله عن سبب وجود هذه البقع في جسده، ومرة أخرى ارتعش الشحاذ بشدة ثم سقط مغميا عليه. فجاء إليه الناس وأسعفوه حتى فاق من إغماءته، وكان التاجر ما يزال واقفاً، وقد صمم على أن يعرف الحقيقة منه.

فاقترب منه ثانية وقال له:

فجلس التاجر، وراح الشحاذ يقص عليه قصته، فقال:

لقد كنت أميرا كبيراً، وتزوجت، ولكن الله منع عني الأولاد. وبعد سنين طويلة رزقني الله بولد لم أرزق بغيره، فحرصت عليه أشد الحرص، واعتنيت

به كثيراً. وكنت أصحبه معي حيثما ذهبت. وفي مرة، خرجت للصيد مع أفراد الحاشية وخرج معي ولدي. وحين وصلنا إلى إحدى الغابات تفرقنا جميعاً في سبيل البحث عن الصيد. ثم أردت أن أترك ابني وأذهب في السعي أنا أيضاً، فأعطيته بندقية وأمرته بأن يطلق منها ثلاث طلقات إذا وقع له أي مكروه لأخف إلى نجدته، ثم تركته ومضيت.

وبعد قليل سمعت من ناحية ولدي طبقة، ثم اتبعتها الثانية ثم الثالثة، فتيقنت أن خطراً يهدد ولدي، وأسرعت عائداً إليه. وحين وصلت إلى مكانه راعني منظر مخيف، إذ وجدت وحشاً غريباً ضخماً، وقد لف ذيله على ولدي، فحمله وراح يعدو به.

كدت أجن لهول المنظر، فأسرعت خلفه، ورحت أطلق عليه النار، دون أن أظفر بطائل، وأنا أسمع استغاثة ولدي. وبعد قليل، وصل إلى مغارة ضيقة، فدخلها، وولدي ما زال محمولاً بذنبه. وهنا حدثت الكارثة الرهيبة، فعندما وصل ذنبه إلى فوهة المغارة اصطدم ولدي بأطرافها، وتابع الوحش دخوله إليها. فتكسر جسم ولدي شر تكسير، وقد سمعت ويا للهول صوت تكسر عظامه من مسافة بعيدة، وبعد أن دخل به المغارة راح يفترسه.

أُسقط في يدي وهربت بنفسي، أبحث عن رفاقي لنقتل هذا الوحش، وبعد قليل شعرت بأن شيئاً ما يتبعني، فالتفت ورائي وإذا بالوحش نفسه يلاحقني ليفعل بي ما فعله بابني فأسرعت أعدو وأنا لا ألوي على شيء وأسرع الوحش ورائي حتى كاد يدركني، فحرت ماذا أفعل، ثم لفت نظري شجرة كبيرة فتسلقتها وجلست في قمتها.. وحين وصل الوحش إلى الشجرة توقف وراح ينظر إلى نظرات يقدح الشرر منها. ومكث قليلاً، ثم راح يحفر بقائمتيه تحت الشجرة واستمر يحفر بعض الوقت، حتى كانت حفرة كبيرة

فنزل إليها، وبال فيها، ثم اخذ يدير ذنبه في الوحل الذي أصبح بداخلها، وراح يرشني بذنبه من ذلك الوحل، فظهرت على جسمي للحال هذه البقع الحمراء التي بقيت حتى الآن، ومكث يرشني بذنبه حتى أتى رفاقي بعد ساعات، فرأوا الوحش، فاجتمعوا عليه واستطاعوا قتله.

ونزلت من الشجرة أبكي ولدي ونفسي. وحين علمت زوجتي بالخبر الأليم ماتت بعد أيام حزناً على ولدها ولما حل بي.

وقد أنفقت كل أموالي ثمناً لعلاجي فلم أفد شيئاً، حتى أصبحت فقيراً لا أملك شروى فقير. وها أنت تراني شحاذاً مريضاً معدماً.

أشفق التاجر على الشحاذ بعد أن سمع قصته الحقيقية وأعطاه بضعة دنانير ثم ودعه وانصرف.

***

10 ـ الابن البار (أسطورة من سوريا)

كان في قديم الزمان صياد اسمه محمود، وله زوجة اسمها فيحاء، وقد مضى على زواجهما أكثر من خمس سنوات، ولم يرزقهما الله أطفالاً مثلكم يحبون أهلهم ويساعدونهم في كبرهم، لذلك عندما احتفلت قريتهم بعيد الربيع، في يوم أشرقت شمسه ساطعة، كان جميع الناس يضحكون ويرقصون ويبتهجون ويشكلون حلقات، يرقص الأطفال داخلها إلا محموداً وزوجته، فكانا لا يشاركان الناس أفراحهم، لأنهما كانا قلقين يتساءلان: ترى لماذا لم يرزقنا الله أولاداً؟ نحبهم ويحبوننا نرجوك يا رب أن لا تحرمنا هذه النعمة.

وعندما يمسى المساء كان محمود يعود من عمله وهو متعب فيدخل الحمام، ويتناول طعام العشاء، وينام بينما كان يسمع جيرانه وهم يضحكون ويتسلون.

وهنا خطرت له فكرة ونفذها فوراً. إذ ذهب مع زوجته فيحاء إلى بيت جيرانه وطرق الباب ففتح له الجار الذي رحب بالزوجين كثيراً. واستقبلهما أحسن استقبال.

وجلس الجميع يتسامرون. فقال محمود: إنني أسمع ضحكاتكم المتواصلة وضجيجكم بينما يسود الهدوء بيتنا دائما. ترى لماذا؟

قال الجار: إذاً أنت لا تدري أن لدينا ثلاث كرات من ذهب نتقاذفها، ونتسلى بها، ونضحك من ذلك كثيراً.

قال محمود: كرات من ذهب كيف ذلك؟ لو كنتم تملكون كرات من ذهب لظهر عليكم الغنى، ولكان بيتكم أحسن من حيث مفروشاته وأثاثه.

وهنا ضحك الجار وقال: سأريك الكرات الذهبية ونادى: نعمت ـ مفيد ـ مجد الصباح، فحضر أطفال أكبرهم في السابعة من عمره.

قال الجار: هيا يا أولادي حيوا جارنا العزيز، فتقدم كل طفل بأدب وصافح الصياد وزوجته فيحاء.

هنا قال الجار: هذه هي الكرات الذهبية الثلاث أي صاحبي! إن أم مفيد مشغولة دائماً، فهي تهيئ الطعام للأسرة، وتكنس، وتغسل، لذلك نراها في عمل دائم يكاد لا ينتهي، أما الضحك والضجة التي تسمعونها فهي بسبب ما نسمعه من مجد الصباح: أصغر أولادنا إذ تذكر الجُمل بشكل يضحكنا، فمثلاً عن الفلفل: سلسل، وتنادي أخاها مفيد (بيد) بينما تنادي أختها نعمت (نعمومة) وهذا يجعلنا نضحك ضحكاً متواصلاً.

في الوقت نفسه تنادي الأم الأولاد: تعالوا صار وقت الاستحمام، صار وقت الطعام، وأخيراً تقبل الزوجة أولادها قائلة: تصبحون على خير يا أحب الناس إلى قلبي عندما يأوي كل طفل إلى فراشه وينام نوماً عميقاً. وهكذا ترى أن ساعات النوم هي الساعات الوحيدة التي تهدأ الضجة في بيتنا.

قال محمود: أرجو أن ترفرف السعادة دائماً على بيتكم، وأن يحفظكم ويحفظ أولادكم من كل سوء.

ثم ودع جيرانه وعاد مع زوجته إلى البيت ليناما فوراً. في صباح اليوم الثاني ذهب الصياد إلى عمله، وقامت زوجته بتنظيف البيت وإعداد الطعام، ولما انتهت كان لم يمض من النهار إلا أقله، فجلست أمام بيتها واضعة يدها على خدها، تنظر إلى البحر فتتسلى برؤية أمواجه تتدافع حتى تتكسر على الصخور، ثم تتجمع من جديد، وكانت فيحاء في حالة من التفكير العميق حتى إنها لم تر امرأة عجوزاً في ظهرها حدبة تقف أمامها وتقول لها: السلام عليك يا ابنتي! لكن فيحاء لم ترد السلام. لأنها كانت شاردة الذهن، وكأنها في غيبوبة. لكن العجوز لم تيئس وأعادت الجملة: السلام عليك يا ابنتي

ما بك يا حبيبتي؟ وما هو الشيء الذي استأثر بتفكيرك؟ حتى لم تشعري بوجودي؟

وهنا تحركت فيحاء وقالت: وعليك السلام أيتها العجوز الطيبة. اعذريني لم أسمع تحيتك من قبل.

قالت العجوز: لقد علمتني خبرتي في الحياة أن استشف أنك تحملين همّاً دفيناً في قلبك قالت فيحاء: نعم أيتها العجوز الطيبة، وأشعر أن باستطاعتي أن أسر إليك بهمي: إنني متزوجة من رجل صالح منذ ست سنوات، وحتى الآن لم يرزقني الله ولدا يسليني في وحدتي ولا أعرف ماذا أفعل.

لم تجب العجوز لكنها مدت يدها وأخرجت من جيب ملاءتها تفاحة حمراء رائحتها كالبخور وقالت لفيحاء: خذي هذه التفاحة واقسميها نصفين دون أن تقشريها كلي النصف الأول، وأعطي زوجك النصف الثاني يأكله، بإذن الله الواحد الأحد ستكونين في العام القادم في مثل هذا الوقت أمّاً لطفل تحملينه بين ذراعيك، وأنت في غاية السعادة.

قامت فيحاء وقبلت يدى السيدة العجوز قائلة: أرجو الله أن يحقق أحلامي.

وتوقفت فيحاء قليلاً ثم قالت: إذا حدث ذلك أين أجدك لأشكرك وأقبل يديك مرة أخرى؟

قالت العجوز: ليس لي مكان معين أستقر فيه، ويكفيني أن أسعد الآخرين وأرى الابتسامة تعلو وجوه الشابات والشبان لأكون أنا في غاية السعادة.

وفي لحظة اختفت العجوز، ولم يعد يظهر لها أثر ولولا أن فيحاء رأت نفسها تمسك تفاحة في يدها، لكذبت نفسها واعتقدت أن ذلك كان وهماً.

ولن أطيل عليكم أي أحبائي، إذ أن فيحاء فعلت ما قالته لها العجوز، وأكلت نصف التفاحة وأطعمت زوجها النصف الثاني، وبعد تسعة شهور

وضعت فيحاء غلاماً ذكراً سمته خلفان، وبعد سنتين وضعت بنتاً سمتها حصة. ثم غلاماً ذكراً سمته سلطان. وكانت تقول: من كان يظن أنني أنا التي كنت محرومة من نعمة الأمومة، أصبح أماً لثلاثة أطفال؟ يالسعادتي يا فرحتي كيف تحقق حلمي الجميل.

وكان الأب لا يقل فرحة وسعادة عن الأم وهكذا يا أحبائي الصغار دخلت البهجة هذا البيت ورفرفت السعادة عليه بأطفاله: خلفان، حصة، سلطان.

كانت فيحاء تردد دائما أين أنت أيتها العجوز الطيبة؟ لأشكرك وعلى أية حال فإن ذكراك لن تبارح مخيلتي.

وضع الأبوان كل جهدهما ليكون الأولاد مثلكم: متصفين بالصدق والأمانة والشجاعة مما أكسبهم على صغر سنهم احترام الجميع.

في يوم من الأيام مرض الأب مرضاً عضالاً لم يعرف له الأطباء دواء. إذ صارت تظهر على قدميه قرحة وجروح فسرها الطبيب بأن الدم لم يعد يغذي هذا القسم من الجسم، وساءت حاله كثيراً ولهذا أشار الطبيب أنه يجب عمل مغطس للقدم وتمسيده بأدوية مطهرة حتى تتفتح الأوعية الدموية ويسير الدم فيها من جديد.

هل تعلمون من كان يقوم بهذه العملية كل يوم؟ كان سلطان الصغير يجلس على الأرض أمام والده واضعاً قدمي الوالد في مغطس، فيه عقاقير مطهرة. وهنا يبدأ بفرك القدم بيديه مدة نصف ساعة. ولم يشترك الأخ الأكبر خلفان في رعاية والده لأنه كان يعمل في بلدة بعيدة من أجل تأمين مصاريف الأسرة.

وفي إحدى الليالي غمر البيت سكون كئيب، خيمت عليه وحشة رهيبة، لم يعرف لها الطفلان سبباً، إلا عندما جاءت الأم وفي عينيها الدموع، وفي

صوتها ارتجاف، وكانت تقول: إن والدكم قد ارتاح ونام. وكل ما يريده منكم أن تواظبوا على دروسكم وتكونوا الأولاد الذين يفخر بكم.

وما أن انتهت الأم من كلامها حتى أجهشت بالبكاء وقالت: ليت خلفان كان الآن إلى جانبي يساعدني في هذه المصيبة.

ولابد أن الأحباء الصغار فهموا أن الأب قد توفى (فليحفظ الله أمهات وآباء أحبائي من كل أذى وليمد الله في عمرهم).

وهكذا بقيت الأم وحدها تعيل الأسرة بما تتقاضاه من مساعدة الناس في أعمالهم وبما يرسله خلفان الصغير من أجره في العمل كل شهر.

انقضت سنة على وفاة الأب. وإذا بالمرض يداهم الأم فاحتار الطفلان فيما يعملانه، وجاء يوم قاس جدّاً عندما رقدت الأم في السرير وهي في أشد حالات المرض ولم تعد تتكلم، فجلس الطفلان حصة وسلطان قرب السرير يسهران الليل للعناية بالأم.

اقترب سلطان من سرير أمه وصار يقول: أمي كلميني كم قاسيت في تربيتنا كم قضيت الليالي ساهرة عندما كنا نمرض تضعين الكمادات الباردة على جباهنا، أمي يالعذوبة هذا الاسم إنني كلما قلت أمي أشعر بالراحة، والحب، والإجلال لشخصك.

ويظهر أن عينه غفت قليلاً، فرأى ملكاً من النور يدخل من النافذة وكان يقول: لا تيأس إن دواء أمك موجود بإذن الله، وهو عبارة عن أزهار بيضاء اللون تنبت على قمة هذا الجبل، وأشار بيده إلى جبل قريب اسمه جبل السنديان.

استيقظ سلطان وفرك عينيه لكنه لم يجد أحداً. وفي الحال قال: لن أضيع الوقت، سأصعد الجبل فوراً، وقبل أن يخرج أيقظ أخته حصة قائلاً: حصة: لقد وجدنا الدواء بإذن الله سأذهب لجلبه، وأثناء ذلك اعتني أنت يا

حصة بوالدتنا ولا تتركيها لحظة، كما لا تخبري أخانا خلفان حتى لا يترك عمله ويعود ونحن بحاجة إلى كل قرش يعمل به، ثم قبل يدى والدته التي كانت في غيبوبة لا تدري بما يجري حولها.

خرج سلطان وهو يركض صاعداً الجبل عارفاً أنه سيلاقي أهوالاً، وصعوبات كثيرة، لكنه قال في نفسه: كل شيء يهون في سبيلك يا أماه.

إن صعود الجبل صعب يا أحبائي لذلك كان سلطان يلهث من شدة التعب، فوقف ليأخذ قسطا من الراحة وإذا به يرى ديكاً يصيح من الخوف ووراءه ثعلب يريد أكله، فما كان من سلطان إلا أن أخفى الديك تحت ثيابه، حتى مر الثعلب وابتعد وتخلص الديك من شر الثعلب، فصار يقفز ويقول: لن أنسى معروفك يا سلطان أبداً.

بعد ذلك بدأ يصعد الجبل من جديد وإذا به يرى طائراً يقع في شبكة صياد، فأسرع وأنقذه.

لما وجد الطائر نفسه حرّاً طليقاً في الجو وهو يقول: لن أنسى معروفك أبداً يا سلطان.

سار سلطان من جديد وإذا به يرى أمامه نهراً لا يستطيع اجتيازه فوقف حائراً وإذا بالديك يظهر أمامه ضخماً كبيراً، وكان يقول: إنك أنقذتني من الثعلب الماكر، وها قد جاء دوري لأرد لك الجميل، اركب على ظهري وسأسهل عليك عبور النهر.

بعد قليل كان سلطان على الضفة الثانية وهكذا بدأ يصعد الجبل من جديد، وهو يحدث نفسه: إنني عندما أنقذت الديك. لم أتصور أن هذا الحيوان الضعيف يمكنه أن يساعدني على أن هذه التجربة علمتني أن أفعل الخير دائماً.

كان سلطان كلما اعتقد أنه وصل إلى القمة وجد قمة أخرى. وهنا أسأل أطفالي هل يئس سلطان وعاد؟ لا بالعكس كان يكرر هذه الجملة: كل المصاعب تهون في سبيلك يا أماه يجب أن أحصل على الأزهار البيضاء، التي هي الدواء الشافي بإذن الله.

وبينما هو يفكر في هذه الأمور سمع صوتاً من ورائه يقول: قف! وانظر وراءك! فأطاع وإذا به يرى شخصاً ضخم الجثة عظيم الهيئة يقول: لماذا أتيت إلى هذه الجبال؟

قال سلطان: أفتش عن الأزهار البيضاء التي هي الدواء الشافي لأمي.

قال الرجل: اعلم أني سيد هذه الجبال، ولن تتقدم خطوة حتى تحصد قمحي، وتضعه في الصوامع المخصصة له.

قال سلطان: أما أنك سيد هذه الجبال فلا يمكن أن أقبل هذا الكلام، لأن الله وحده هو سيد الجبال والبحار والسموات والأرض وسيد جميع المخلوقات، أما بالنسبة لقمحك فسأحصده من أجل الوصول إلى غايتي.

نظر حوله فرأى جميع أدوات الحصاد فبدأ العمل ما أعجب هذا الأمر لقد شعر سلطان كأن مائة رجل يساعدونه في عمله ولكنه لا يراهم.

ولم تمض ساعتان حتى كان قد أنهى كل شيء وهنا ظهر الرجل الضخم، وقال: إنك ماهر يا سلطان، ولقد سرتني شجاعتك في قول الحق. خذ هذه مكافأتك وأعطاه علبة قال له: لا تفتحها إلا أمام والدتك.

قال سلطان: شكراً وبدأ يركض من جديد ليعوض الوقت الذي فاته وللمرة الثانية قال: يا للغرابة! إنني أشعر بقطع مسافات كبيرة في مدى قصير. وقال: هذا من رضى الله والوالدين.

بعد ساعة من الجري المتواصل انتصب أمامه أسوار مرتفعة جدّاً،

وانتصب أمامه شخص طويل القامة عريض المنكبين وكان يقول: لن تمر ولن تجتاز أسواري، حتى تقطف عنبي من كرومي، وتعصره وتعقده دبساً، وتجفف بعضه ليصبح زبيباً.

قال سلطان: لا حول لا قوة إلا بالله! إن ذلك يتعبني ويؤخرني، ولكن كل تعب يهون في سبيلك يا أمي.

يا للغرابة! في هذه المرة أيضاً كان يعمل وكأن مائة رجل يساعدونه في عمله دون أن يراهم. لما انتهى جاءه صاحب الكرم وقال له: خذ هذه العلبة. ولا تفتحها إلا بعد اثنتي عشرة سنة. تقيد بكل حرف مما قلته لك.

قال سلطان: حاضر وأخذ العلبة وعاد إلى الجري وصعود الجبل، بعد ساعة تقريباً وجد نفسه أمام هوة عميقة فتحير في أمره وإذا به يرى أمامه الطائر الجميل، الذي أنقذه في أول القصة من شبكة الصياد، وكان معه طائر كبير. تكلم الطائر وقال: لقد أنقذتني وجاء دوري لأرد لك الجميل اركب على ظهري. بعد دقائق كان سلطان في الجانب الثاني من الهوة، وبعد ربع ساعة تقريباً وجد نفسه في حديقة كبيرة جدّاً، فيها أزهار مختلفة فوقف حيران، ترى أي الأزهار يقطف، وبينما هو يفكر ظهر ملك الخير والإحسان وقال لسلطان: ماذا جئت تفعل في هذه القمم العالية؟ تعال واسترح.

قال سلطان: أيها الملك اللطيف! لقد قاسيت كثيراً وتعبت كثيراً، اشتغلت، وتحملت كثيراً من الأهوال، لكن كل هذا التعب يهون في سبيل أمي التي تركتها مريضة في كوخنا الصغير، ولا يوجد إلى جانبها إلا أختي حصة، بينما يشتغل أخي خلفان يشقى في الليل والنهار ليرسل إلينا مصروفنا أرجوك ساعدني دلني على الأزهار النافعة، لأنني لم أستطع تحديد الأزهار التي تنفع أمي.

ابتسم الملك اللطيف وقال: اقطف الأزهار البيضاء فقط. وابتعد عن غيرها.

شكر سلطان الملك اللطيف، جمع الأزهار التي دله عليها، وعندما جاء ليودعه قال له الملك اللطيف: خذ هذا الحصان واركبه فهو يوصلك بسرعة إلى أمك.

وللمرة الثانية شكر سلطان الملك وركب الحصان وبعد مدة قصيرة وجد نفسه أمام أمه: التي ما زالت في غيبوبة وأمامها أخته حصة. لم يضع الوقت، فأسرع وغلى الأزهار البيضاء في قليل من الماء. وبدأ بعد ذلك يسقي أمه الدواء رشفاً بعد ساعة من الزمن فتحت الأم عينيها وقالت: أين أنا؟ فقال الولدان بصوت واحد: الحمد لله ثم الحمد لله لقد شفيت أمنا.

وبعد فترة وجيزة عادت الصحة إلى الأم، وعادت الحياة في البيت إلى مجراها الطبيعي. عند ذلك تذكر سلطان العلبتين وحدث أهله عنهما. ثم أحضر العلبتين إلى الأم، فلما قلبتهما قرأت على إحدى العلبتين: لا تفتح إلا بعد اثنتي عشرة سنة. قالت الأم: سنتقيد بما كتب على العلبة هذا إذا كتب الله لنا عمراً، لنرى ما فيها. أما العلبة الثانية والتي لم يكتب عليها شروط فسنفتحها غداً بإذن الله. بحضور أخيكم خلفان.

حضر خلفان في اليوم الثاني، فاجتمعت الأسرة في جلسة عائلية وفتحت الأم العلبة الأولى، وتركت الثانية للزمن المحدد لها. وما أن فتحت العلبة حتى انتشر مئات من الشباب وبدوا يبنون بيتاً جميلاً وسط مزرعة مسورة يدخل إليها من باب كبير ثم فرش هؤلاء الناس البيت بأجمل الأثاث.

أما في المزرعة فكانت هناك حظيرة فيها جميع أنواع المواشي، والدواجن، ولما انتهى الشباب من عملهم تقدم رئيسهم من الأم وقال لها ولأولادها: أيتها الأسرة المتحابة هذا بيتكم الجديد فتفضلوا واسكنوه.

فرح الجميع وقبل أن يقدموا الشكر لهؤلاء العاملين، كان هؤلاء قد

اختفوا عن الأنظار.

بدأت حياة جديدة للأسرة كلها عمل في مزرعة يملكونها وفي هذه الحياة الجديدة نعيم ومتعة وسرور، حتى إن خلفان لم يعد يسافر ليشتغل بعيداً عن بلده بل استقر مع أسرته يعمل في المزرعة.

وهنا لابد أن أذكر أحبائي الأطفال بأن لدى الأسرة علبة ثانية لا يمكن فتحها إلا بعد اثنتي عشرة سنة، وترى ماذا تحوي هذه العلبة من ألغاز؟ لنستعجل السنين حتى تمر ونرى ماذا تحويه العلبة الثانية، اليوم هو عيد ميلاد سلطان العشرين ومعنى ذلك أن الاثنتي عشرة سنة قد مرت والجميع في صحة وهناء، ومرور اثنتي عشرة سنة يعني أن خلفان وسلطان قد أصبحا شابين، وأن حصة قد أصبحت صبية، وكانت أمهم تفخر بما وهب الله أولادها من جمال في الخَلق والخُلق.

إننا يا أحبائي مستعجلون نريد معرفة ما تحويه العلبة الثانية. وكانت أسرة أبي خلفان مستعجلة مثلنا، لذلك جمعت أم خلفان أولادها في جلسة عائلية وبدأت بفتح العلبة قائلة: بسم الله الرحمن الرحيم وكان الجميع صامتين حبسوا حتى أنفاسهم ليروا المفاجأة التي انتظروها اثني عشر عاماً، ولكن ويا لهول المفاجأة لم يجدوا شيئاً ثميناً بل رأوا أشياء غريبة جدّاً وسأبدأ بتعدادها حسب إخراجها من العلبة: أولاً اخرج سلطان (ناياً) والناي آلة موسيقية يعزف عليها بالنفخ. وهنا يا أحبائي ما أن صارت هذه الآلة خارج العلبة، حتى بدأت تصدر أنغاماً ملائكية لم يسمع الحاضرون أجمل منها، وكانوا عند كل مقطع يقولون بصوت واحد آه.

قال سلطان: حقّاً إن الموسيقى هي أناشيد الخلود هي حركات النفس وتصوير العواطف، إنني أشعر الآن أن نفسي ترتفع إلى أعلى مراتب الهناء

أشعر أن نسمة عليلة تهب على فأسترد أنفاسي.

وقبل أن ينتهي العزف أعادت الأم الناي إلى مكانه في العلبة فسكت العزف وكأن شيئاً لم يكن.

بعد ذلك مدت الأم يدها داخل العلبة فأمسكت صرة فتحتها فوجدت فيها قليلاً من التراب، وبعض حبات من الحمص، ولما أعادت الصرة إلى مكانها وجدت صرة ثانية فتحتها فوجدت فيها ترابا أيضاً وبعض حبات من الذرة، كما رأت في طرف العلبة زجاجة فارغة، وأهم من كل ذلك وجدت في أسفل العلبة رسالة موجهة إلى سلطان، تقول الرسالة: يا سلطان إنك وأخاك خلفان وأختك حصة المثل الأعلى للأبناء البررة بأبويهم لا سيما عند مرضهم لذلك فإن الله سيكافئكم جميعاً في شبابكم. والآن سأتوجه بالكلام إليك يا سلطان إنك ستتزوج ابنة ملك بلاد الصفصاف.

وهي الآن في مثل سنك واسمها الورد في الأكمام (أي الورد عندما يكون في غلافه الذي يغلفه قبل أن يتفتح) وكانت في طفولتها أجمل طفلة في العالم، وهي بعيدة عنك كثيراً فأنت في الغرب والورد في الأكمام في الشرق وتفصل بينكما الحياة. لكنك ستتغلب على المصاعب التي تصادفك بإذن الله وتصل إلى غايتك. لا تنس يا سلطان أن الورد في الأكمام بانتظارك، ولا تنس أيضا أن تحمل هذه العلبة أثناء سفرك لخطبتها لأنها ستساعدك كثيراً.

ضحك الجميع وقالوا؟ وهل تساعد علبة من خشب إنساناً؟

لكن الأم لم تضحك بل قالت: لا يا ولدي لن تذهب! في هذه المغامرة فأنا أخشى أن يصيبك مكروه.

قال سلطان: كما تأمرين أي أماه.

وفي الليل نام الجميع إلا الأم الحنون فقد ظلت ساهرة تفكر. وبين الفينة

والفينة تمر على غرف أولادها لتطمئن عليهم.

سمعت سلطانًا يتحدث أثناء نومه ويقول: أيتها الورد في الأكمام أنا أحبك كثيراً وأتمنى أن تكوني زوجتي. صحيح أنا ما رأيتك ولكن أذني أحبتك الأذن تحب كما تحب العين من النظرة الأولى، لقد أحببتك وسأبقى مخلصاً لك إلى الأبد.

ثم تنهد طويلاً ونام على الجنب الآخر.

بكت الأم لما سمعت ذلك وقالت: لن أقف في طريقك يا أحب الناس إليّ.

وفي صباح اليوم التالي قالت الأم لسلطان: متى تذهب لتخطب الورد في الأكمام؟

قال سلطان فرحاً: هل وافقت يا أماه؟ وأسرع يقبل يديها وهو يقول: الحمد لك والشكر لك يا رب.

وفي صباح اليوم التالي، تهيأ سلطان للسفر، وأخذ ما يكفيه من الزاد والماء وبعد ذلك قبل يدي أمه وطلب رضاها، ثم عانق أخاه خلفان، وأخته حصة وقال: يا أفراد أسرتي الحبيبة ادعوا الله أن أعود سالماً. فرفع الجميع أيديهم إلى السماء وقالوا: رحلة موفقة! وعودة سعيدة.

انطلق سلطان متجهاً نحو الشرق، وهنا بدأت رحلة الأخطار. لابد لي أن أسأل أحبائي الأطفال هذا السؤال: هل تنصحون سلطان أن يركب الحصان أم يركب الجمل أحبائي الأذكياء يجب أن يركب سلطان الجمل، لأنه كما يقال: الجمل هو سفينة الصحراء، وهو يصبر على الجوع والعطش، إذاً ركب سلطان جملاً قويّاً، وحمل معه صرة وضع فيها طعاماً خفيفاً وماء وقال: بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم بدأ يسير في الليل مهتدياً بنجم القطب إذ يعين بواسطته جهة الشرق التي يريدها، وفي النهار ينصب خيمته وينام.

وكان هناك شيء نسيه الأحباء وهو العلبة، ترى ماذا كان يفعل بها؟ كان يحملها في الليل والنهار، كأنها تعويذة تقيه من كل شر.

في يوم من الأيام وبينما كان ينام النهار استيقظ فجأة على صوت فحيح رهيب يقترب من خيمته وإذا به يرى أفعى مخيفة تقترب منه. فلم يضطرب أبداً بل فتح علبته بهدوء، أخرج الناي وإذا بالألحان السماوية الجميلة تتردد في كل مكان، قد حدث أثناء ذلك شيء عجيب، إذا استدارت الأفعى حول نفسها، وتركت رأسها يظهر فقط، وهدأت وكأنها مسحورة بسماع هذا العزف الجميل، انتهى العزف فانسحبت الأفعى من الخيمة وأنقذ الله سلطانًا منها ولم يشعر بنفسه إلا وهو يقول بصوت عال: شكراً لك يا ساكن الجبال لقد أنقذت حياتي.

في الليلة الثانية عاود سلطان السير وهو يشكر الله على خلاصه من الخطر الذي أحدق به. وأثناء سيره شعر بالجوع ففتش عن زاده فلم يجده ويظهر أنه من شدة ارتباكه أثناء رؤية الأفعى، ترك الصرة على الأرض في المكان الذي كان فيه. ما العمل؟ الآن تذكر العلبة التي كان لا يفارقها، ففتحها وكم كانت دهشته عندما رأى في الرسالة الموجودة في العلبة، جُملاً جديدة لم يكن قد قرأها عندما كان مع أمه وإخوته، وكانت الجمل مكتوبة بخط كبير واضح ترى ما هو الجديد في الأمر؟

قرأ سلطان ما يلي: إنك الآن في مأزق حرج، والجوع في الصحراء صعب جدّاً، لكنك وأنت الابن البار ستقف الملائكة إلى جانبك لذلك تقيد بما سأقوله لك: اسحب صرة الحمص وانثر التراب على الأرض، ثم ابذر الحمص على التراب وانتظر.

فعل سلطان ما أمر به وانتظر ساعة من الزمن وإذا به يرى أن البذور

نبتت، وأورقت وأزهرت وها هو الحمص الغض الطري أمامه، فجمع الحبات بسرعة وأشعل ناراً شواها وأكلها، وبالطبع لم ينس أن يطعم صديقه الجمل بقايا نبات الحمص، وخبأ قسماً لوجبة ثانية وهنا شعر بالعطش فقال: لقد دبرت طعامي. ومن أين آتي بالماء؟

عند هذه النقطة رجع فوراً إلى العلبة، فرأى في الرسالة هذه الجملة: ضع الزجاجة على فمك وستروبك بإذن الله كلما عطشت ولما فعل ذلك شرب ماء بارداً وارتاح على أثر ذلك. ونام نوماً عميقاً.

ويجب أن لا ننسى أن سلطانا كان ينام في خيمته نهاراً ويسير ليلاً مستهديا بنجم القطب الذي كان يعين بواسطته الجهات الأربع. وبالطبع كانت وجهته جهة الشرق.

ولكي لا أطيل الحديث على أحبائي أقول إنه حدث معه بعد مدة نفس ما حدث يوم بقى بدون طعام فلجأ في هذه المرة إلى صرة الذرة وحدث معه نفس ما حدث في المرة السابقة، لكنه حدث زيادة على ذلك أنه لما حاول إشعال النار ليشوي عرانيس الذرة وجد أن النار امتدت إلى مكان بعيد ولم يعد يستطيع إطفاءها فقال في نفسه: هذه مادة سريعة الاشتعال وأظن أن الناس سيستفيدون منها كثيراً.

المهم عنده أنه شوى عرانيسه وأكل ثم شرب من الزجاجة السحرية التي لا ينضب ماؤها. في صباح اليوم التالي، وصل مدينة اللؤلؤ: وهي عاصمة مملكة الصفصاف فسكن في نزل قريب من قصور الملك. وبعد أن استحم ولبس ثياباً جديدة فاخرة ذهب ليخطب ابنة الملك، ونذكر أن اسمها الورد في الأكمام.

استقبله الملك على أنه زائر جاء من غرب الصحراء. ولما استقر به المقام في قاعة العرش الكبيرة: وقف سلطان وقال: إنني أطلب يد ابنتك

الورد في الأكمام لتكون زوجتي، التي أحافظ عليها وأرعاها وأضعها بين جفني وفي قلبي، وكانت الورد أثناء ذلك جالسة وراء ستار رقيق فظهرت كأنها البدر وراء سحابة رقيقة. نظر إليها سلطان وقال: هذه هي عروس أحلامي ونظرت الورد في الأكمام إلى سلطان وقالت في نفسها: هذا هو شريك حياتي، الذي طالما حلمت به.

وتفاهم سلطان والورد في الأكمام بالنظرات في تلك الأثناء سمع وكأنه في عالم آخر صوت الملك يقول: أنت يا من تخطب ابنة ملك الصفصاف ماذا تشتغل وما هو عملك؟

قال سلطان: أعمل في مزرعتنا مع إخوتي الفلاحين أحرث الأرض وأسمدها وأزرعها فتعطينا هذه الأرض خيرات متنوعة. لقد قدمنا لها تعبنا فقدمت لنا خيراتها منها الحلو والحامض والقاسي واللين.

لكن الملك لم يتركه يتابع حديثه فقال: أنا أزوج ابنتي فلاحاً يعمل في الأرض؟ هذا مستحيل هذا مستحيل ثم إن مهر ابنتي عال جدّاً! وهو أن يأتيني الخاطب بشيء جديد لم يعرفه البشر قبل ذلك، وهو ما لا يستطيع الملوك والأمراء تقديمه.

عند هذه النقطة فهم سلطان أن المقابلة قد انتهت، وعرف أيضا أن الملك يرفض رفضاً باتّاً تزويجه من ابنته فذهب إلى النزل الذي يقيم فيه، والدموع تترقرق في عينيه.

لقد عرفنا من سياق القصة أن الورد في الأكمام كانت جالسة وراء ستار رقيق وبالطبع سمعت الحديث من أوله حتى نهايته لذلك لما ذهب سلطان خرجت وتقدمت من أبيها قائلة: لقد ربيتني يا والدي على قول الصدق، لذلك أرجو أن تغفر لي صراحتي إذا قلت إنني أعجبت بهذا الشاب.

قال الأب: وما الذي أعجبك فيه؟

قالت: أيها الوالد الحبيب! لقد أنار الله بصيرتي، وطهر قلبي وهداني الرحمن إلى الحق، فصارت لي نظرة معينة في هذه الحياة، أرجو أن توافقني عليها.

قال الملك ووجهه يطفح بالحنان: قولي يا حبيبتي ما عندك.

قالت الورد في الأكمام: أنا أحترم ذلك العامل الضائع بين آلاته، ذا الوجه الملطخ بالسواد والثياب المغطاة بالشحوم والزيوت، أحترم ذلك الزارع الذي يدفع بثوريه ومحراثه ليحرث الأرض، ويخرج من بطنها غذاء القائد والأمير، أفكر باحترام في تلك المرأة الفقيرة التي تسترزق بغسلها الثياب لتربي أيتاماً تركهم أبوهم بدون معيل، أحني رأسي بإجلال لذلك الطبيب الذي يزج بنفسه بين المرضى ليخفف آلامهم وقد يكون هو بأشد الحاجة للرعاية، أحترم ذلك المكتشف أو المخترع الذي يضحي كل منهما براحته، في سبيل نفع الإنسانية.

قال الملك: كفى كفى يا ابنتي الحبية لقد اقتنعت بوجهة نظرك، وفي الواقع إن كل ما قلته صحيح. وإن كلامك هذا سيغير كل شيء في طريقة حكمي للبلاد.

ثم قام من فوره وأرسل رسله ليستدعوا سلطان من النزل الذي كان يقع قريباً من القصر. وفي الحال توجه سلطان إلى القصر. واجتمع بالملك الذي رحب به ترحيباً غير عادي. فاستغرب سلطان ذلك، لكنه سمع وكأنه في حلم جميل هذه الجملة: قبلت تزويجك ابنتي الورد في الأكمام وسنعين موعد الزفاف عندما تهيئ ابنتي نفسها للسفر معك. وسيكون ذلك قريباً بإذن الله.

قال سلطان: وأنا أقدم المهر الذي طلب مني، وهو الشيء الجديد الذي

لم يعرف من قبل البشر، فقط أرجوك أن تأمر مائة الجنود المسلحين مع طعام ماء يكفي هذا العدد لعدة أيام وسوف أريهم ما رأيت.

مرة ثانية لن أطيل الحديث حتى لا يمل أعزائي فأقول باختصار: إن سلطان قادهم إلى المكان الذي انتشرت فيه المادة التي تشتعل بسرعة. ولما شاهدوها، أخذوا عينات منها إلى مدينة اللؤلؤ وهناك أجمع العلماء إن هذه المادة التي تشتعل سريعاً ستغير حياة البشر، وتساعد على رفاهتهم وسموها (النفط).

وهكذا يا أطفالي الأحباء وبعد مدة قصيرة عاد سلطان ومعه عروسه الورد في الأكمام في موكب كبير وقد أصر الملك على مرافقتهم وكانت وجهتهم هذه المرة من الشرق إلى الغرب. ولما وصلوا أقيمت الأفراح، اشترك فيها ملكان من أعظم ملوك الدنيا، ولم يقبل ملك بلاد الصفصاف، إلا أن ينزل ضيفاً على أم خلفان، الذي تزوج أخت الورد في الأكمام اسمها زهرة الياسمين، كما تزوج ابن ملك بلاد الصفصاف الآنسة حصة أخت سلطان، عادت مع الملك إلى شرقي الصحراء وعاش الجميع في أهنأ حياة وأرغد عيش.

***

11ـ قاط قاط

(هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي) والى هنا هاك العائلة الفقيرة التي تضم عجوزا مقعدة.. ورجلا أعمى وشابة.. هي ابنتهما الوحيدة.. هذه الفتاة الشابة هي التي تقوم بإدارة شؤونهما وتسعى لنيل الرزق لها ولهما وكانت تكافح بمرارة في سبيل العيش وتعمل بأنفة من أن تمد يدها للناس.. وتكسب رزقها بعرق جبينها!

مضت مدة من الزمن ليست بالقصيرة وهذه الفتاة تكافح.. في المدينة.. ضاق بها العيش خرجت للصحراء تحتطب وتجمع الأعشاب.

ذات يوم خرجت للصحراء كعادتها تبحث عن الحطب وأوغلت في تلك الصحراء وعندما أرادت العودة ضلت طريقها..

كان الليل قد أرخى سدوله.. نظرت حواليها.. للشمال.. للجنوب.. للشرق.. للغرب لم تستطع أن تهتدي إذ أنها أساسا لا تعرف الجهات في هذا الليل الحالك فأيقنت انها في خطر.

كانت الريح شديدة والهواء باردا.. حاولت أن تنام ولكن الريح والبرد والخوف سلبت النوم من عينيها.

استعاذت بالله من الشيطان الرجيم.. تقلبت حاولت أن تطرد الهواجس ولكن هيهات.

دفنت رأسها بزنبيلها ولملمت نفسها ولكن بلا جدوى..

إنها ليلة ليلاء حتى ينقشع ظلامها لتهتدي في ضوء النهار إلى المدينة حيث بيتها.

وعند منتصف الليل تقريبا سمعت ضجيجا وأصوات وحوش كاسرة.. حاولت أن تتصور ما سمعته إلا أنها أدركت إنها تسمع تلك الأشياء حقيقة.. ولا مجال للشك فيها..

ماذا تفعل؟

الخوف قطع أوصالها..

الأصوات تقترب.. أفرغت الحطب من زنبيلها ودخلت فيه مكورة نفسها بداخله وفجأة رأت جسما غريبا يقف عند رأسها والأصوات كلها من خلفه.

صاح هذا الجسم الغريب بها: من هنا..

أجابت الفتاة بصوت متقطع مرعوب: أأأنننا يا عميمي

فقال لها: هل تعرفينني؟

قالت: نعم... أعرفك

فقال: من أنا؟

قالت الفتاة: أنت ملك الوحوش وسيد الصحراء..

قال: وبعد..

قالت: أنت مصدر الخير والبلاء

قال: وكيف ترين جمالي؟

قالت: جمال كالقمر المنير

قال: وكيف ترين جنودي؟

قالت: نعم الجند كثرة وشجاعة

فسألها عن بلدها فأعلمته.

أمر ملك الوحوش ان يملأ زنبيلها ذهبا وجواهر وفضة وأن تحمل إلى اقرب مكان من بيتها.

دخلت الفتاة الدار فوجدت من فيه قلقا عليها.. ولما روت لهم ما حدث لها عجبوا لما سمعوا وقدروا شجاعتها في ذلك الموقف الصعب..

ولما رأوا الجواهر والذهب والفضة فرحوا لهذه الهبة السماوية التي أنزلها الله تعالى عليهم.

قال الأب: ان هذا الوحش الكاسر يسمى (قاط قاط) وهو يعمل هكذا كلما انفرد بأحد في الصحراء فيمتحنه بهذه الأسئلة فإن وفق نجا وإن لم يوفق كان مصيره الهلاك.

أخذ الناس يبحثون ويتساءلون عن مصدر وأسباب غنى هذه العائلة المفاجئ منهم من قال: إنه كنز عثروا عليه

آخرون قالوا: ان قريب لهم كان مسافرا إلى الهند وكان تاجرا فأصاب ثروة عظيمة فمات ولم يخلف أحدا سوى هذه الأسرة من أقاربه.

وقال البعض الآخر: إنه رزق من عند الله تعالى.

ذات مرة جاءت جارة لهذه الأسرة وكانت صديقة لابنتهم واستطاعت أن تستدرجها بالكلام..

وروت القصة لها كاملة.. وبدت الجارة غير مكترثة لما سمعت إلا أنها بداخلها تعرفت على التفاصيل كاملة ولكن كما حكتها لها وكالتالي:

خرجت ذات يوم لأحتطب في الصحراء فتوغلت فيها ولم أجد شيئا مما أردت فزاد توغلي وكان النهار على وشك الانتهاء..

جاء الليل ولم أستطع الاهتداء إلى الطريق فنمت في المكان الفلاني

وجعلت زنبيلي على رأسي فلما توسط الليل لم أشعر إلا بضوضاء وجلبة عظيمة... وبعد وقت قليل وصل إليَّ وحش عظيم تمشي وراءه وحوش الصحراء على اختلاف أنواعها فسألني عن نفسه

من أنا؟

فقلت له: أنت الوحش الكاسر والعدو الغادر

سألني: ما لباسي؟

قلت: الصوف

قال: وما ومظهري؟

قلت: مظهر الخروف

قال: وجندي؟

قلت: وحوش أنذال وهم ملفقون من السهول والجبال.

أخذت بنت الجيران هذه المعلومات الغير صحيحة..

وفي ذات ليلة من الليالي سلت نفسها من بين أفراد عائلتها وكانت قد أعدت زنبيلا فأخذته وسارت في جنح الظلام إلى الصحراء..

مشت كثيرا حتى تعبت.. جلست على الأرض ووضعت نفسها داخل الزنبيل.. ولم يكد ينتصف الليل حتى سمعت ضجيجا وجلبة عظيمة آتية من ناحية الجبال..

أحست كان الأرض تهتز تحتها فعلمت بقرب الوحش وجنوده وأعدت الأجوبة التي كانت قد حفظتها خطأ.

وقف الوحش على رأسها وسألها:

من أنت

أنا... أنا

قاطعها الوحش وقال لها: من أنا؟

قالت: الوحش الكاسر والعدو الغادر

قال: وما لباسي؟

قالت: الصوف

قال: ومظهري؟

قالت: مثل الخروف

قال: وجندي

قالت: وحوش أنذال وهم ملفقون من السهول والجبال.

كان الوحش ينخر من الغضب وهو يستمع إلى أجوبتها فقال لجنده: مزقوها إربا إربا.

فانقضت عليها الوحوش من كل جانب ومزقوها شر ممزق ولم يبق إلا ثيابها وزنبيلها أما جسمها.. ثم أكلتها الوحوش

وأصبح الصباح وبحثت العائلة عن ابنتها فلم تجدها..

وشاع خبر هروب الفتاة.. كثرت الإشاعات والأقاويل حول هذا الهرب

قالوا: هربت مع حبيب كانت تعشقه بالسر

قالوا: خطبها احد الشباب ولم يوافق أهلها من الزواج به فهربت معه

قالوا: سئمت الحياة وهربت على وجهها لا تعرف إلى أين؟

قالوا: لقد غرر بها أحد الشباب فقررت الهرب قبل افتضاح أمر حملها.

وقالوا وقالوا ولم يعلموا أنها جرت طامعة فلقت جزاء ضحية الجشع مع أن أهلها كانوا من الأغنياء.

12 ـ النداهة (أسطورة من مصر)

إنها قصة شابة حسناء تسير في الحقول ليلا تنادي الشباب. الذكور طبعا. كي يلحقوا بها.. ويهرع الشباب إلى أحضانها، وهنا تتحول إلى حقيقتها.. غول مرعب شرس يفترس الفتى فلا يسمع عنه احد شيئًا بعدها.

وكانت الأمهات اللواتي فقدن أولادهن الشباب يرددن بحزن ذلك الموال:

فين الولد يامه؟	قالت نسي أهله
فات البلد لما	الغوله نادت له

***

فين الولد يا اولاد	قالوا الولد مسحور
سافر وراها بلاد	وادي السنين بتدور

صاحت المرأة: لقد ضاع رجلي!... لقد انتهى أمري.. يا ليته ما خرج.. يا ليته ما سمعها!

ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

ثم شرعت في هيستريا تسبه على حماقته وتسب الظروف التي جعلته ضحية النداهة.. ثم تسب النداهة..

النداهة أسطورة مرعبة تذكرني (برحلة أوليس أو (اوديسيوس) بطل ملحمتي هوميروس (الإلياذة والأوديسة) اللتين تتحدثان عن حربه في طرواده ثم عودته الشاقة إلى زوجته المخلصة (بنيلوبي) حين كان عليه المرور أمام صخرة عرائس البحر اللواتي يفتن عناؤهن البحارة فيرمون بأنفسهم في الماء ليغرقوا..

اضطر أوليس إلى تقييد نفسه ورفاقه بالسلاسل إلى صواري السفينة

حتى لا يلبوا نداء عرائس البحر الفاتنات..

ما هي النداهة؟

النداهة هي أحد الشخصيات المرعبة في الأدب الشعبي المصري وهي كما يجمع من وصفوها غولة تتنكر في شكل أنثى حسناء.. تتجول ليلا في الحقول المظلمة وتنادي شابا بعينه باسمه مرارا وما أن يسمع الفتى حتى يهرع للحاق بها على الرغم من أهله فإذا ما لاقى الفتاة وارتمى في أحضانها تحولت لغول ضخم يلتهمه حتى العظام.

توجد شواهد عدة على وجود كائن له هذه المواصفات..

محمد أمين فلاح عمره خمسون عاما شاهد في حقله ليلا امرأة طويلة القامة تسير في تؤدة وتنادي (زغبي.. زغبي) وهو يقسم أنها كانت تشع بلون أخضر مخيف.

السيد الشرقاوي ـ بقال القرية في أثناء عودته ليلا لبيته جوار الترعة شاهد فتاة حسناء تمشي فوق مياه الترعة ولا تغرق.

أحمد عباس ـ فلاح ـ سمع صوت نداء امرأة يردد: إبراهيم.. إبراهيم فهرع ليرى ما هناك وجد امرأة واقفة في الحقل لوحدها.. اتجه ليسألها عما تريده من إبراهيم. استدارت له ببطء

يقول احمد: لم أر أجمل وجه رأيته في حياتي ولكن حدقتيها كانتا حمراوين بلون الدم وقد أغشى عليه.

الطفل صبحي محمود 9 سنوات ـ شاهد امرأة تعبر حقل أبيه ليلا في ضوء القمر دون أن تترك ظلا.

إما الدكتور عاصم الذي لم يكن يصدق هذا التراهات فيقول:

لمحت شيئا ما.. لفت وجهي في بطء تجاه هذا الشيء فلمحت ما يشبه

فتاة طويلة مسربلة بثوب طويل أسود تسير في تؤدة على بعد خمسة أمتار مني في خفة كأنها تسري ولا تمشي لا يوجد أي نوع من الانبعاج تحت ثوبها يوحي بحركة القدمين.

لم تدر وجهها لي كأنها لا تراني أساسا.. وفي هذا الظلام لم أكن لأراها حتى لو نظرت لي أحسست بعمودي الفقري يتجمد وقلبي يكاد يثب في حلقي.. إنها تنظر إلى دار رضا

هالة الضوء الأخضر تحيط بها.. كأنها تشع هذا اللون من الداخل من تحت ثوبها.. توقفت الفتاة وقامتها منتصبة وصدرها يعلو ويهبط.. ثم رفعت عقيرتها بالنداء وهي تنظر للأعلى كذئب يعوي أمام قرص القمر: رضاااااه.. رضاااااه.

ولما أحست بي استدارت نحوي.. لم أتخيل قط وجها مريعا كهذا الوجه.. وجه شاحب كالموت.. عينان عميقتان حدقتاهما حمراوان بلون الدم.. شفتان مشققتان خصلات شعرها سوداء فاحمة مصففة بعناية، وعنقها طويل شامخ.. شامة كبيرة زرقاء على الخد الأيسر.

صرخت.. اختفت.. ومن بعيد كنت أسمع صوتها يردد: رضاااااه.

وهكذا سيطر خيال النداهة تلك الأسطورة على عقول الناس فأخذوا يتصورونها حقيقة واقعة.. ومع هذا فقد بقيت أساسا من الأساطير الشعبية العالقة في الأذهان والمرسومة في الأدب ما زالت.

***

13 ـ سيف القاتل (أسطورة يمنية)

عاش في قديم الزمان رجل فقير يعمل خياطا يدعى حسن سيف، عرف بالبلاهة والخوف، ودأب على الخروج يوميا من بيته إلى دكانه في انتظار زبائنه إلا أن الحظ كان يعاكسه وقل أن يطرق بابه زبون.

أخذت الأيام تمر عليه طوالاً، لا يجد ما يقتل به وقته ويملأ فراغه وإذا عاد إلى بيته مبكرا تسأله زوجته عن حصيلة يومه فلا يجد ما يقدمه لها أو يرد عليها، حتى أخذت زوجته تفقد ثقتها به واحترامها له يوما بعد يوم، وبدأت تضعف أمام إغراء أحد الجيران الذي راح يبثها غرامه لتلتقي به ما بين وقت وآخر.

وبينما كان ذات يوم جالسا كعادته في الدكان شاهد الذباب يتساقط على الأرض ويتجمع حول قطرات من الحليب ويتزاحم عليها ويتنقل من جهة إلى أخرى، فعمد إلى صب بعض الحليب على الأرض ليرى كم سيتساقط عليه وأي معارك ستدور بين الذباب، وبقي يراقبها ويتفرج عليها وهي تتهافت عليه.

خطرت له فكرة التسلي بقتل الذباب المتجمع حول الحليب، فأخذ يضربه بكفه، أو يطبق عليه بقبضته أو يضربه بعصاه كلما حاول السقوط حول الحليب، ارتاحت نفسه لهذا العمل الذي ملأ فراغه، واعتبر نفسه في حرب مع الذباب، فأحضر قطعة خشب وراح يعمل بمطواة (سكين) فيها، يشكلها ويمثلها حتى غدت على هيئة سيف، فأخذ يمسك به من قبضته متخيلا ضحايا سيفه البتار، وما يتحرك ولا يقوى على الطيران من الأسرى، وما طار يعتبرهم جبناء فروا من المعركة، بقي في معركته مع الذباب إلى أن آن أوان إغلاق الدكان فقام بإحصاء الذباب الذي قتله بسيفه قبل أن يعود إلى

البيت ليواجه زوجته بشجاعة عندما تسأله عن حصيلة يومه، وما أن دخل باب بيته حتى بادرته متسائلة:

ماذا رجعت لنا اليوم؟

ما أن سمع سؤالها حتى أخذ يتمشى أمامها ويستعرض عضلاته ويفرك كفيه وهو يجيبها:

اليوم قتلت عشرين، وجرحت عشرة، وهرب عشرون.. ويعلم الله من الذي سيكون من معركة الغد.

سمعت زوجته إجابته فلاحظت الجدية عليه فأكبرته وبدأت تستعيد ثقتها به وتخشى بطشه إذا عرف علاقتها الغرامية مع جارها، وهي لا تعرف أي معركة خاضها ولا أي قتلى وأسرى يتحدث عنهم، وقررت تحذير عشيقها من غضب زوجها ونقمته فقالت له عندما جاء لمقابلتها:

حسن أصبح رجلا شجاعا، وأخشى أن يكتشف علاقتنا والأحسن أن تبتعد عني.

حاول العاشق أن يسخر من كلامها خاصة والجميع يعرفون أن زوجها يخاف من ظله (غومته) فمن أين واتته الشجاعة، إلا أنها سردت عليه التحول الذي طرأ عليه وثقته بنفسه، والقتلى والجرحى، فلاحظ الجدية في حديثها وداهمه شعور بالخوف من (حسن سيف) فانصرف من عندها وهو لا يصدق ما سمع فقرر أن يعاود زيارتها مرة ثانية.

في اليوم التالي ذهب حسن كعادته إلى دكانه وبعد أن شرب كأس الحليب أراق ما بقى منه على الأرض، وأمسك بمقبض سيفه وبقى يراقب تساقط الذباب ليدخل في معركته، ما إن بدأ في التهافت على قطرات الحليب حتى

راح يضربها بسيفه الخشبي فقتل بعضها وتطاير البعض ليعاود السقوط من جديد ليتلقى الضربات من (سيف حسن) وعندما آن أوان عودته أخذ يحصى ما قتل وما جرح من الذباب وانصرف عائدا إلى البيت فسألته زوجته:

بماذا رجعت لنا اليوم؟

سمع سؤالها فأظهر من الشجاعة أكثر مما أبداه في اليوم السابق وراح يستعرض عضلاته وهو يجيبها:

اليوم قتلت ثلاثين جرحت خمسة عشر، وهرب أربعون.

سمعت إجابته فتضخمت صورته أمامها وزاد إكبارها لشجاعته، فلم تطالبه بشيء من حاجياتها اليومية، وعندما جاء عشيقها لمقابلتها أوصدت الباب في وجهه وهي تقول له محذرة:

حسن قتل اليوم ثلاثين وأسر وجرح خمسة عشر، وهرب أربعون، فلا تحاول الاتصال بي بعد اليوم.

استجاب لتحذيرها ونصيحتها فقطع صلته بها، وبقيت هي تحصي بطولات زوجها وتنتظر ثمارها، وبقى حسن يخوض معاركه اليومية مع الذباب يحصى القتلى والجرحى والهاربين ويوازن بين أرقامها حتى بلغ مجموع ما قتله ألف ذبابة، وما جرحه منها ألف، وما طار ألفا، فقرر أن يهجر دكانه ويشهر نفسه ويعلن عن بطولته وشجاعته، فكتب على جانبي سيفه الخشبي هذه العبارة: (هذا سيف حسن سيف، قاتل ألف وآسر ألف، وألف هربوا من جهة) وعلقه على كتفه وراح يسير به في الأسواق والطرقات إلى أن وصل إلى قرية ودخل مسجدها ليصلي فأسند سيفه إلى جدار المسجد فراح الناس يقرؤون ما كتب عليه وينظرون إلى حسن ويبتعدون عنه، وبعد الصلاة انصرفوا إلى حفلة عرس دعى إليها السلطان فانصرف حسن معهم، الناس

يقرؤون ما كتب على سيفه دون أن يعرفوا معدنه.

كان السلطان يومها يعيش أزمتين حرمتاه المنام وزعزعتا عرشه، ولم يجد من يستعين به أو من يخلصه منهما، الأولى (طاهش) يتربص خارج المدينة عند كل مساء ليفترس من يحاول الدخول أو الخروج إليها، والثانية تمرد (الشيخ شوقع) الذي دأب يخوفه بشده بأسه وكثرة رجاله، عندما حضر إلى حفلة العرس وشاهد حسن سيف متقلدا سيفه قرأ ما كتب على صفحته فملأ السرور نفسه وزالت منه كآبته، وأيقن أنه وجد البطل الذي يبحث عنه ويستعين به، وقرر أن يستعين به في قتل الطاهش ومحاربة الشيخ شوقع فاستدعاه وقال له:

إذا قتلت الطاهش الذي يخوف المارة ليلا عند باب المدينة وإذا تغلبت على الشيخ شوقع سأعطيك ما تطلب وسأزوجك ابنتي.

استمع إليه حسن وأبدى استعداده وموافقته وعاد إلى بيته والخوف يملأ نفسه، وأخبر زوجته بما كلفه به السلطان وأمرها أن تملأ (مخلاة) البغلة بالشعير، وتزوده ببعض الخبز استعدادا لخروجه لملاقاة الطاهش، فعمدت زوجته إلى (المخئلة) ملأتها (مسكرة) وحطت فيها بعض أقراص الشعير وربطتها وراء سرج البغلة، وعندما أوشكت الشمس على الغروب ركب حسن سيف على البغلة وسافر إلى خارج المدينة وتوقف في المكان الذي يتربص فيه الطاهش، فترجل من فوق البغلة وربطها إلى شجرة ونزع السرج منها وترك المخئلة بجانبها، وطلع أعلى الشجرة لينجو بنفسه من الطاهش وربط نفسه إلى أحد فروعها نام غير مبال بشيء.

اقبل الطاهش كعادته ووجد البغلة مربوطة إلى الشجرة فبطش بها وأكل منها ورأى المخلاة وتشمم ما بداخلها والتهم (المسكرة) وأقراص الخبز

المصنوع منها، وعملت المسكرة عملها في رأس الطاهش وتخدر جسمه وبقى في وقفته تلك مكان البغلة التي أكلها، وعندما استيقظ حسن سيف مع أذان الفجر نزل مسرعا من على الشجرة يبحث عن الصرة ووضعه على ظهر الطاهش وشده إلى صدره متوهما أنه يسرج بغلته، وركب عليه وراح يستحثه على السير عائدا إلى المدينة، وعندما وصل ربطه إلى باب بيته ودخل يطلب من زوجته العناية بالبغلة، فخرجت زوجته لتقدم للبغلة العلف والماء، وإذا هي تشاهد نفسها أمام الطاهش المربوط عند الباب ويطأطأ رأسه بذلة وانكسار، فعادت هاربة إلى البيت لتخبر زوجها أنه عاد على ظهر الطاهش وليس على ظهر البغلة.

كان بعض الناس قد شاهد حسن وهو ينزل من على ظهر الطاهش ويربطه إلى جدار البيت فراح ينقل الخبر للآخرين حتى سرى الخبر في المدينة كلها فتجمع الرجال والأطفال عند بيته يشاهدون الطاهش المربوط ويتعجبون من شجاعة حسن، وكيف تمكن من القبض عليه والعودة راكبا عليه، وتطلع حسن بدوره وشاهد الطاهش مربوطا عند بابه وعرف أنه عاد راكبا عليه وليس على البغلة فذابت فرائصه وعاد إلى الداخل وهو يدق صدره بقبضتيه ويندب نفسه ويبكي وهو يقول لزوجته:

لو كان أكلني، كيف ستعملين؟

فأجابته زوجته وهي تطمئنه:

سلم الله.

إلا أنه عاود سؤاله الملح:

ألا قولي لي، لو كان أكلني، كيف ستعملين؟

فتعاود إجابتها:

سلم الله.

استمر، يدق صدره، ويبكي نفسه، ويلح على زوجته بالسؤال وراء السؤال.

قولي لي لو كان أكلني كيف ستعملين؟

وتحاول هي أن تهدئه وتطمنه وتقوله له:

الناس معجبون بشجاعتك، ويقولون إن مكانتك ستعلو عند السلطان، وأنت تبكي على نفسك لو كان أكلك الطاهش سلم الله ونصرك عليه.

لم يقتنع بكلامها، ولم يتوقف عن البكاء على نفسه إلا عندما جاءه رسول السلطان يدعوه لمقابلته، فأخذ يكتم ما يعتمل في نفسه ويستعيد مظهره وحالته الطبيعية، وذهب لمقابلة السلطان الذي استقبله ببشاشة والسرور يبدو على وجهه وصافحه وهو يقول له:

لم يكن أحد يتصور أنك شجاع إلى هذا الحد، فبدلا من أن تقتل الطاهش قبضت عليه وأسرجته وعدت راكبا عليه وربطته بباب بيتك، لقد خلصتنا من خطره، وبقى عليك أن تخلصنا من الشيخ شوقع، وقد أمرت بتجهيز جيش ليكون تحت تصرفك، وأمرت لك بأقوى وأشجع حصان أملكه لتركب عليه.

طأطأ حسن سيف رأسه أمام السلطان وهو لا يدري بماذا يجيبه على ما كاله له في ثناء ومديح على شجاعته التي لم يعرفها وأبدى للسلطان موافقته واستعداده للخروج على رأس جيش لمحاربة الشيخ شوقع، وانصرف من عند السلطان وهو يكتم الخوف الذي اعتراه من الإقدام على المغامرة الثانية.

كان الخبر بأن حسن سيف قبض على الطاهش حيا وربط السرج

عليه وعاد راكبا عليه إلى المدينة قد شاع في البلاد كلها حتى وصل إلى مسامع الشيخ شوقع الذي تعجب من شجاعة حسن سيف وقوته الخارقة، وملأ الخوف نفسه من ملاقاته خاصة وقد وصلت إليه الأخبار أن السلطان سيرسله على رأس جيش إليه ليأتيه به قتيلا أو أسيرا، فأخذ يحسب لملاقاته ودخوله الحرب معه ألف حساب، خاصة وهو يملك سيفا يقتل به ألفا ويأسر به ألفا في اليوم الواحد، وقال يحدث نفسه:

إن الرجل هذه قوته وشجاعته وتلك فعالية سيفه قادر على انتزاع السلطة وحكم البلاد، فكيف أقابل رجلا مثل هذا ولا أجرى التفاهم معه.

عندما انتهى أعوان السلطان من تجهيز الجيش الذي سيتوجه لتأديب الشيخ شوقع استدعوا حسن سيف ليسير في المقدمة وقدم له الحصان الجموح الذي لا يجرؤ أحد على الركوب عليه، قدم له لما أظهره من شجاعة في ركوبه ظهر الطاهش.

وجد حسن نفسه في موقف حرج وخاف أن يفتضح أمره إذا تردد أو رفض الركوب على الحصان، أو رفض الخروج على رأس الحملة، فشعر بعزة وكبرياء وقفز إلى ظهر الحصان وهمزه بقدميه فانطلق الحصان يسابق الريح واندفع الجنود يسوقون خيولهم وراءه يحاولون اللحاق به.

حاول حسن أن يهدئ من سرعة الحصان يشد لجامه ويربت عليه والحصان مستمر في عدوه، وبدأ حسن يفقد توازنه ويتوقع سقوطه من فوق الحصان فتشبث بيديه في مقدمة السرج ومؤخرته، وأغمض عينيه وأخذ يصرخ متسائلا ومستفسرا عن المكان الذي سيقع فيه إذا سقط من فوق الحصان الجموح مرددا في صراخه وتساؤله:

أين شوقع؟ أين شوقع؟

أخذ صوته العالي وصراخه ومناداته أين شوقع يسمع في أواسط الجيش ويمتد نحو الأعداء كلما تقدم في السير.. ولم يخطر في ذهن أحد أنه صراخ خائف يستفسر عن المكان الذي سيقع عليه إذا سقط، فيفسرونه أنه صراخ شجاع يتشوق لملاقاة الشيخ شوقع، ولاستخفافه به قال أين شقع ولم يقل الشيخ شوقع، فراحوا يردون عليه ويحددون له المسافة التي بينهم وبين الشيخ ما بين وقت وآخر بقولهم:

ناصفنا الطريق.

اقترينا منه.

على وشك الوصول إليه.

أما الشيخ شوقع وأعونه الذين سمعوه يصرخ مناديا ـ أين شقع؟ اعتبروا ذلك منتهى السخرية بهم وبالشيخ تهديدا له رأوا أن يسيروا لملاقاته عارضين عليه طاعة السلطان ومسلمين له أنفسهم فخرجوا لملاقاته، وكلما اقتربوا من بعض يسمعون صراخه وتساؤله: أين شوقع أكثر وضوحا فيتضاعف خوف الشيخ منه ويسرعون لملاقاته حتى تلاقا الفريقان، وسدت قوات الشيخ شوقع الطريق على الحصان الجموح الذي يعدو بحسن سيف، وأوقفته ممسكة بلجامه رافعة علامة الاستسلام والطاعة.

عندما شعر حسن سيف بتوقف الحصان فتح عينيه وأدارهما حواليه فشاهد الناس الذين أوقفوه ممسكين به ويسدون الطريق عليه، فرح بنجاته من السقوط وغمره الجميل نحو الذين جنبوه ذلك فقفز من ظهر الحصان ناجيا بنفسه ليعانق الشخص الذي يمسك بلجام الحصان عرفانا بجميله

وصنيعه معه، دون أن يعرف أنه الشيخ شوقع الذي خرج لتأديبه.

توهم الشيخ شوقع ساعتها وهو يرى حسن يترجل ليعانقه أنه يضفى عليه عفو السلطان متجاوزا عن حركة خروجه عن طاعته، فأكبر شهامة السلطان، وكرم حسن سيف الذي استقبله بالعناق الحار بعد صراخه بالتهديد والوعيد فأقام الحفلات ومد الموائد لاستضافة حسن سيف وجنود السلطان الذي معه، فوجد حسن نفسه بعد خوفه من السقوط من ظهر الحصان موضع تكريم في الحفل تقديرا للنصر الذي أحرزه، ومن قبل الشخص الذي خرج لمحاربته فلاذ بالصمت متقبلا الضيافة والحفاوة التي أقامها الشيخ شوقع، وعندما فرغوا من ذلك انصرفوا عائدين نحو المدينة لمقابلة السلطان، وحسن سيف والشيخ شوقع يسيران إلى جانب بعض بعد أن رفض حسن سيف الركوب على الحصان الجموح معتذرا بالسير مع الشيخ شوقع.

عندما وصلوا المدينة استُقبل حسن سيف بالرايات والزينات تكريما لانتصاره ولاقاه السلطان معانقا أنعم عليه بالأموال خلع عليه الحلل وعاش بعدها مع زوجته عيشة لا يكدر صفوها شيء من مطالب الحياة.

***

14ـ سعاد والوحش

يحكى ان تاجرا كبيرا له ابنة اسمها سعاد التي كانت آية في الجمال. وذات يوم بلغه أن جميع سفنه قد غرقت فحزن التاجر كثيرا وساءت حالته وبعد شهور عدة أصبح فقيرا فأنتقل إلى الريف للعيش في كوخ بسيط.

وذات يوم جاءه من يخبره أن إحدى سفنه قد نجت من الغرق وقد وصلت إلى الميناء فكان سروره عظيما.

وقد طلبت منه ابنته عندما أراد الذهاب إلى المدينة ومن ثم للميناء لاستلام بضاعته أن يأتي لها بوردة.

بحث الرجل عن وردة لابنته ولكنه لم يجد أي وردة لأن موسم الورد لم يحن بعد، في طريق عودته وبينما كان يخترق الغابة إلى بيته لمح نورا يظهر من بعيد فسار باتجاهه حتى وصل إليه.

رأى الرجل قصرا كبيرا فدخله فلم يجد فيه أحدا. فتح حجرات القصر الواحدة بعد الأخرى فلم يعثر على أحد.

وفي الصالة الكبيرة وجد مائدة عليها ما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة ولما كان جائعا فقد أكل منها. ولشدة تعبه فقد دخل إحدى الغرف فوجد فراشا فنام عليه حتى الصباح.

وحينما استيقظ وجد طعاما معدا لإفطاره فتناوله.

ونزل إلى الحديقة وأخذ يقطف منها وردا جميلا وجده هناك..

وبينما هو كذلك إذا بوحش هائل الجسم مخيف المنظر نصفه إنسان ونصفه الآخر حيوان يظهر أمامه فجأة وسأله عن سبب قدومه فروى التاجر

للوحش قصته كاملة.

قال الوحش: سأسمح لك بأن تأخذ الورد ولكن بشرط أن تزورني مرة أخرى مع ابنتك فوعده التاجر بذلك، ثم شكره وانصرف.

حين وصل التاجر للبيت قدم الورد لابنته وأخبرها بما مر معه بالتفصيل.

بعد أيام قالت الفتاة لوالدها: يا أبي ينبغي لك أن تفي بوعدك للوحش ويجب أن نزوره.

وافقها أبوها على ما قالته وذهبا إلى القصر الكبير في الغابة فدخلاه فلم يجدا أحدا فيه ووجدا المائدة معدة والفراش مهيأ فأكلا ثم ناما.

وفي الصباح دخل عليهما الوحش وهما في الحديقة ورحب بهما وطلب منهما أن يعيشا معه وأن تقبل الفتاة الزواج منه.

فطلبت منه أن يمهلها شهرا لتعطيه جوابها. على أن يبقيا في قصره خلال هذه الفترة.

مر شهر وجاء الوحش إلى سعاد يسألها عن جوابها والإيفاء بوعدها.

قالت سعاد: لقد كنت كريما معنا رغم كونك وحشا فإنك تتمتع بحميد الخصال وأنا أقبل الزواج منك.

انقلب الوحش إلى أمير جميل الشكل فانحنى لها وقبل يدها وقال لها:

لقد كنت أميرا يا عزيزتي فسحرني ساحر خبيث وجعلني وحشا قبيح المنظر واخبرني بأني سأبقى هكذا حتى تأتي فتاة حسناء وتقبل بي زوجا.

زفت الفتاة الحسناء إلى الأمير وعاشا بسعادة وهناء.

15 ـ قعادة زاج وقعادة زجاج (أسطورة يمنية)

عاشت في قديم الزمان أسرة مكونة من شاب وأخته لوحدهما، عيشة هناء واستقرار، الشاب يسعى وراء عمله والفتاة تقوم بأعمال البيت لا ينغص صفوهما ولا يتدخل في شؤونهما أحد، إلى أن كان ذات يوم عندما أبدى الولد لأخته رغبته في الزواج من إحدى الفتيات ففرحت أخته بذلك وحثته على الإسراع في الزواج، فلم يمانع وزفت (العروسة) إلى البيت لتشاطرهما العيش والاستقرار فيها، وأخته تحيطها بكل عنايتها وتهئ لها أسباب الرعاية والاستقرار، إلا أن زوجة الولد ضاق بها الأمر عندما وجدت أخت زوجها تقيم في نفس البيت فامتلأت نفسها كراهية لها وودت التخلص منها. إلا أنه لم يكن أمامها آن ذاك إلا كتمان ما تضمره ريثما يستقر بها المقام وتتمكن من التأثير على زوجها والاستحواذ على عواطفه لتوقع بينه وبين أخته ليسهل التخلص منها.

أخذت تهتم بزوجها وتبدي له حبها وهيامها وهو يبدى لها حبه وتعلقه بها، وعندما وثقت من مكانتها في نفسه راحت تضايق أخته وتشى بها عنده وتتهمها بالكسل والإهمال وعدم مساعدتها كلما عاد من عمله، وهو يصغى لها ويلتفت نحو أخته ينهرها ويوبخها وهي صامتة لا تدافع عن نفسها ولا تنفي ما ينسب إليها.

غدا هذا الموقف يتكرر يوما وراء يوم، إلا أن زوجته التي لم تكن لترضى بذلك، قالت له:

هذه الفتاة لا تجد معها الملامة ولا يفيد العتاب، الأحسن طردها من البيت.

استنكر ذلك منها وقال يعاتبها:

هل جننت لتقولي اطردها من البيت.

- إلى متى أحتمل كسلها وعنادها.

أيقنت زوجته أن لا فائدة من المحاولة بإقناعه بطرد أخته من البيت إذ لا أهل ولا أقارب لها لتعيش معهم لو ألحت على طردها، وأن السعي لقتلها أيسر من ذلك فبدأت في تغيير أسلوب ولهجة حديثها معه ومن معاملتها لأخته، فلم تعد تبادره بالشكوى والتذمر من أخته وإنما تحدثه حديثا عاديا عنها، وبعدها راحت تخبره أنها تخرج من البيت ما بين حين وآخر وتبدي له قلقها من ذلك، إلى أن كان ذات يوم همست له قائلة:

اليوم عرفت سبب خروج أختك من البيت.

نظر إليها وهز رأسه مستفسرا عن السبب، فأدنت فمها من أذنه وقالت له:

أختك مصاحبة (عاشقة) إنسان غريب تخرج لملاقاته في غيابك وأخشى أن تحمل منه وتسبب لنا فضيحة.

لم يصدقها زوجها أول الأمر وصرف ذهنه عن قولها، إلا أنها راحت تعيد عليه قول ذلك يوما وراء يوم وتجسد له الفضيحة حتى بدأ الشك يساوره من سلوك أخته. ليتقوى شكه مع تكرار أحاديث زوجته، حتى كره أخته وغدا يشيح بوجهه عنها كلما وقع نظره عليها.

وكانت أخته في بادئ الأمر تتألم من إصغائه إلى وشايات زوجته وتصديق ما تقوله عنها، ومع ذلك بقيت تشاهد ابتسامته وتلمس حنانه فيخفف ذلك من وقع قسوته وتوبيخه على نفسها، لكنها الآن تجد نفسها محاطة بالكراهية وتعيش في جو معاد لها ولا تعرف له سببا، خاصة وقد اختفت ابتسامة أخيها وغدا يتجنب مشاهدتها وإذا صادف ووقع نظره عليها فبصورة مغضبة كلها

عداء وكراهية فطوت عذاب نفسها بداخلها واستسلمت لقدرها وجسمها بدأ في النحول وشهيتها للأكل كادت تنقطع.

لما لاحظت زوجة أخيها ما آلت إليه صحتها قالت له:

الآن تأكد لي أن أختك حامل.

وكيف عرفت ذلك؟

نحن النساء نعرف ظواهر الحمل وأعراضه، وأختك أخذت تتأفأف الروائح خاصة الأكل. ألا تلاحظها أنها لا تأكل إلا ما يسد رمقها؟

وأضافت تطمئنه:

لا تخشى من ذلك. سأعمل على إجهاضها والتخلص من الجنين، وعليك أنت أن تتدبر أمرها.

صمت زوجها والكآبة تملأ نفسه. وبقي يعيش في هم وخوف من الفضيحة التي ستجرها عليه أخته، إلا أن زوجته راحت تكثر من تطمئنته وتهدئته وتوعده بتجنب الفضيحة بإخراج الجنين من بطن أخته قبل أن يكبر أو يشاع خبرها وذات يوم عمدت إلى عردان (أبو قردان) وسلخت جلده وألقت لحمه في قطعة قماش، وعندما عاد زوجها من عمله حملت العردان المسلوخ وهو ملفوف بالقماش وقالت له:

هذا ثمرة غرامها والحمد لله تخلصنا منه قبل أن يكبر وإلا لكانت الفضيحة بحجم الكارثة.

تناول قطعة اللحم المغلفة بالقماش من يد زوجته يتأملها وحملها إلى خارج القرية يدفنها وعاد إلى البيت يبحث عن أخته وما أن شاهدها حتى عمد إلى خنقها وهي مستسلمة له وعندما لفظت أنفاسها إلى جانب البير في القرية

ودفنها هناك وعاد إلى بيته فاستقبلته زوجته بفرح بعد أن تخلصت من أخته.

ما هي إلا أيام حتى نبت على قبر الفتاة المقتولة شجرة نخل أخذت تنمو وتكبر وتمتد إلى أعلى.

كانت القرية قد اعتادت على التجمع عند البير يغسلن ملابسهن من مائها وبعدها ينشرنهن على الأحجار وعلى جدران القرية القريبة ليجفوا. وإذ بالنخلة ـ بعدما كبرت ـ تحنى لهن ساقها حتى يلامس رأسها الأرض لينشرن الملابس المغسولة على سعاف جريدها، وتبقى منحنية حتى تجف الملابس وتأخذها النساء وبعدها ترفع رأسها وتقيم ساقها وتعود إلى طبيعتها.

استمرت النخلة تحني ساقها للنساء لينشرن الملابس على سعاف جريدها يوميا حتى كان ذات يوم عندما جاءت زوجة أخيها تغسل ملابسها وملابس زوجها فشعرت بخلوتها وأمانها فنزعت ما عليها من ملابس وغسلتهم وعندما انتهت أحنت النخلة لها ساقها حتى لامس رأسها الأرض فنشرت عليها ملابسها وإذا بالنخلة تقيم ساقها وترفع رأسها بما عليها من ملابس على غير عادتها، وبقيت المرأة شبة عارية تحتها منتظرة أن تحني النخلة ساقها مرة ثانية لتأخذ ملابسها، ولكن النخلة بقيت منتصبة والملابس على رأسها والمرأة عارية تحتها عرضة لعيون المارة لا تجد ما تستر به عورتها.

بلغ الخبر زوجها فأتى لمساعدتها ولأخذ ملابسها من فوق النخلة، إلا أنه لم يتمكن من ذلك. وجاء بمنشار أخذ ينشر به جذع النخلة ليقطعها، فأرسلت أنينا موجعا وقالت له:

مو تنشر يا نشار، تنشر كعوبي بالمنشار.

سمعها وتوقف عن نشرها، وراح يبحث عن شخص آخر يتولى قطعها

بأجرته، وما أن بدأ يحرك المنشار ليقطعها حتى سمع أنينها وهي تخاطبه:

مو تنشر يا نشار، تنشر كعوبي بالمنشار.

سمعها فتوقف عن قطعها وهو يقول:

هذه مش نخلة يعلم الله ايش هي جنية أو إنسية.

استعان الرجل بشخص آخر لقطع النخلة، وما أن شرع بذلك حتى سمعها تقول له:

آلمتني يا نشار تنشر كعوبي بالمنشار.

فألقى بالمنشار وفر هاربا من الخوف.

استعان بثالث ورابع لقطعها، وكلما هم أحدهم بذلك سمع أنينها وكلامها وكف عن ذلك نادما على ما بدر منه. فلم يجد بدا من الاستعانة برجل أصم وأبكم ليقطعها، فراح ينشرها وهي تئن وتسائله وتعاتبه وهو لا يسمعها حتى قطعها وهوت على الأرض فأخذا ملابسهما وانصرفا عائدين إلى البيت.

مرت امرأة عجوز فقيرة من جيرانهم بجانب النخلة المقطوعة تجمع عيدان الحطب من الطريق في زنبيل تحمله فوق رأسها، فشاهدت في قلب النخلة حبة بلح ناضجة كانت هي كل ثمرها فقطفتها ووضعتها في الزنبيل واستمرت تواصل سيرها تجمع عيدان الحطب، إلا أنها بدأت تحس بالزنبيل يثقل فوق رأسها وكلما سارت ازداد ثقلا مع أنها لم تجمع فيه شيئاً كثيرا من الحطب، فحطته من فوق رأسها ونظرت إلى داخله لتتعرف على سبب ثقله، فوجدت حبة البلح تكبر بسرعة داخل الزنبيل مسببة ذلك الثقل، فأعادت حمله وواصلت سيرها وهي تتعجب من ذلك. ولما وصلت البيت غطتها بخرقة قماش لترى ماذا سيكون من أمرها، ومرت الأيام وحبة البلح تكبر وتتضخم وعندما توقف

نموها ويبست تشققت وخرجت منها طفلة صغيرة وجميلة فرحت بها العجوز التي عاشت حياتها وحيدة لا يؤنس وحدتها أحد من الأهل أو الأقارب، واعتبرتها ابنتها وراحت تربيها وتعتني بها، وهي تنمو وتكبر وتزداد ملاحة، وعندما غدت فتاة شابة تولت أعمال البيت بمفردها وركنت لعجوز إلى الراحة والرضا يملأ نفسها، إلا أنه مع الأيام أخذ الخوف يساورها من أن تفارقها الفتاة في يوم من الأيام وترجع هي إلى وحدتها وسابق حياتها فعملت على تشديد حراستها عليها وحرصت على إبقائها في البيت لتخفيها عن عيون الناس لكي لا يتعرف عليها أحدهم فيكون سبباً في فراقها.. ولكن صادف ذات يوم طلوع الفتاة إلى سطح بيت العجوز في وقت كان أخوها يطل فيه من نافذة بيته القريبة من بيت العجوز فوقع نظره عليها فأعجب بجمالها، وقال لعلها فتاة زائرة لبيت العجوز.. ولكن كيف يمكن أن تكون زائرة لبيت، صاحبته غائبة عنه ولا يمكن أن تكون ابنتها لأنها كما نعرفها تعيش وحيدة بدون أبناء، فقرر أن يركز اهتمامه على بيت العجوز ومراقبة الفتاة ليتأكد من حقيقتها وهل هي زائرة للبيت أو مقيمة فيه، ومن هم أهلها ليخطبها منهم، تكرر طلوع الفتاة إلى السطح وتكرر وقع نظر أخيها عليها فاتضح له أن الفتاة مقيمة فيه ولا تغادره أبدا فقرر أن يفاتح العجوز في أمرها، فلما التقى بها في الطريق سلم عليها واطمأن على صحتها وهي تجيبه بحمد الله وشكره وبعدها قال لها:

من يوم وقعت عيني على ابنتك ولا غمض لي جفن تعلقت بها نفسي وغدوت لا أقوى على فراقها وأريد منك أن تزوجيني بها واطلبي من المهر ما أردت.

انزعجت العجوز لمعرفته بوجود الفتاة في بيتها إلا أنها ضبطت أعصابها وأجابته منكرة ومستغربة:

أتسخر مني بكلامك هذا؟ تطلب مني أن أزوجك ابنتي؟ ومتى كان لدى أبناء أو بنات.. لو كان لي أبناء أو بنات لساعدوني وأعانوني ولجلست في بيتي بدلا من السير في الطرقات أتسول وأجمع عيدان الحطب.. كيف تسألني هذا السؤال وأنت تعرف أني أعيش لوحدى.

أثرت عليه بلهجتها خاصة وهو على معرفة بحالتها فلم يشأ ساعدتها أن يدخل في جدال وتحد معها من أول يوم يفاجئها فيه بمعرفته بوجود فتاة في بيتها وبحبه لها فلاذ بالصمت وترك العجوز تسير في سبيلها وهي موقنة أن أمر الفتاة غدا معروفا ولم يعد سرا وانصرف لحاله وحواسه ومشاعره مشدودة نحو الفتاة التي بقى يراقبها من نافذة بيته كلما طلعت سطح البيت ليزداد تعلقا بها وإصرارا على الزواج منها، أخذ يستوقف العجوز يوما وراء يوم ويكرر لها طلبه في الزواج من الفتاة، وهي تكرر له نكرانها، ويعود ويدخل في تحد معها عن وجود الفتاة وهي ترفض تحديه إلا أنه ضيق عليها الخناق ذات يوم وقال لها:

إني أشاهد الفتاة باستمرار من نافذة بيتي ومتأكد من وجودها في بيتك وإذا كنت تريدين أن أكذب نفسي وأصدقك دعيني أفتش البيت بنفسي.

ابتسمت له العجوز (التي كانت قد أخذت حيطتها وأخفت الفتاة في حصير طوته وركزته في زاوية البيت) وقالت له:

البيت بيتك فتشه كما تريد.

أخذ الرجل يفتش زوايا البيت زاوية بعد أخرى حتى وصل إلى الحصير المطوي وهزه بيده فألقاه ثقيلا، فتناوله بكلتا يديه من الزاوية ووضعه برفق على الأرض وراح ينشره في القاعة لتخرج منه الفتاة فأوقفها في مواجهة العجوز وهو يقول لها:

ها هى وجدتها.

وجدت العجوز أنه لا مفر لها من مفارقة الفتاة فقررت المباعدة والمغالاة في المهر لعله يعجز عن ذلك فأجابته قائلة:

أريد منك كيس ذهب وكيس فضة مهراً لها.

لك ما تطلبين.

التفتت الفتاة نحو العجوز لتقول لها:

هذه مطالبك وحدك وأنا لي مطالبي ولن أتزوجه إلا إذا حققها. سألها مستوضحا.

ماذا تطلبين أنت؟

أطلب قعادة زاج وقعادة زجاج لننام عليهما ولن أتزوجك بدونهما.

لك ما تطلبين.

انصرف ليحضر للعجوز أكياس الذهب والفضة التي طلبتها، وليجهز لغرفة نوم الفتاة سريراً من زاج وسريراً من زجاج. وبعدها حددوا يوم الزفاف وزفت له الفتاة في اليوم المعين.

دخل العروسان غرفة النوم وقعد كل واحد منهما على سرير وعندما هم الاقتراب منها تكلم السرير الذي تحته قائلا:

قعادة زاج وقعادة زجاج.

وإذا بالسرير الآخر يجيبه متسائلاً:

كيف يصح بين الإخوة زواج؟

لم تلق الفتاة اهتماما لما سمعت أما هو فقد تسمر في مكانه يبحث عن تفسير لما سمع، ولما لم يهتد إلى شيء حاول الاقتراب من زوجته مرة

ثانية وإذا بالسرير يعيد قوله:

قعادة زاج وقعادة زجاج.

فأجابه الثاني:

كيف يجوز بين الإخوة زواج.

تراجع الرجل مرة ثانية يعاود التفكير دون أن يهتدي إلى شيء. استمر السريران يكرران حوارهما كلما هم الرجل الاقتراب من زوجته وفي الأخير قال لنفسه، لابد وأن هناك أمرا وراء نطق السريرين وحوارهما يكمن في حياة هذه الفتاة التي ظهرت فجأة في بيت العجوز ولابد لي من معرفته، فقال يخاطبها:

أقسم لك بالله، ولك عهده وميثاقه إني لن أقربك ولن أعاملك كزوجة أبدا، وكل ما أرجوه هو أن أعرف حقيقتك وأسمع قصتك.

أخذت الفتاة تروي له قصتها من البداية وتروي له معاملة زوجة أخيها لها واتهامها بالزنا واستدلالها (بعرادن) مخلوس حتى أوغرت صدر أخيها فقتلها ودفنها بجانب البير إلى آخر قصتها. كانت تتكلم وهو مصغ لها فأيقن أنها أخته التي كادت لها زوجته عنده وتسببت في قتلها، فندم على ما بدر منه نحوها، فاقترب منها يضمها إلى صدره وهو يقول لها:

سامحيني فأنا هو أخوك، صدقت وشايات زوجتي ضدك وصنعت بك ما صنعت ابتسمت له أخته وهي تبادله القبل، وطلق الرجل زوجته وبقى يعيش مع أخته كما كانا يعيشان من قبل.

***

16 ـ بنت الرمانة (أسطورة من الكويت)

كان هناك زوجة شيخ عاقر (ما تحبل) نذرت إن كان الله تعالى أراد وحملت ويابت (جابت) ولداً تترس (تملأ) وادي عسل ووادي دهن.

حملت هذه المرأة بقدرة الله تعالى ويابت ولد وعقب (وبعد) ما كبر الولد وصار ريّال (رجل) ترست وادي عسل ووادي دهن.

أخذ الناس والفقراء يأخذون من الواديين ما يكيفهم. ما عدا امرأة عيوز (عجوز) وصلت متأخرة فلم تجد شيئاً.

قال لها ابن الشيخ: روحي منا (اذهبي من هنا). ولشطها (ضربها) بالعكال (العقال) قالت له: روح (اذهب) ان شاء الله تأخذ (تتزوج) بنت الرمانة. سألها: وين (أين) بنت الرمانة؟

قالت: بنت الرمانة ورا (وراء) صحور (صحارى) وبحور (بحار) ويبلل (جبال) اخذ ابن الشيخ حصانه وأمتطاه وأخذ معه زاده (أكله) وودع أهله ورحل.

وصل ابن الشيخ إلى بلاد فشاف (رأى) امرأة تطحن وديودها (جمع ديد وهو الثدي) وراءها.

جاء ابن الشيخ من وراءها ورضع من ديدها

قالت له: لو ما رضعت من ديدي وكنت وليدي (ولدي) لأسوي لحمك لقمة ودمك يغمه (رشفه)

سألها: وين ألقى بنت الرمانة؟

قالت: راح تلقى مرة (امرأة) تخبز وديودها وراها. ارضع من ديودها واسألها تدليك (تدلك) على الطريج (الطريق).

لما وصل إلى المرأة التي تخبز وديودها وراها جاء من وراءها ورضع

من ديودها فقالت له: لو ما رضعت من ديدي وكنت وليدي لأسوي لحمك لقمة ودمك يغمه وعظامك مساويك من جمعة إلى جمعة.

أين بنت الرمانة ألاقيها.

قالت: تروح لين (إلى) توصل إلى امرأة تخيط ملابسها وديودها وراءها ارضع منها وأسألها عن الطريج

لما وصل إلى المرأة التي تخيط رضع من ديودها، فقالت له ما قالته سابقتاها.

سألها: وين بنت الرمانة؟

قالت: بنت الرمانة في بيت العفريت فوق اليبل (الجبل) هسّه (الآن) أخبيك (أخبئك) عن عيالي (أولادي) لا يشوفونك.

الأولاد شمّوا ريحة ابن الشيخ وسألوا أمهم فقالت لهم: إنه أخوكم راضع من ديدي.

أخرجت ابن الشيخ وسلم عليهم وسلموا عليه.

قال: أريد بنت الرمانة

الأخ العود (الكبير) حمل ابن الشيخ على ظهره وطار فيه. وبعد ذلك طار به الأخ الثاني وبعد ذلك طار به الأخ الثالث ووصاه: إذا شفت العفريت مفتح عيونه ترا (ترى) انه نائم وإذا مغمض يعني صاحي وتلقى رمانة داخل البيت اقطفها وتعال بسرعة.

ابن الشيخ ذهب فوجد العفريت نائماً فدخل وقطف رمانة وعاد بها بسرعة، وصل ابن الشيخ إلى مزرعته وفتح الرمانة فظهرت له بنت جميلة رزينة.

قال لها: سأذهب لأهلي وأناديهم انتظريني هنا.

كانت بنت الفلاح الذي يعمل بمزرعة الشيخ تسمع ما دار بينهما ولما

ذهب جاءت إليها وقالت لها: تعاي أروايج (أريك) المزرعة.

وعند وقفت معها عند بئر الماء دفعتها فسقطت بداخلها.

لما جاء ابن الشيخ وجد بنت الفلاح بمكانها فقال لها: من أنت؟

قالت: أنا رمانة والهوا غيرني.

اعتذر منها وذهب بها مع أهله وأصحابه وتزوجها.

بعد مدة رمانة أصبحت جذع نخلة رآها ابن الشيخ وسواها باب كبير في بيته وكانت بنت الفلاح كلما تريد الخروج من الباب ينسد عليها فطلبت من زوجها أن يحرق الباب فحرقه ورماه عند باب البيت فمطرت الدنيا واستوت شجرة رمانة بدل الرماد وكبرت.

وكان ابن الشيخ كل يوم يقعد مع زوجته الصبح يلقون البيت مكنوس مرشوش والطبخ جاهز.

في يوم ابن الشيخ مار فرأى العجوز ومعها رمانة فعرف أن التي تزوجها ليست رمانة.

ولما جاءت رمانة وعرف القصة منها جعل بنت الفلاح دوسة عند الباب كلما يطلعون ويدخلون يدوسون عليها.

ورحنا عنهم واجينا حتى شيء ما عطونا.

***

17 ـ السلحفاة وإناء الطعام المحرم (أسطورة من الصومال)

اجتاح الضيق زوج السلحفاة لعقم زوجته فذهب إلى أحد الشيوخ يطلب نصيحته ويرجوه أن يعطيه بعض الدواء.

وعده الشيخ بالمساعدة ولذلك أعد له شيئا في هيئة طعام ووضعه له في إناء صغير.

قال الشيخ: هذا الدواء لا يخيب أبدا في علاج العقم.. يجب عليك أن لا تفتح هذا الإناء بل أعطه إلى زوجتك وقل لها أن تأكله ولا تبقى منه شيئا.

امسك الزوج بالإناء الصغير وعاد فرحا مسرورا إلى زوجته..

وبينما كان في طريقه إلى البيت فاحت رائحة الطعام فقال لنفسه:

لا أعتقد أن مثل هذه الرائحة أن تخرج من هذا الدواء؟

أخذ يشم هنا وهناك.. ولكنه لم يهتد لمصدر تلك الرائحة مع أنه يشعر إنها قريبة منه.

وضع الإناء الصغير على الأرض واكتشف أن الرائحة كانت منبعثة من الطعام الذي بداخل الإناء الذي كان يحمله لزوجته.

زوج السلحفاة لم يستطع مقاومة إغراء ذلك الطعام المحرم وعدم الإصغاء لأوامر الشيخ..

بدأ الصراع الشديد بينه وبين نفسه وقد خضع أخيرا لسلطان الإغراء بعد أن أقنع نفسه بأنه لو فتح ذلك الإناء لرؤية ما به لن يضيره شيئا.

وعندما فتح الإناء أحس بإغراء شديد كان يدفعه لتذوق ما به من طعام..

كان زوج السلحفاة أيضا يشعر بجوع شديد..

ولذا فقد تذوق الأكل الموجود في الإناء الصغير والذي من المفروض إحضاره لزوجته.

.. بعد أن تناول الطعام أحس أن معدته قد انتفخت بشكل غير عادي..

أحس بخوف شديد.. تملكه الرعب.. الفزع..

ماذا يعمل؟.. ماذا يفعل؟.. لا يدري!!

قرر العودة إلى الشيخ وهناك حكى له القصة من طق طق إلى سلام عليكم ولكن بطريقة معكوسة.

قال الشيخ: ان قراري لا يرد وتعليماتي نهائية لا تنقض.

استعطف زوج السلحفاة قائلا:

ان عصياني لم يكن مقصودا.. لقد تعثرت في قطعة من الحجر وتناثر على جسدي ووضعته مصادفة في فمي.

لم يقتنع الشيخ بهذه الحجة الواهية وقال له:

اذهب فلا مجال في علاجك.

عاد زوج السلحفاة إلى منزله وهو في حالته اليائسة.. ولم يستطع ان يقص لزوجته ما حدث له.. أخذ يتألم بداخله..

وأخيرا مات من الحمل الذي كان يبحث عنه لزوجته.

***

18 ـ الكلبان المسحوران (أسطورة من ليبيا)

أرسل السلطان وزيره ليتفقد أحوال رعيته في إحدى مدن دولته.

وحين وصل الوزير استقبله والي المدينة ورحب به في قصره..

وعند بحث الأمور التي جاء من اجلها اعتذر الوالي وذلك لكثرة مشاغله بأمور الولاية.

في منتصف الليل وبينما كان الوزير يغط في نومه بإحدى غرف القصر أحس بحركة غير اعتيادية خارج غرفته فنهض من فراشه مذعورا واتجه نحو باب الغرفة وفتحه ببطء.. كان من حذره أنه حمل سيفه معه.

رأى الوزير أن الوالي يتجه من غرفته إلى غرفة منزوية وهو يحمل سوطا بيد وطبقا كبيرا مليء بالطعام باليد الأخرى. ثم فتح الوالي باب الغرفة بمفتاح كان معه وإذا فيها كلبان كبيران.

وضع الوالي الطعام جانبا وراح يضرب الكلبين بسوطه الغليظ وهو يقول: هل رضيتما معي لما أصابكما هذا.

وبعد أن ضربهما وضع طبق الطعام إمام الكلبين وبدأ يطعمهما بيديه ويمسح على رأسيهما.

وبعد أن انتهيا من تناول طعامهما قبلهما وأقفل عليهما الباب من جديد وعاد إلى فراشه.

عجب الوزير من أمر الوالي وعاد إلى فراشه يفكر بهذا الأمر الذي شاهده.

وتكرر المشهد أمام الوزير لثلاث ليالي متتالية.. وحكى الوزير للسلطان ما حدث.

طلب السلطان من الوزير العودة فورا إلى نفس الولاية وان يأتي بالوالي ومعه الكلبان.

اعتذر الوزير ولكن لم يفد اعتذاره إلا ان السلطان أصر ان يذهب هو لا غيره.

عندما وصل الوزير للولاية عجب الوالي.. بل تخوف من عودة الوزير وقال في نفسه:

لا بد ان في الأمر شيئا خطيرا.. ربما جاء ليعزلني عن الولاية..

سأل الوالي الوزير عن سبب رجوعه فلم يخف عنه شيئا فأعلمه بما شاهده عندما كان في ضيافته وأنه لم يشأ ان يخفي عن السلطان هذا الأمر مما حدا بالسلطان بأن يأمر بحضور الوالي ومعه الكلبان.

أذعن الوالي لأمر السلطان وسار مع الكلبين بمعية الوزير حتى وصلوا قصر السلطان.

كان السلطان بشوق وتوق لمعرفة هذا السر الذي نقله إليه الوزير.

لذا ما كاد الوالي يستأذن بالجلوس بين يديه حتى سأله ان يروي له قصته مع هذين الكلبين.

راح الوالي يروي قصته على السلطان:

لقد توفي والدي يا مولاي تاركا لي ولأخوي الاثنين ثروة ضخمة.. وقبل أن نقوم بمراسم الدفن جاء أخواي إلي وطلبا أن نقتسم الثروة في الحال.

قلت لهما: دعونا ندفن والدنا ونصبر عدة أيام إذ انه من غير الممكن ان نفكر بالثروة ووالدنا مسجى أمامنا ميت لم يدفن بعد.

إلا إنهما أصرا على اقتسام الثروة في الحال فنزلت عند رغبتهما واقتسمنا الثروة وذهب كل منا إلى حال سبيله.

أنا اشتغلت بالتجارة يا مولاي بينما انفق أخواي مالهما على الأمور الدنيوية الرخيصة.

بعد مدة جاء أخواي إلى وقالا لي: لم يعد لدينا شيء من المال. وطلبا

مني مقاسمتهما ثروتي من جديد.

كنت أحبهما جدا وحتى لا يمدا أيديهما للناس أو للمال الحرام قسمت ثروتي بيننا نحن الثلاثة وشرطت عليهما أن نعمل بالتجارة معا. فقبلا.

ركبنا سفينة شراعية متجهين إلى بغداد وفي الطريق هبت عاصفة هوجاء فقلت لإخوتي: حياتنا أهم من البضاعة التي على السفينة. هلموا ننقذ أنفسنا في هذا الزورق الصغير الموجود على متن السفينة.

رفض أخواي فكرتي وبقيا في السفينة بينما ركبت الزورق الصغير الذي أوصلني إلى شاطئ بلاد لم أعرفها أو أشاهدها سابقا.

نزلت فشاهدت بابا كبيرا يقف على جانبيه رجلان متيبسان فعجبت من أمرهما.. تابعت سيري وإذا بي أمام حية يلاحقها ثعبان كبير يريد التهامها فانتضيت سيفي وقتلت الثعبان.

الحية نظرت لي نظرة شكر كما صور لي وابتعدت هاربة عن المكان.

دخلت المدينة وإذا بي أرى كل سكانها متيبسين وكل في عمله.

وفي سوق الذهب كان الجميع متيبسين لذا رحت أجمع الجواهر والذهب والأقمشة والأمتعة.. أي كل ما خف حمله وغلا ثمنه. وبينما أنا سائر مررت بقصر كبير فسمعت صوتا عذبا يقرأ القرآن.. فدخلت القصر وإذا بي أشاهد الملك وحاشيته وكلهم متيبسون. وإذا بفتاة ترحب بي سألتها عن أحوال هذه المدينة فقالت:

لقد جاءنا نبي يهدينا.. فكذبه أهل المدينة وعصوه وآذوه فجعلهم الله حجارة كل في مكانه عقابا لهم.

قلت لها: وما يبقيك هنا؟

قالت: سآتي معك فحملت مجوهراتها وذهبها وبضائعها مع ما حصلت أنا وحملته ورجعنا إلى المركب وسرنا به نمخر عباب البحر

وفي الطريق عثرت على أخوي في منتصف البحر وقد كاد زورقهما يغرق فأنقذتهما ورفعتهما إلى مركبي وقد علمت أن مركبنا قد غرق بما فيه من بضاعة فطمأنتهم على إننا عندما نصل سنقتسم ما حصلت عليه على ثلاثتنا بالتساوي.

وبينما كنت جالسا على المركب مع الفتاة دفعني أخواي وسط الماء إلا أني شعرت أن يدا تنتشلني ولم أر نفسي إلا في قصر وبجانبي فتاة وسمعتها تقول للملك الذي كنت أقف قبالته: يا أبت أكرم هذا الضيف

ولما سألني عما فعله بي أخواي أنكرت ذلك وقلت له إني لم أكن أجلس جيدا مما جعل المركب يفقد توازنه مما أسقطني في الماء.

الفتاة كانت تعرف ما جرى لي وهي التي أنقذتني من الغرق.

جاءت الفتاة بكأس من الماء وتلت عليه كلمات لم أفهمها ثم سكبته على الأرض وقالت لي: لقد أصبح أخواك كلبين وأقسم قسما لا بعده ولا قبله قسم إن لم تنهض كل منتصف ليلة وتضربهما بالسوط لأعذبنك عذابا شديدا.

ثم وخزتني بعصا كانت معها فإذا بي في قصري وإذا بإخوتي بجانبي وقد مسخا كلبين.

وقد وضعت كل من إخوتي بعد أن أطعمتهما في فراشه.

وفي منتصف الليل استيقظت والفتاة تهزني بعنف وتقول: قم لقد حان وقت ضربك لأخويك بالسوط.

رجوتها توسلت إليها لكنها لم توافق وقالت إن لم تضربهما بعد منتصف كل ليلة لآتين أنا إلى هنا وأعذبك عذابا لم تر أو تسمع بمثله.

وهكذا خفت على نفسي وكنت أنهض في منتصف كل ليلة وأعد لهما طعاما فأضربهما ثم أطعمهما وأواسي جراحهما.

وها أنا يا مولاي بين يديك واستميحك عذرا للقيام بضربهما فقد شارف الوقت على انتصاف الليل.

قال السلطان: كونوا اليوم في ضيافتي ولا تضربهما وإن جاءت الفتاة لتطلب منك أن تضربهما فقل لها: إني ضيف السلطان.

جاءت الفتاة وبيدها سوطها وقالت له: لماذا لم تضربهما؟

قال الوالي: أرجو أن تعفيني هذا اليوم لأننا ضيوف عند السلطان.

قالت الفتاة بعد أن أطرقت برأسها: إذن لابد من استشارة والدي بالأمر.

غابت الفتاة لحظات ثم عادت وقالت لي:

بقسمي الذي لا أول له ولا بعده قسم ما دمتم بضيافة السلطان لن يمس الكلبين أذى ولما علم السلطان بقدوم الفتاة طلبها وقال لها:

- تعالي يا أختاه، قالت: نعم يا نعم الأخ

قال: أبلغي أباك أن السلطان يطلب منه العفو عن الكلبين وإعادتهما إلى طبيعتهما. قالت: سمعا وطاعة. غابت الفتاة لحظات ثم عادت وقالت للسلطان: يبلغك والدي التحية وقد وافق على طلبك وأتت الفتاة بكأس من الماء تلت عليه بعض التعويذات وسكبت الماء على الكلبين، فعادا إلى حقيقتهما وقالت لهما:

إن علمت أنكما قد آذيتما أخوكما لأعيدنكما إلى صورتكما ولا تلومن إلا نفسيكما، ثم التفتت إلى الوالي وقالت له:

هل عرفتني؟

قال: لا والله

قالت: إنني تلك الحية التي أنقذتها من الثعبان وها أنا أرد لك جميلك.

وكان لدى السلطان بنتان فزوجهما الأخوين وجعل الوالي وزيرا له.

***

19ـ التاجر الخبيث (أسطورة من المغرب)

كان يا ما كان في قديم الزمان:

يحكى أن تاجرين ترافقا في سفر إلى بلاد الشام ومع كل منهما طعامه. فلما جاعا قال التاجر الثاني للتاجر الأول:

لماذا لا نتشارك في الطعام

كيف

نأكل طعامك أولاً ومتى جعنا مرة ثانية نأكل طعامي

وافق التاجر الأول ووضع طعامه على الأرض وتناولاه معاً.

وبعد مسيرة طويلة جاعا فقال التاجر الأول للتاجر الثاني:

هيا يا أخي هات طعامك لنتناوله فقد عضنا الجوع

قال التاجر الثاني: ماذا .. أأتركك تتناول طعامي.. هذا مستحيل

قال التاجر الأول: ولكن هكذا كان اتفاقنا.. تأكل معي من طعامي أولاً ثم آكل من طعامك ثانياً.

لم يوافق الثاني على ما قاله صاحبه ولهذا افترقا.

سار التاجر الأول مغيراً اتجاه رحلته إلى العراق ومر بكهف وكان التعب قد أخذ منه مأخذاً فدخل الكهف وهو لا يعرف انه عرين الأسد. ولهذا اختبأ في اليوم التالي إلى أن انصرف الأسد ودخل الكهف ليستريح وفجأة رأى فأراً يخرج من أحد الثقوب وفي فمه دينار ذهبي وضعه على أرض الكهف وعاد إلى جحره ورجع وفي فمه دينار ذهبي وهكذا كان يروح إلى جحره ويعود وفي فمه دينار ذهبي.. حتى أصبح الذهب على شكل كومة.

جمع التاجر ما في أرض الكهف من الذهب وغادر الكهف.

عاد التاجر بعد فترة إلى بلده فالتقى صاحبه التاجر الثاني فسأله هذا عن سر غناه فروى له ما جرى معه في كهف الأسد... وما رآه من ذهب جاء عن طريق فأر في جحر في ذلك الكهف.

التاجر الثاني سال لعابه وعماه طمعه وراح يتوسل إلى صاحبه التاجر الأول أن يدله على مكان ذلك الكهف..

وصل التاجر الثاني إلى مكان الكهف فوجد الذهب مكدسا على الأرض بشكل أكوام فدخل وأخذ يجمع الذهب وانزوى في احد أركان الكهف ينتظر الفأر ليخرج ومعه دينارا ذهبيا آخر.

إلا انه فوجئ بدخول الأسد الذي انقض عليه وافترسه ولهذا ذهب ضحية لطمعه.

***

20ـ شكرا لك (أسطورة من عُمان)

كان الصياد الفقير يصطاد بشبكته في مياه الخليج العربي وإذا به يصطاد سمكة كبيرة من أسماك الهامور.

فرح هذا الصياد بالسمكة وأخذها إلى زوجته وطلب منها طبخها ليأكلاها قائلا:

يا بنت الأوادم الله رزقني ابها لسمجة كومي طبخيها.

قالت الزوجة: ليس ما تعطيها حق الملك بلكن يعطيك حكها هدية أو مكافأة تفيدنا.

الصياد الفقير فرح بفكرة زوجته وذهب بالسمكة إلى الملك.

قال الصياد: سيدي ومولاي أرجو أن تقبل مني هالهدية

الملك قال: شكرا لك أيها الصياد.. شكرا لك

عاد الصياد إلى البيت حزينا فقالت له زوجته:

ليش متكدر.. الملك راح يرسل حقك هدية بعدين!

وبعد أيام اصطاد الصياد الفقير سمكة كبيرة أخرى وجاء بها فرحا إلى زوجته وقال لها:

يا الله يا عزيزتي كومي اطبخي النا هالسمجة!

قالت الزوجة: اذهب بيها للملك هدية وحتى يتذكر الهدية السابقة وراح يعطيك بدل الهدية هديتين.

ذهب الصياد إلى الملك وقال له: سيدي ومولاي أرجو أن تقبل مني هذه السمكة الثانية..

وأكد الصياد: تقبل مني هذه السمكة الثانية

اخذ الملك السمكة من الصياد وقال له: شكرا لك أيها الصياد.

ذهب الصياد إلى القصاب وقال له:

أرسل إلى داري عشر كيلوات من اللحم

ثم ذهب الصياد إلى البقال وأعطاه قائمة طويلة من احتياجاته من الرز والسمنة والبقوليات والسكر والشاي.

ثم ذهب إلى محل الأقمشة حيث طلب منه عدة أنواع من القماش الرجالي والنسائي

ثم ذهب إلى محل بيع الخضروات والفواكه وطلب كل ما تشتهي النفس ويحتاجه البيت ولما وصل إلى البيت جاء وراءه القصاب وأعطاه اللحم وطالبه بالثمن فقال له:

شكرا لك... شكرا لك.

جاء البقال وسلم المواد التي طلبها منه إلى زوجته وطالب بأثمانها فقال له:

شكرا لك... شكرا لك.

ولما جاء صاحب محل الأقمشة وسلم زوجة الصياد قطع القماش المطلوب وطالب الصياد بثمنها فقال له الصياد:

شكرا لك... شكرا لك.

وجاء صاحب محل بيع الخضراوات والفواكه وسلم زوجة الصياد ما طلبه زوجها وعندما طالب بأثمانها قال له:

شكرا لك... شكرا لك.

ذهب الجميع إلى الملك وشكوه له.

أرسل الملك بطلب الصياد فجاءه وسلم عليه قائلا:

السلام عليكم يا سيدي ومولاي.

قال الملك غاضبا: لماذا لم تعط الناس حقوقهم؟

قال الصياد: لقد أعطيتهم كلا حقه.

الملك قال: وماذا أعطيتهم؟

الصياد: لقد أعطيتهم مثل ما أعطتني عندما أهديتك السمكات.

قال الملك: وماذا أعطيتك؟

قال الصياد: في المرتين قلت لي: شكرا لك... شكرا لك.

ضحك الملك حتى استلقى على قفاه وأمر أن تصرف حقوق المطالبين من خزينته الخاصة.

كما أعطى الصياد جائزة كبيرة.

***

21ـ التفاحة الذهبية اللون (أسطورة من البحرين)

كان يا ما كان في سالف العهد والأوان ملك عنده ثلاثة أولاد (محمود) و(محمد) و(أحمد).

في قصر الملك حديقة كبيرة فيها أشجار الفواكه على اختلافها ما خلا شجرة واحدة لا تحمل إلا تفاحة واحدة كل سنة.

كان الملك وزوجته وأولاده الثلاثة يجلسون في شرفة القصر المطلة على الحديقة لا تستهويهم إلا غرابة تلك الشجرة ولا يمتع ناظرهم سوى تلك التفاحة الذهبية الوحيدة المدلاة من أحد أغصان تلك الشجرة.

وفي إحدى الليالي من كل سنة.. وعند نضوج تلك التفاحة الذهبية يأتي عفريت من الجان ويأخذها.

في يوم ما أصيب الملك بمرض في عينيه ذهب بهما وقد عجز العديد من الأطباء على إعادة بصره ولكن دون جدوى.

وقد اهتدى بعض رجالات القصر إلى شيخ فسألوه عن دواء للملك ليعيد إليه بصره، قال الشيخ: ان الموضوع في غاية البساطة.. في حديقة الملك شجرة تفاح تحمل كل عام تفاحة واحدة.. إذا أكل الملك هذه التفاحة ارتد إليه بصره.

انتظر الملك حتى آن نضوج التفاحة فطلب من ابنه الأكبر محمد ان يحرس التفاحة ليلا من العفريت حتى لا يأخذها.

في منتصف الليل غلب محمد النعاس فنام. وما لبث العفريت أن أتى وأخذ التفاحة ثم مضى.

استيقظ محمد في الصباح فوجد أن العفريت قد أخذها فعاد لوالده خائبا.

في العام التالي طلب الملك من ولده الثاني أحمد أن يسهر على الشجرة ويحرس التفاحة من العفريت ولكنه فشل كأخيه محمد فقد غلبه النعاس وجاء العفريت وسرق التفاحة.

وفي العام الثالث طلب الملك من ولده الأصغر (أحمد) أن يحرس التفاحة من العفريت

جرح أحمد يده ووضع الملح على الجرح مما جعله يتألم ولا يستطيع النوم.. وبعد منتصف الليل جاء العفريت ليسرق التفاحة فنهض إليه أحمد وضربه بسيفه فقضى عليه فورا.

حمل أحمد التفاحة في الصباح الباكر وأيقظ والده وأعطاه التفاحة.. أكل الملك التفاحة فأرتد إليه بصره.

وخليتهم وابيت.

***

22ـ السلطان جوهر (أسطورة من السودان)

يحكى أن صيادا وحطابا اتفقا ذات يوم فيما بينهما على أن يتبادلا مهنتيهما فأعطى الحطاب حمله وحبله وفأسه للصياد وأعطى الصياد للحطاب عدة صيده.

تضايقت زوجة الصياد من الجمل لأنه يحتاج إلى طعام وعناية ومالا فقالت لزوجها:

ان هذا الجمل يحتاج إلى طعام وعناية ومالا.

قال: دعي الجمل في الوقت الحاضر إلى نرى له حلا.

في أحد الأيام كانت بنت الصياد تطل على الحظيرة وهي تتأمل الجمل وتتذكر كلام أمها ووالدها فلمحت نورا يشع فنادت والديها ودخلوا للحظيرة فوجدوا الجمل قد باض جوهرة كبيرة لا تقدر بثمن.

تكرر الأمر في اليوم التالي.. والثالث والرابع والخامس والسادس.. الخ وهكذا أصبح الصياد من كبار الأغنياء.

في احد الأيام فوجئ أفراد العائلة بالجمل ينقلب إلى أمير جميل.. تكلم وقال:

أنا السلطان جوهر وقد حولني أحد السحرة إلى جمل.. والآن انفك سحري وعدت إلى طبيعتي والحمد لله.. وأنا أطلب منكم يد ابنتكم هذه.

أقيمت الاحتفالات بزواج السلطان من ابنة الصياد ثم حمل عروسه وطار إلى بلاده حيث أمه الغولة.

الغولة: من هذه الفتاة؟

السلطان: إنها خادمة أتيت بها من بلاد بعيدة وسنأكلها في عيد زواجي

عندما تسمن. راحت الغولة أم السلطان ترهق الفتاة بأعمال البيت وتعطيها ملابس كثيرة كل يوم لتغسلها في مياه النهر القريب وتعطيها قطعة صغيرة من الصابون لا تكفي لغسل ثوب واحد وتطلب منها أن تأتي بالثياب مغسولة ونظيفة وكانت كلما تأخرت ضربتها بالسوط.

وذات مرة كانت تغسل فسقطت قطعة الصابون في الماء.. خافت.. بكت.. وإذا بالسلطان جوهر يقف عند رأسها ويقول لها: لا تخافي (ومسك بالملابس ورماها بالنهر) وقال: يا غسيل انغسل.. يا غسيل انطوي.. يا غسيل انكوي.

وفي اليوم التالي طلبت الغولة من الفتاة أن تكنس البستان طولا وعرضا استعدادا لحفل يقام يوم غد وأعطتها ريشة عصفور لتكنس بها البستان.

وما هي إلا لحظات حتى كان الأمير جوهر عند رأسها وهو يقول: يا هو قش.. يا مطر رش.

وإذا بالبستان نظيفا.

كانت الغولة تعرف أن هذه من أفعال ابنها جوهر لذا قالت لها: احضري لنا غدا علبة الطبول والزمور وإذا لم تعودي بها قتلتك.

بكت الفتاة خائفة مرتجفة فرآها السلطان جوهر وسألها فأعلمته بالأمر فأرشدها إلى ثلاث غولات ليدلنها على مكان العلبة وأوصاها أن تأخذ معها مقصا وقطعة كبيرة من اللبان لتقص شعور الغولات وتطعمهن من اللبان.

ذهبت الفتاة إلى الغولات وقصت شعورهن وأطعمتهن من اللبان فأرشدنها إلى مكان العلبة التي بداخل المغارة.

دخلت الفتاة فوجدت عشبا أمام كلب وعظاما أمام حصان فوضعت كل

منها إلى ما يناسبه من طعام.

شاهدت بابا مفتوحا فأغلقته وآخر مغلقا ففتحته وإذا بغول يفاجئها وأراد ان ينقض عليها فرأت سيفا معلقا على الحائط فتناولته وقتلت الغول.

ثم رأت علبة الطبول والزمور وانصرفت

علمت الغولات الثلاث أن الفتاة قد قتلت أخاهما فهرعن إلى الحصان وطلبن منه اللحاق بها فلم يوافق الحصان.

قلن للكلب: الحقها بسرعة فلم يوافق الكلب

أرادت الفتاة أن تعرف ما بداخل العلبة ففتحتها فخرجت من العلبة الفرق الموسيقية والعساكر وهم يعزفون بالطبول والزمور.. رجتهم الفتاة أن يعودوا ولكنهم كانوا يخرجون ويخرجون ويعزفون وينشدون.

جلست الفتاة تبكي خائفة مرتعبة وإذا بالسلطان جوهر يقف عند رأسها.

قال: يا طبول ارجعي.. يا زمور اسكتي.. يا علبة انغلقي.

فرحت الفتاة وأخذت العلبة إلى سيدتها الغولة وكان أوان الاحتفال قد بدأ.

أخذت الغولة العلبة من الفتاة وقالت لها: سأكلك بعد الاحتفال

خافت الفتاة وارتعبت فسحرها جوهر في أرض مزروعة بالخيار

أتت الغولة واقتطفت خيارة من الأرض وأكلت قطعة منها ورمت بالباقي.

وبعد الاحتفال أعاد جوهر الفتاة إلى طبيعتها فشاهد إحدى أصابعها ناقصة فحملها وحلق بها في السماء هاربا من أمه الغولة.

وحط بها في دار أهلها وبقيا يوما واحدا وبعدها انتقل معها وأمها وأبوها إلى قصره العظيم.

23ـ السمكة الذهبية (أسطورة من الجزائر)

بينما كان احد الصيادين يصطاد في أحد الأنهار حظي بسمكة كبيرة ذهبية اللون.

فرح الصياد كثيرا.. وما كاد يتحرك إلى بيته حتى نطقت السمكة قائلة:

لو تركتني لجعلتك غنيا.

عجب الصياد وقال لها: وكيف ذلك؟

قالت: هذا لا يهمك فقط أريدك أن لا تخبر أحدا بهذا السر.

أعاد الصياد السمكة إلى الماء وذهب إلى بيته القديم فإذا به قد زال وحل محله بيت كبير ضخم.

أخذت زوجته تلح عليه عن سر غناهم لكنه كان يماطلها يتهرب منها وأخيرا وتحت إلحاحها قال لها:

كنت أصطاد فحظيت بسمكة كبيرة ذهبية اللون، فرحت بها.. وما كدت أتحرك متجها للدار حتى نطقت السمكة قائلة:

لو تركتني لجعلتك غنيا.

عجبت منها وقلت لها: وكيف ذلك؟

قالت: هذا لا يهمك فقط أريدك أن لا تخبر أحدا بهذا السر..

وها أنا أبوح لك بالسر تحت إلحاحك المتزايد.

وما كاد يكمل كلامه حتى تحول بيته الكبير الضخم إلى ما كان عليه.. ووجد الصياد وعائلته أنفسهم فقراء محتاجين كما كانوا.

حزن الرجل الصياد وذهب في اليوم الثاني للصيد، مكث طويلا وهو

يطرح شبكته في النهر ولكن بلا جدوى.. ولما أراد سحب شبكته من ماء النهر بعد غياب الشمس ظهرت له داخل الشبكة سمكة كبيرة ذهبية اللون.

فرح الصياد كثيرا ... وما كاد يتحرك إلى بيته حتى نطقت السمكة قائلة:

لو تركتني لجعلتك غنيا.

قال: وكيف ذلك؟

قالت: هذا لا يهمك فقط أريدك أن تحتفظ بالسر ولا تخبر أحدا.

عاد الصياد إلى أهله فوجدهم في دار كبيرة جميلة وأصبحوا من الأغنياء.

بعد أيام أخذت زوجته تلح عليه عن هذه الدار وهذه الثروة ولما لم يستطع إخبارها خيرته بين طلاقها أو إخبارها.

لذا اضطر الصياد المسكين إلى إخبارها بالسر الأمر الذي أضاع الدار والثروة.

وفي المرة الثالثة طرح شبكته في آخر النهار فاصطاد نفس السمكة ولكنها لامته على بوحه بالسر وقالت له:

خذني معك وقسمني إلى ست قطع فأطعم زوجتك اثنتين منها وأطعم فرسك اثنتين وازرع في الأرض اثنتين.

فعل الصياد بما أمرته السمكة وإذا بالزوجة تلد بعد حين توأمين والأرض تنبت زهرتين والفرس تلد مهرين.

كبر الولدان وكبر المهران حتى أصبحا حصانين قويين كما كبرت الزهرات وغدتا زهرتين جميلتين.

خرج أبناء الصياد على حصانيهما وقالا لوالدهما إذا ذبلت الزهرتان فإننا قد أصابنا مكروه..

بعد فترة عاد الأخ الأول لأنه تخوف من الطريق المحفوفة بالمخاطر أما الثاني فتابع رحلته وفي طريقه اصطاد بعض الدببة فلبس جلدها مع حصانه وحين أقبل الليل التجأ إلى إحدى الأشجار فنام تحتها واستيقظ على حركة غير عادية بعد منتصف الليل وإذا به بظبي فطارده حتى دخل مدينة عجيبة وهناك التقى امرأة عجوزًا وبجانبها كلبها فسار حتى وصل إليها فنبح عليه الكلب فضربه فغضبت منه العجوز ومسخته صخرة وجلست عليها.

ذبلت إحدى الزهرتين فعلم الأهل أن ابنهم قد أصابه مكروه فأسرع لإنقاذه..

وفي طريقه التقى شيخا وعرف قصته فأعطاه خاتما وقال له: ستصل إلى مدينة وتلتقي حاجب الملك فتسلمه الخاتم فيعطيك حصانا فتركبه وتدخل إلى المدينة وسترى شقيقك.

نفذ الشاب ما أمره الشيخ واستلم الحصان من الحاجب وركب ذلك الحصان ودخل المدينة والتقى العجوز وعرفت قصته مع الشيخ والخاتم فانحنت له ونفخت على الصخرة فظهر أخوه له فتعانقا.

وأعطتهما العجوز رداء متى ما ارتداه أحد إلا وجاءت العجوز لخدمته. عادا للشيخ وشكراه إلى صنيعه وأهداهما بساطا سحريا ليركبا عليه إلى حيث يشاءون.

الشابان عادا إلى أهلهما وعاشوا بسعادة وهناء.

***

24ـ حكاية مصرية (أسطورة من مصر)

في عام 1930م اكتشفت حكاية مصرية بين بقايا أوراق البردي ترجع إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وهذه الأسطورة الخرافية تثير الدهشة، تقول:

يعثر على قطعة من الحلي كانت فتاة قد فقدتها وهي تجوب النهر، كان الصدق والكذب اخوين تنازعا فيما بينهما وربما كان سبب ذلك ادعاء كل منهما أنه أقوى من الآخر.

وقد أقسم الكذب أمام المحكمة أنه لا يوجد سلاح كبير مهول حده مثل الجبل ضخامة وقبضته مثل الشجرة وهكذا.

ولم يشأ الصدق أن يصدق هذا القول فحوكم وسملت عيناه بناء على قسم من الكذب.

ثم عمل الأخ الأعمى (أصدق) فيما بعد بوابا وأحبته امرأة وولدت منه ولدا فاق أقرانه الذين يكبرونه ذكاء وقوة.

ثم علم الابن بقصة مولده فأراد أن ينتقم لأبيه لما لحق به من ظلم فأتى بثور غاية في الروعة وأحضره إلى رعاة الأخ (الكذب) وجعله يرعى في مراعى عمه.

رأى (الكذب) الثور فحرض رعاته على سرقته من الصبي.

وحق للصبي في مقابل هذا أن يختار من بين قطيعه ثورا آخر ولكن الصبي أخبر الراعي بأنه ليس هناك ثور مثل ثوره ضخامة

فهذا الثور حينما يقف عند بحر آمون يصل ذنبه إلى أعلى سيقان البردي، كما أن أحد قرنيه يصل إلى الجبل الغربي والآخر إلى الجبل الشرقي، أما

مستقره ففي النهر الكبير.

وهذا الثور يلد كل يوم ستين عجلا

لم يصدق الراعي هذا القول حينئذ قيده الصبي وحمله إلى الأخ (الكذب) وطلب منه أن يحضر إمام محكمة الآلهة.

ادعى الكذب ان مثل هذا الثور لم يخلق بعد. وعندئذ سأل الصبي الآلهة عما إذا كان هناك سيف كالذي ادعى (الكذب) أنه كان قد رآه.

وعلى هذا تحتم على الآلهة أن تعيد النظر في الحكم بين الصدق والكذب

وقد أصدرت المحكمة حكمها ببراءة الصدق

هنا تبين لنا الأسطورة المستحيل..

فمن المستحيل أن يلد الثور عددا هائلا من العجول، كما أنه يستحيل أن يصاد السمك من المناطق الجافة.

ثم إن محكمة الآلهة هي التي استدعيت في الحكاية المصرية فربما كان السيف والثور ذات يوم من ممتلكات الآلهة.

وإن الأخوين المتنازعين كانا في الأصل إلهين هما إله الشر وإله الخير.

إن الذي حسم النزاع هو ابن صبي لأحد الإلهين

وقد تسربت هذه الحكاية المصرية إلى الأساطير الهندية وحكايات ألف ليلة وليلة ومن هذه المنطقة انتشرت هذه الحكاية إلى أوروبا.

حتى إن حكاية المتجولين عند الأخوين (جرم) تلك التي سمل فيها الشرير عين الخياط الخير هي امتداد لهذه الأسطورة المصرية.

***

25ـ ماء الحياة (أسطورة من تونس)

كان هناك ملك عنده ثلاثة أولاد (علاء الدين) و(أمجد) و(أحمد) مرض الملك مرة ولم يجد أطباء بغداد كلهم دواء ناجعا له. وبلغ مسامع الملك أن طبيبا هنديا قد وصل إلى بغداد فاستدعاه. ولما فحصه قال:

لا يمكن شفاء جلالتكم ما لم يحصل على (ماء الحياة) وهذا الماء لا يوجد إلا في (جزيرة المرجان).

تطوع علاء الدين للذهاب إلى هذه الجزيرة لإحضار ماء الحياة.

في اليوم الثاني ركب علاء الدين حصانه وأخذ معه كيسا من الذهب وآخر من الفضة وبعد أن سار مسافة طويلة شعر بالتعب فترجل عن حصانه وجلس على صخرة ليستريح ويأكل وبينما هو كذلك انشقت الأرض عن كلب أبيض مخيف وقال لعلاء الدين:

أطعمني من أكلك.

مد علاء الدين يده إلى قوسه وهم بقتل الكلب فهرب الكلب وهو ينبح نباحا مخيفا. تابع علاء الدين سيره وتوقف عند مفترق لثلاث طرق كتب على الأولى مدينة الذهب وعلى الثانية مدينة الفضة وعلى الثالثة السالك هالك. فسلك طريق الذهب ودخل مدينة فدخلها فوجد أبنتيها من الذهب الخالص الموشى باللآلئ والجواهر ومياهها تجري في مجار من الذهب أما حصاها فكان من اللؤلؤ والأحجار الكريمة..

غرق علاء الدين في ملذاته وأنفق ما معه من ذهب وفضة على موائد الخمر والميسر ولم يبق لديه شيئا فعمل أجيرا في أحد المقاهي كي يكسب ويقتات منه.

ولم يهدأ بال الوالد على ابنه علاء الدين فتطوع ابنه أمجد للذهاب

للبحث عن أخيه وجلب ماء الحياة من جزيرة المرجان وأخذ معه كيسا من الذهب وآخر من الفضة.

وامتطى حصانه وسار مدة طويلة حتى تعب وجلس على تلك الصخرة التي جلس عليها أخوه وعندما مد يده لطعامه انشقت الأرض عن الكلب الأبيض، وحدث نفس ما حدث لعلاء الدين.

وعندما سار أمجد وصل إلى مفترق الطرق نفسه فسار في طريق مدينة الفضة وحين دخلها وجد أن كل أبنيتها من الفضة الموشاة بالأحجار الكريمة ومجاري أنهارها من الفضة وحصاها من اللؤلؤ والمرجان.

راح أمجد ينفق نقوده كأخيه علاء الدين على موائد الخمر والميسر ولما لم يبق معه شيء عمل أجيرا في احد المطاعم.

اشتد المرض على الملك وفقد الأمل بعودة ولديه فقرر أحمد أن يذهب هو ولن تفد توسلات والده إليه..

امتطى حصانه وسلك الطريق الذي سلكاه أخواه من قبله وبعد ان تعب جلس على نفس الصخرة التي سبقه إليها أخواه وحين مد أمامه الطعام وشرع يأكل ظهر له الكلب الأبيض وقال له: أطعمني مما معك يا أحمد.

خاف أحمد من منظر الكلب المخيف ومن الصوت الذي سمعه والذي أثار عجبه كيف عرف اسمه؟

فدعا الكلب ليشاركه الطعام

وبعد أن انتهى من طعامه قال لأحمد: أشكرك جدا يا أحمد.. أوصيك بأن تسير في طريق السالك هالك. ثم اختفى فجأة.

ركب أحمد حصانه وتابع مسيره حتى وصل مفترق الطرق. هناك وقبل

ان يذهب في طريق السالك هالك انشقت الأرض وظهر الكلب وقال له: تعال يا أحمد اركب على ظهري لأوصلك إلى جزيرة المرجان وهناك حط به أمام قصر كبير مبني بالذهب والفضة والأحجار الكريمة فقال له: ستدخل هذا القصر وسترى قاعة كبيرة يجلس فيها عدد من الشياطين يتوسطهم شيطان اسمه (مارهوت) فإذا ما دخلت وتوسطتهم نادي: مارهوت.. موت

ولما دخل أحمد وشاهد الشياطين صاح (مارهوت.. موت) فمات الجميع.. وبناء على ما أخبره الكلب شاهد زجاجة بها ماء الحياة فأخذها ووضعها في جيبه وخرج وقبل أن يصل إلى الكلب تبعته عدة شياطين فأمسكوا به وأعادوه إلى مارهوت فسأله عما يريد فقص عليه قصته وحينما سمعوا باسم الكلب الأبيض وعرفوا أنه الملك الأبيض سجدوا له جميعا وعفى مارهوت عنه ولكن لا أعطيك ماء الحياة حتى تأتي لي بطاقية الإخفاء.

خرج أحمد وأخبر الكلب فقرر أن يساعده واعتلى ظهر الكلب وطار به عاليا..

وحط به عند باب مغارة فمشي إلى المغارة فوجد أسدا أمامه شعير وحصانا أمامه لحم فوضع الشعير أمام الحصان واللحم أمام الأسد ودخل وعندما توسط المغارة رأى فتاة جميلة تقترب منه وهي تمسك بيديها بطاقية الإخفاء وإذا بها تتحول إلى جنيه ومسكته من رقبته تريد خنقه فأسرع الحصان والأسد لنجدته وأخذ أحمد الطاقية وطار به الكلب إلى حيث الشياطين فأعطى الطاقية إلى مارهوت كبيرهم وأخذ زجاجة (ماء الحياة) فأخذها وعاد إلى الكلب فوضعه على ظهره وطار به إلى مدينتي الذهب والفضة وأخذ أخويه معه.. ولما وصلوا فرح بهم والدهم الملك فشرب ماء الحياة فعادت له صحته على الفور وتنازل الملك عن الملك لابنه أحمد وزوجه بابنة ملك الهند (قمر الزمان).

مسرد الآلهة والأبطال الوارد ذكرهم في الأساطير

ابولو: اله الموسيقى والشعر والتنبؤ والطب في الأساطير الإغريقية والرومانية، يمثل شباب الرجولة وجمالها.

ابو ليون: الملاك الموكل بالجحيم.

اتلانتا: نسبة إلى (أطلس)، احد الجبابرة الذين حكموا العالم قبل آلهة اولمب وهو عند الإغريق يسند أعمدة السماء بأكتافه.

اثينا: آلهة الحكمة والحرب وراعية المهارات والفنون عند الإغريق، تقابلها (مينرفا) عند الرومان.

ادونيس: فتى أحبته (فينوس) لجماله قتله خنزير بري.

اركول: المنطقة الخليجية المحيطة بمدينة اركوس في اليونان

اريز: اله الحرب عن الإغريق، يقابله مارس عند الرومان.

استرايا: اله العدالة عند الإغريق.

اسكولابيوس: اله الطب عند الرومان، يقابله (سكيليبوس) عند الإغريق.

افروديتي: ابنة (زوس) من (ديوني). آلهة الحب والجمال عند الإغريق. يقال إنها ولدت من زبد البحر. تقابلها فينوس عند الرومان، واستارتا عند الفينيقيين.

اكيتون: صياد إغريقي، فاجأ ديانا وهي تغتسل، فأحالته إلى ابل فطاردته كلابها فقتلته.

اكيليز: احد أبطال حروب طروادة في الالياذة، قتل هيكتر فقتله (باريس) بسهم سدده إلى كعب قدمه المقتل الوحيد في جسمه.

اندروميدا: ابنة سيفيوس وكاسيوبيا. أنقذت من حادث غرق، وتزوجت برسيوس.

انديميون: فتى جميل كان يشتغل بالرعي، أحبته سالينة، فوهبته شباباً ابدياً ونوماً دائماً.

اوديسوس: ملك ايتاكيا وأحد قواد حرب طروادة جاء ذكره في الالياذة وهو بطل الاوديسه

اوربا: أميرة فينيقية جاء بها (زوس) إلى جزيرة كريت متنكرة بهيئة ثور، حيث ولدت ثلاثة أطفال.

اورفيوس: موسيقي كان يحرك الحيوان والنبات وحتى الحجر بموسيقاه. عند موت زوجته (يوريدايسي) سمح له بأعادتها من (هيديز) إلى الأرض شريطة ألا يلتفت إليها وهما في الطريق، ولكنه فشل. ثم قتلته امرأة (تراشية) أغضبها نواحه على زوجته.

اوريستيس: اكاممنون وكلاينمنسترا. قتل أمه وعشيقها بمعاونة أخته (اليكترا) انتقاماً لمقتل أبيه، ولكن الجينات راحت تطارده حتى منحته اثينا الغفران. وفي رواية أخرى انه كفر عن ذنبه بأخذ صورة (ادويس) ونقلها من توريس إلى اليونان بمساعدة أخته، ايفيجينيا.

أهاب: ملك إسرائيل السابع في القرن التاسع قبل الميلاد.

ايزيس: آلهة الخصب في الأساطير المصرية.

باسيفائي: زوجة مينوس وأم ميدرا واردياني منه. وأم مينوتور من ثور ابيض كان قد أرسله يوسايدون إلى مينوس.

بان: اله الغابات والماشية والرعاة. له قرنان واظلاف ماعز

البانثيون: معبد جميع الآلهة في روما، بناه اكريبا.

باكوس: اله الخمر والعربدة عند الرومان. يقابله دايونيسوس عند الإغريق.

برسيوس: ابن زوس وداناي. قاتل ميدوزا، وأنقذ اندروميدا وتزوجها.

برتاسوس: جبل في أواسط اليونان. ملجأ ابولو وآلهة الشعر

برويتوس: احد آلهة البحر، يتشكل بأشكال مختلفة

برميثيوس: احد الجبابرة، سرق النار من السماء للبشر، فعوقب بربطه إلى صخره حيث كان نسر يأكل كبده كل يوم، ويعود صحيحاً في الليل. أنقذه هرقل.

بلوتو: اله الأموات عند الإغريق والرومان

بندورا: المرأة الأولى التي أرسلت إلى الأرض عقاباً على قيام بروميثيوس بسرقة النار، فجلبت معها صندوقاً كان يحتوي على جميع الأمراض. ولما فتحته انتشرت الأمراض في الأرض ولم يبق فيه غير هوب (الأمل) الذي كان في قعر الصندوق.

بوسايدون: شقيق زوس وزوج امفيترايت، وهو اله البحر والخيل، يقابله نبتون عند الرومان.

بولاكس: شقيق كاستر التوأم واخو هيلين وكلابتمنسترا جعلهما زوس نجمين في السماء.

بيرا: ابنة ابيميثيوس وزوجة دوكاليون.

بينولوبي: في الاوديسة زوجة اوديسوس المخلصة.

تانهاوزر: محارب الماني من القرن الثالث عشر، اقترن اسمه بفارس أسطوري يهب نفسه للعربدة والصخب مع فينوس، ثم يحج إلى روما لينال الغفران، بطل احدى اوبرات فاكنر.

تايفون: وحش غلبه زوس ودفنه تحت جبل إتنا

تريتون: احد أبناء نبتون، نصفه الأعلى رجل ونصفه دلفين

تنتالوس: ملك ثري، ابن زوس، عوقب لإفشاء سر أبيه بالوقوف في الماء الذي ينحسر عنه كلما حاول الشرب، يقف تحت شجرة مثقلة بالفواكه دون ان يستطيع بلوغها،

توروس: برج الثور

فالهالا: في الأساطير الاسكندنافية، قاعة عظيمة يحتفل فيها بأرواح الأبطال الذين يسقطون في معارك الشجاعة.

فلورا: آلهة الزهور والربيع عند الرومان.

فيبوس: هو ابولو، آله الشمس

فيركو: برج السنبلة

فينوس: آلهة الربيع والازدهار والجمال عند الرومان، تقابلها افرودا عند الإغريق.

كادموس: أمير فينيقي قتل تتينا يقدسه أريس. وزرع استالا التتين في طريق ثيبه، فنبت رجال مسلحون راحوا يقتلون، عدا خمسة أوصلوه إلى المدينة. وكادموس هو الذي ادخل الأبجدية الفينيقية إلى اليونان.

كاستاليا: ينبوع على جبل برناسوس، يقدسه ابولوا وآلهات الشعر، ينزل الإلهام على من يشرب منه.

كاستر: شقيق بولاكس التوأم واخو هيلين وكلايتمنستر ا جعلهما زوس نجمين في السماء

كريس: واحدة من ثلاث آلهات أخوات يمثلن العظمة والمرح والرفاء.

كيوبيد: آله الحب عند الرومان. يقابله ايروس عند الإغريق

لايكوركوس: مشرع اسبارطي من القرن التاسع ق.م.

ليثيا: نهر النسيان عند الإغريق والرومان.

لياندر: عشيق هيرا.

مارس: اله الحرب عند الرومان، يقابله أريس عند الإغريق، وهو أيضا كوكب المريخ والشهر الثالث المنسوب إلى اله الحرب.

مايدس: احد ملوك فريجيا، منحه دايونيسوس القدرة على تحويل ما يلمسه إلى ذهب وإذا انقلب طعامه وابنته ذهبا عندما لمسهما، راح يتضرع لأعضائه من امتلاك تلك القدرة.

مركوري: رسول آلهة الرومان وبشيرهم. اله التجارة والرشاقة والمهارة، وراعي السعادة والمسافرين والتجار واللصوص، يقابله هرمز عند الإغريق.

مينوتور: وليد نصفه إنسان ونصفه ثور، أنجبت به باسيفائي من اتصالها بثور ابيض أرسله بوسايدون إلى زوجها مينوس الذي ربطه في (المتاهة) حيث كان يطعم من لحوم البشر. قتله ثيسيوس.

نارسيوس: شاب تسبب في مقتل (ايكو) بازدرائه حبها فعاقبته نيميسيس بأن جعلته يعشق صورته في الماء حتى ذوي ومات حباً واستمال إلى زهرة النرجس. (النرجسية: حب الذات).

نبتون: اله البحر عند الرومان يقابله بوسايدون عند الإغريق

نيميا: واد في اركوليس القديمة، ينسب إليه الأسد النيمي الذي قتله هرقل.

تيسيوس: احد الأبطال، وحد اتيكا مع اثنا، خاض مغامرات شهيرة، منها قتل الوحش مينوتور.

ثيميس: آلهة العدالة والقانون.

جوبيتر: كبير الآلهة عند الرومان، يقابله زوس عند الإغريق.

جونو: زوجة جوبيتر، ملكة الآلهات، إلهة الزواج، تقابلها هيرا عند الإغريق.

جيسن: أمير إغريقي قاد اهالي آركوس بحثاً عن الصوفة الذهبية وفاز بها بمعونة ميديا.

دافني: حورية تحولت إلى شجرة غار تخلصا من مطاردة ابولو.

داناي: صبية أحبها زوس. وأولدها برسيوس.

دايونيسوس: ابن زوس من سيملي آله خصوبة الكروم. يقابله باكوس عند الإغريق.

دوكاليون: ابن بروميثيوس كان هو وزوجته هيرا الوحيدين الذين نجيا من طوفان، أرسله زوس لمعاقبة الناس على شرورهم، فأعادا الجنس البشري بإلقاء الأحجار خلفهما، فما ألقاه دوكاليون انقلب رجالاً وما ألقته هيرا كانوا نساء.

دونار: اله الرعد عند التوتونيين.

ديمتر: آلهة الزراعة والزواج والخصب عن الإغريق تقابلها سيريز عند الرومان.

ديانا: آلهة الصيد والعذرية والقمر عند الرومان. تقابلها ارتيميس عند الإغريق.

زوس: كبير الآلهة محاكم مملكة السماء، ابن كرونوس وزوج هيرا، يقابله جوبيتر عند الرومان.

ساتورن: اله آلهة الغابات، بهيئة بشرية وأذنين مدببتين، أفطس الأنف، له قرنان بارزان وذيل قصير وطبيعة شبعة. بشعة.

سالينه: آلهة القمر، تقابلها لونا عند الإغريق.

سايلفيوس: أبو باكوس بالتبني ومعلمة، قائد الساتيرات، له هيئة رجل عجوز، مكتنز سكران بأذنين بارزتين وأظلاف كنزة، ويمتطي حماراً.

سفيتكس: حيوان مجنح برأس امرأة وثدييها، وجسم أسد. كان يقتل الذين لا يستطيعون حل أحجيته.

سنتور: وحش نصفه الأعلى رجل ركب على جسم وقوائم حصان.

سيرس: في الأودية.. ساحرة تحول رفاق اوديسوس إلى خنازير بسقيهم شراباً مسحوراً.

سيسفوس: احد ملوك كورينت الجشعين المكارين. حكم عليه بالبقاء الأبدي في الجحيم يدفع صخرة عظيمة إلى اعل تل، فتتدحرج عوداً على بدء.

سيريز: آلهة الحبوب والحصاد عند الرومان، تقابلها ديمتر عند الإغريق.

شامان: كاهن ساحر، والشامانية مذهب يقول ان الآلهة والشياطين وغيرهم يعملون الخير للناس ا لشرهم عن طريق كهنتهم، الشامان.

شمشون: قاضي كبرى ذو قوة بدينة جبارة، وشت به دليلة.

هرقل: ابن زوس، خارق القوة والتحمل، فرض عليه انجاز اثنتي عشرة مهمة صعبة، حققها جميعها.

هرمز: ابن زوس، حامل رسائل الآلهة وبشيرهم. اله العلم والمكر، وراعي السعادة والمسافرين واللصوص ومرشد الأرواح إلى مملكة الأموات.

هيديز: العالم السفلي أو مملكة الأموات، ويسمى أيضا بلوتو

هبريديز: بنات أطلس الثلاث اللواتي كن يحرسن مع التنين (لادون)، التفاحات الذهبية ولكن هرقل قتل التنين وسرق التفاحات.

هيرا: ملكة الآلهة والهة النساء والزواج، أخت زوس وزوجته، تقابلها جونو عند الرومان.

هيرو: كاهنة من كهنة افروديتي. كان عشيقها لياندر يعبر هيليسبونت من اجلها كل ليلة سباحة، ولكنه غرق، فألقت هي بنفسها في البحر.

هيلي: ابنة نفيلي وايثماس. هربت مع أخيها فريكسوس على كبش ذي صوفة ذهبية ولكنها وقعت عن ظهره وغرقت في المضيق الذي سمي باسمها.

هيليسبونت: مضيق الدردنيل

وودن: الاسم القديم لـ (أودن) كبير آلهة الاسكندنافيين.

يورويدايسي: زوجة ارفيوس التي سمح لها بعد موتها ان تتبع زوجها خارج مملكة الأرواح، على ألا يلتفت إليها زوجها في الطريق، ولكنه اخفق في ذلك فكتب عليها البقاء حيث كانت.

فهرس المحتويات